الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

دار اللغة والأدب العربي

دواة

DAWAT

مجلة فصلية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات اللغوية والتربوية

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة قسم
الإعلام – دار اللغة والادب العربي
رقم الإيداع في دار الوثائق
العراقية ١٩٦٣ لسنة ٢٠١٤

www.dawat.imamhussain.org
E-mail: daralarabia@imamhussain.org
mob: +9647827236864 — +96447721458001

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ
وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ

صدق الله العلي العظيم

(الروم : 22)

المشرف العام

سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

رئيس التحرير

د . لطيف القصاب

الهيأة الاستشارية

أ . د . حسين نصار/مصر – القاهرة

أ . د . محمود محمد الحسن /سوريا

أ . د . عبد العلي الودغيري /المغرب

أ . د . صاحب جعفر أبو جناح / العراق

أ . د . صباح عباس السالم / العراق

أ . د . كريم حسين ناصح / العراق

أ . د . رحيم جبر الحسناوي /العراق

أ . د . فاروق الحبوبي /العراق

أ . د . أحمد جواد العتابي /العراق

أ . د . مهدي صالح الشمري / العراق

مدير التحرير

أ.م.د. خالد عباس السياب

سكرتير التحرير

الأستاذ حيدر السلامي

هيأة التحرير

أ.د. مصطفى الضبع / مصر

أ.د. صادق حسين كنيج / العراق

أ.د. محمد عبد مشكور / العراق

أ.د. نجم عبد الله غالي الموسوي / العراق

أ.د. كريمة نوماس المدني / العراق

أ.م.د. فائز هاتو الشرع / العراق

أ.م.د. طلال خليفة سلمان / العراق

أ.م.د. حسن جعفر صادق / العراق

أ.م.د. خالد سهر محي / العراق

التدقيق اللغوي

م.د. غانم كامل سعود

م.د. حيدر عبد علي حميدي

الأستاذ عباس الصباغ

الترجمة

أ.م.د. مؤيد عمران جياد

الموقع الألكتروني

حيدر العامري

التصميم والإخراج

سيف الدين الزاملي

المتابعة والتنسيق

م.م. حسن العوادي

م.م. حسن الزهيري

م.م. حسين الرضوي

علاء الدين الحسني

رياض حسين الحلو

قاسم الموسوي

مصعب النعماني

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development

"معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب"

الرقم :ب ت ٤ / ٩٦٠٨
التاريخ : ٢٠١٤/١٠/٢٢

No:
Date:

" معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب"

العتبة الحسينية المقدسة

م / مجلة دواة

تحية طيبة..

استنادا الى الية اعتماد المجلات العلمية الصادرة عن مؤسسات الدولة ،وبناءاً على توافر شروط اعتماد المجلات العلمية لاغراض الترقية العلمية في "**مجلة دواة**"المختصة بالدراسات وابحاث اللغة العربية الصادرة عن عتبتكم المقدسة تقرر اعتمادها كمجلة علمية محكمة ومعتمدة للنشر العلمي والترقية العلمية .

...مع التقدير

أ.د. غسان حميد عبد المجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير وكالةً
٢٠١٤/١٠/

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والنشر والترجمة
- الصادرة

www.rddiraq.com
Emailscientificdep@rddiraq.com

المحتويات

قواعد النشر..... ٧

كلمة العدد..... ٨

أ. د. رجاء عجيل الحسناوي
اللغةُ صيرورةٌ اجتماعيةٌ ونفْسٌ عربيةٌ (إضاءة سيبويه في مدونته)..... ٩

أ.م.د. طلال خليفة سلمان
كسرُ أفق التوقع في خُطبة السيدة الزهراء (عليها السلام)..... ٢٧

أ.م.د.علي جاسب الخزاعي
مبدأُ استنباطِ المهمل والمستعمل في النحو..... ٤٧

م .د. غانم كامل سعود. م. د. مشكور حنون الطالقاني
النحوُ العربيُّ بينَ إشكاليات النظرية وآفاق التطبيق..... ٦٣

أ.م.د. الآء محمد لازم
عناصر الاتساق والانسجام النصي قراءة نصية تحليلية في خُطبتي
السيدة زينبَ عليها السلام في الكوفة والشام..... ٧٩

أ.م.د. علي مجيد البديري
التلقي النقدي العربي للمدرسة السلافيّة في الأدب المقارن..... ٩٧

م.د حيدر عودة كاطع الدراجي
صورُ التأصيلِ القرآنيِّ للرثاء الحسيني دراسة دلالية..... ١١٣

أ.م.د. ميثم مهدي الحمامي أ.م.د. عباس علي الفحام
مصادرُ القوةِ والضعف في حياة اللغة العربية..... ١٣٥

أ.م.د. عبدِ الحسين طاهر محمد الربيعي
حُسْنُ التخلُّص فِي مِيزَانِ النَّقْدِ الأدبيِّ دِراسَةٌ فِي وحدَةِ الْقَصِيدَةِ العربيّة..... ١٦٥

أ.د. نجم عبدالله الموسوي م.م.سوسن هاشم الجابري
صعوباتُ تدريسِ مادةِ قواعد اللغة العربية في المرحلة المتوسطة من وجهة نظر
مدرسي المادة ومدرساتها..... ١٩٧

دواة/ مجلة فصلية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات اللغوية والتربوية

قواعد النشر

١. تنشر المجلة البحوث الأصيلة الملتزمة بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميًا والمكتوبة بإحدى اللغتين العربية والإنكليزية في مجالات اللغة العربية و آدابها والدراسات التربوية.

٢. يقدم الأصل مطبوعاً على ورق (A4)بثلاث نسخ مع قرص مدمج(CD) بحدود (١٠٠٠٠_١٥٠٠٠) كلمة وبخط simplified Arabic)) على أن تُرقّم الصفحات ترقيمًا متسلسلاً بنظام (WORD 2007) .

٣. تقديم ملخص للبحث باللغة العربية وآخر باللغة الإنكليزية كل في حدود صفحة مستقلة على أن يتضمّنَ الملخص عنوان البحث باللغتين.

٤. يجب أن تتضمّن الصفحة الأولى من البحث اسم الباحث و عنوانه ،وجهة عملِه ورقم هاتفه وبريده الالكتروني . مع عدم ذكر اسم الباحث او الباحثين في صلب البحث أو أية إشارة إلى ذلك باللغتين العربية والإنكليزية.

٥. يشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في آخر البحث وتراعى الأصول العلمية المتعارف عليها في التوثيق.

٦. يزود البحث بقائمة المصادر منفصلة عن الهوامش وفي حالة وجود مصادر أجنبية تخصص لها قائمة منفصلة عن قائمة المصادر العربية ويراعى في ترتيبها نظام (الألف باء) .

٧. تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلة ويشار في أسفل الشكل إلى مصدره أو مصادره مع تحديد أماكن ظهورها في المتن .

٨. إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى وعليه أن يشير إلى أنّ البحث قد قُدِّم إلى مؤتمر أو ندوة وانه لم ينشر ضمن أعمالها -إن شارك به في مؤتمر أو ندوة- ويشار إلى اسم الجهة العلمية أو غير العلمية التي قامت بتمويل البحث أو المساعدة في إعداده .

٩. يجب أن لا يكون البحث منشوراً سابقاً وليس مقدماً الى اي وسيلة نشر أخرى .

١٠. تعبّرُ جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجهات فنية .

١١. تخضع البحوث لتقويم سري لبيان صلاحيتها للنشر ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أ قُبلت البحوث للنشر أم لم تقبل وعلى وفق الآلية الآتية :

أ. يبلغ الباحث بتسلم المادة المرسلة للنشر .

ب. يخطر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيأة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقع .

ت. البحوث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها مع الملاحظات المحددة كي يعملوا على أعدادها نهائيا للنشر .

ث. البحوث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

ج.يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه.

١٢. يراعى في أسبقية النشر :

أ. البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار

ب. تاريخ تسلم رئيس التحرير للبحث

ت. تاريخ تقديم البحوث التي يتم تعديلها

ث. تنويع مجالات البحوث كل ما أمكن ذلك

١٣. لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيأة التحرير إلا لأسباب تقتنع بها هيأة التحرير على أن يكون ذلك في مدة أسبوعين من تاريخ تسلم بحثه .

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على سيد المرسلين أبي القاسم محمدٍ وعلى اله الطيبين الطاهرين وأصحابِه الغر المنتجبين

وبعدُ :

تقدمُ دار اللغة والأدب العربي بين يدي قرائها الكرام العدد الحاديَ عشرَ من سِفرها الفصلي المحكَّم (دواة) والذي تأمل منه أن يكون خير رافد للمكتبة العربية ولطلابها وناهلي علومها وآدابها من نميرها الذي لاينضب ، وتضمَّن هذا العدد ـ كالأعداد السابقة له ـ جملةً من البحوث التي تُعنى بالمجالات اللغوية والأدبية والتربوية ساهم في إعدادها وإخراجها الى النور نخبة طيبة من الأستاذة وقد أصبحت (دواة) بحسب متابعيها مثابةً للباحثين عراقيين وعربا من المهتمين باللغة العربية وآدابها قد جمعهم بها وقربهم منها وحدة الهدف السامي وهو حب لغة كتاب الله المجيد .

ويصدرُ هذا العدد بُعيدَ الاحتفاءِ بالعربية كلغة عالمية وبمبادرة منصفة تُشكر عليها صدرت عن اليونسكو التابعة لمنظمة الأمم المتحدة، ، ولرد الاعتبار للغة الضاد التي لاتقل شأنا عن بقية اللغات الحية الأخرى كالإنجليزية والإسبانية والصينية والألمانية وغيرها من ناحية عدد المتحدثين بها أو من ناحية تطورها ونمائها وثباتها في وجه المتغيرات الحياتية.

وفي الوقت الذي تتهيأ دار اللغة والأدب العربي لإصدار عددها الحادي عشر فإنها تعيش أجواء التهيؤ لعقد مؤتمرها الدولي الثاني والذي من المرتقب أن يُعقدَ وللفترة من ١٧ ـ ١٩ شباطَ المقبل ـ بإذنه تعالى ـ والذي تحتشد دار اللغة والأدب العربي بكوادرها لإقامته وبرعاية سامية من لدن الأمانة العامة للعتبة الحسينية المطهرة ، وتحت شعار (العربية ووحدة الأمة الإسلامية) وبمحاورَ معرفيةٍ ثلاثةٍ تصبُّ جميعُها في الهدف الرئيس المتوخى من عقد هذا المؤتمر الهام.

ونود أن نذكِّر قراءَنا الأعزاءَ بأن محاورَ المؤتمر تتجلى في : (العربية وأهل بيت النبوة (ع) / العربية وانتشار الإسلام/ تاريخ العربية وعلومها) ومن أهم الأهداف التي يتوخاها المؤتمر: تعبئة القدرات العلمية لمعالجة المشكلات اللغوية المعاصرة فضلا عن تكثيف التواصل العلمي والمعرفي بين العتبة الحسينية المطهرة وبين الباحثين في الجامعات يضاف إليها بيان أثر أهل البيت (ع) في علوم اللغة العربية ، ومن المأمول أن تشارك في أعمال هذا المؤتمر وإحياء جلساته البحثية ، شخصياتٌ علمائيةٌ وأكاديمية من الطراز الرفيع من داخل العراق وخارجه ، ويأتي هذا المؤتمر تتويجا لأنشطة دار اللغة والأدب العربي المستمرة على مدار العام ومن الله التوفيق .

هيأة التحرير

اللغةُ صيرورةٌ اجتماعيةٌ ونفْسٌ عربيةٌ
(إضاءة سيبويه في مدونته)

Language is a Social Need and an Arab Self: A Study in Sibawayh's Treatise

أ. د. رجاء عجيل الحسناوي
جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

By: Prof.Dr Rajaa Ajeel Al-Hisnawi

ملخص البحث

تعدُّ اللغة عنصراً رئيساً في إعطاء الصفة الاجتماعية للمتحدثين بها، بوصفها من أكثر الظواهر الحياتية التصاقاً بحياة الأفراد فتتجسد فيها مقاييس المجتمع وأعرافه وتقاليده وثقافته فلا تدعُه مقرّة أنّها صنوه الكاشف عنه. ولما كان مدار فَهْم الكلام والقدرة على تحليله إنّما يكون بالنظر إليه في إطار اجتماعي فقد أفرزت جهود سيبويه في كتابه أفكاراً قيّمة في التحليل النحوي ،انعكس ذلك بوضوح في معالجاته التفسيرية للظواهر اللغوية الجارية على ألسنة المتكلّمين بمعطياتها وأصولها ،بما لا ينأى عمّا بلغه البحث الألسني الحديث .

إنّ الحصافة التي نأملها لبحثنا هذا مع توجّهاتنا واستزادتنا من توجّهات المحدثين نُدرك أنّ لكلّ منهج ولغة خصوصية، إلّا أنّ عموماً ما تتشارك به اللغات الإنسانية، ما يجعلها تتلاقى في كثير من الموارد. وهو ما يكسب هذا النوع من البحوث صفة العالمية ؛لأنّه يبحث في قضية موجودة في جميع اللغات وهي المقاصد التي تنكشف عبر الاستعمال الاجتماعي .وقد رأيت أنّ سيبويه خدم هذه الذخيرة في كتابه عن طريق مرتكزين:

الأوّل: الفاعل (المتكلّم) فكلّ اللغات تعرفه؛ لأنّ مؤدّى ما يبغيه المتكلّم هو حصول الفهم.

والآخر: الحدث بوصف اللغة حادثة تصدر عن متكلّمها بتشكيلات إنجازية.

وقد رفدنا البحث بثلاثة مباحث يتقدّمها تمهيد- فيه تفصيل مرتكزات الاستعمال - وتقفوها نتائجه وجاء:

- المبحث الأوّل موسوماً بـ (تجلّيات الاستعمال في الاستقامة والإحالة).
- والثاني : عائدية الحركة إلى الاستعمال.
- والثالث : غلبة الاستعمال الدواعي الصناعية.

إنّ هذه القراءة هي عودة واعية إلى النحو العربي القديم لكشف النقاب عن ارتكان شيخه إلى الاستعمال ،مما أبرز نسبة تقارب وتشابه بين رؤى سيبويه ورؤى الألسنيين ، نستشفّ ملامحها من دراسته الدائرة على الأصناف الخطابية ، وكيفيات صياغتها ،وهي محاولة منا لاستجلاء جهد سيبويه في حقل (الاستعمال).الذي يكون موافقاً لمقتضى المقام، جاعلاً منه مقياساً جوهرياً للاحتجاج ، وفيصلاً في الحكم على التراكيب بأنّها أصولية أو غير أصولية باعتمادٍ منه على الحسّ اللغوي نتيجة الإلْف بصيرورة التداول والتحاور الجاري بين المتكلّمين ، بما يكشف عن معرفة الجوهر الإنساني القابع في أعماق الخطاب اللساني.

Abstract

Language is an element that shows the social status of its speakers because it is strongly related to individuals' life.It reflects the standards, customs, traditions, and culture of a speech community. Because speech understanding and the ability to analyze it depends highly on social context, Sibawayh's efforts yielded valuable insights into the grammatical analysis.

The research is divided into three sections.

The first section is entitled "Manifestations of Usage in linearity and conversion".

-The second section is about diacritical marks-use dependent.

-The third section deals with the predominance of use in the production of sentences .

This study is an attentive return to the ancient Arabic grammar to reveal that its great scholar relied heavily on use, highlighting the close similarity between the visions of Sibawayh and those of linguists.

مرتكزات الاستعمال الاجتماعي في السلوك اللغوي

تروم هذه الدراسة تقديم رؤية سيبويهية لحُجيّة الاستعمال الاجتماعي انطلاقاً من منظور تشييدي-معرفي يتجاوز بعض التصورات القابلة للدحض ؛لأنّنا لا نسمح بعرض الفكرة إلا عبر نصوص سيبويه نفسها، تلك النصوص التي نصنّفها بالارتكاز على تأويلاته، وهي قراءة تستلزم بناء مفهوم الجهة البلاغية أيضاً ،بيد أنّ مثل هذه القراءة تمرّ أولاً عبر قوالب ذهنية تمكّن المتلقي من التواصل انطلاقاً من بنية مشتركة منشطرة إلى بنية فعلية ،واسمية في بعد تعليمي وتعدد نسقي .وهذا البعد التعليمي سيحيلنا بدوره إلى الكفايتين التفسيرية والتأويلية في الفكر السيبويهيّ لِما تقتضيه مقصدية الكلام من حضور الذات المؤوِلة على وفق فتح آفاق مهمة لهاتين الكفايتين ،إذ لا يمكن عزل الجانب البلاغي عن المجتمع .

ومن هنا فإنّ سيبويه لا يفوّت نصّاً إلّا بنظرة منه إلى مكوناته عبر حوار يتحاشى فيه التركيز على جانب واحد بأنْ يعرض للمسألة بإطار مجرد من الاستعمال فالارتكاز عنده يتم بدءًا على التحليل النسقي لنمط الكلام من حيث إنّ تحليل مكونات النمط ودراسة تعالقها وتنظيمها تجعل التعميم ممكناً بتأكيده أو نفيه ولاسيّما إذا بُني على فرضية عمل توجّهه وتضبط مساره . وبقدر ما يخضع النسق لتوجيهات تتطلبها مظاهر الحجاج ، فإنّها كذلك تستند إلى التجربة وشروطها التداولية.

إنّ استدعاء النظر إلى الأنماط الكلامية عبر منظورها الخطي أولاً، إنّما هو لانجذابها إلى بؤرة مركزية هي (المسند والمسند إليه)، إذ تخضع الأنماط الكلامية لآلية التفسير عن طريق مبدأين (التوافق واللا توافق) بوصفهما لغة واصفة تنحصر بينهما أشكال تلك الأنماط من حيث إنّ استقامة الكلام كامنة في نظمه وباعتبار أنّ « بناء المعنى هو قبل كلّ شيء قضية ذريعية تداولية ترتبط بالمعرفة الخلفية وبالوضعيات الشارطة لفعل الإدراك»[١].فقد كان كتاب سيبويه مليئاً بمعالجات العدول عن القياس العقلي المنطقي المجرد فيفسّره في ضوء نظام العربية رابطاً إيّاه بالمعنى إذ يتسع هذا النظام ليستوعب تلك المعاني المختلفة ،فجاءت نصوصه مُغنية للبيب شافية كافية،ولمّا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية تعيش في حياة الناس اليومية ، فقد رأى سيبويه أن يوسّع النحو بإضافة مستوى التداول إلى البنية التركيبية الداخلية ، مما مكّنه من إعادة بناء جزء من المقتضيات التي تجعل الأقوال مقبولة تداولياً بالنظر إلى السياق التواصلي الذي تُنجز فيه ، وتقبلها الجماعة اللغوية، فلم يكن النحو عنده صناعة لفظية مجردة عن المعنى والسياق الذي يُصاغ فيه التركيب بل إنّ الأغراض والمقاصد كانت لبّ الدراسة النحوية لديه حينما أظهر عبرها الوظيفة الإبلاغية للكلام تماشياً مع قوانين المجتمع الكلامية ونواميسه التعبيرية وتلك لمحات رائدة إلى العلاقة بين اللغة وحاجات المجتمع.

إنّنا نعتضد هاهنا تأثير الفقه في بحثه النحوي من حيث إنّ الباحث في أصول الفقه واستنباط أحكام الشريعة يعتمد معرفة المقاصد التي تحملها نصوص الكتاب والسُنة «فعملية الاستنباط مترتبة على الفهم الذي يتكفل به البحث النحوي»[٢].إذ جاء أبو بشر لطلب الفقه وانصرف عنه إلى اللغة للقصة المعروفة.

ومن هنا فإنّ سيبويه في بحثه المتعمق لكلام العرب، لامَسَ واقعهم الاجتماعي عبر الفاعل(المتكلم)[٣] فالكلام عن الفاعل يعني الكلام عن الحياة ؛لأنّ وجوده يعني (الفعل والعمل)، فالأغراض ألصق بالمتكلم وبواعثه النفسية وحاجاته للتعبير عن مكنونات صدره، ولما كان كلّ شيء حادثاً لابدّ له من مُحدِث – إذ قيام الفاعل بالحدث أو العمل الذي

يدلّ عليه الفعل هو شرط أساسي لكون الفعل حقيقياً- فالكون حادث ومُحدِثه الله تعالى ،وبعبارة اللغة فاعل فعل خلْق الكون هو الله تعالى. فإنّ هذا المفهوم الديني سحبه سيبويه على منهجيته في كتابه حينما تعامل مع اللغة على أنّها مُحدَثة لا بدّ لها من مُحدِث وهو المتكلّم، فالأساس الذي قامت عليه المنظومة النحوية السيبويهية هو أساس عقدي[٤] انبنت عليه دراسته ظواهر الاستعمال التي أكدتها الدراسات اللسانية المعاصرة في إطار الطابع التداولي داخل الحياة الاجتماعية .وقد شكّل ذلك عند سيبويه نظرية لسانية تُميِّزُ من جهة التحليل والتفسير بين ميدانين لغويين «هما اللفظ الدال ومدلولاته والخطاب الذي هو كيفية استعمال هذا اللفظ ومدلولاته في الإفادة»[٥]. إنّ معرفة هذا منهلها أحرى بها أنْ تتكامل نظرتها إلى اللغة بوصفها كوناً رمزياً مطابقاً لأصله (وهو الوجود).

ووفاق ما يُستنتج من تأمّل هذا التفكير أنّ كلّ نظر ، أو تناول تفكيكي لملفوظ الكلام سيكون عبر الاستعمال ،فترى سيبويه ينطلق من أمثلة مختلفة يعرض فيها الظاهرة النحوية بما يُظهر معرفته الواسعة بها ،حينما يوضحها بالمزيد ،الأمر الذي يستدعي عمق درايته بظواهر التخاطب، وما يقتضيه من استعمالات لغوية ،مما يُمكن أنْ يدرس في إطار اللسانيات الاجتماعية والتداولية، وتمظهر هذه السمات المائزة لدرسْه نُدركها عبر قوله :« يقول الرجل: أتاني رجل. يريد واحداً في العدد لا اثنين، فيقال: ما أتاك رجلٌ أي أتاك أكثر من ذلك، أو يقول: أتاني رجلٌ لا امرأة. فيقال: ما أتاك رجلٌ أي امرأة أتتك .ويقول أتاني رجلٌ.أي في قوته ونفاذه، فتقول: ما أتاك رجلٌ .أي أتاك الضعفاء»[٦] .فلا تتضح هذه الأمثلة إلّا عبر سياقاتها اللغوية ومقاماتها التخاطبية المحيطة بها، فالنصّ مرتبط عنده بمقاصد المتكلم وأحوال الخطاب ،فقد يحسن في سياق ولا يحسن في آخر. ولذا هو يأتي بهذه الزيادات الاحترازية التي استعمل فيها(أي التفسيرية)، كما في (أي: أتاك أكثر من ذلك، وأي: امرأة أتتك، وأي: في قوته ونفاذه، وأي: أتاك الضعفاء).

ويحظى عنصر المخاطب بنصيب وافر من اهتمام أبي بشر ، فإدراك المخاطب لمقاصد متكلّمه متأتٍ عبر ظرف الاستعمال ،ولاستغراق المخاطب حيّزاً واسعاً من اهتمامه فقد ذكره في باب عالج فيه فصيلة نحوية متعلقة بالأمر والنهي – وهي الإغراء والتحذير- قائلاً:

«هذا باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا علمت أنّ الرجل مستغنٍ عن لفظك بالفعل»[٧] . وهو وجود يلحّ عليه أبو بشر حتى لو لم يكن له وجود واقعي، بل مفترض، من حيث إنّ إعادة بناء المعنى تكون عند المتلقي، ومن هنا يصبح دور المتلقي قاعدة أساسية ، فيخلق لنا سيبويه متلقياً وإنْ كان مفهوماً مجرداً، إلّا أنّه يُضمِّنه معايشة واقعية عبر تلاؤم مقصديتي سيبويه ومتلقيه، حينما يتفاعل هذا المتلقي مع النص ،فيكون مضمراً حجاجياً تتجلى لنا مكوناته عبر مفاهيم من قبيل الأفعال اللغوية، والروابط الحجاجية إذ يطرح المتلقي أسئلته ويتعاون الفكر السيبويهي مع فكر ذاك المتلقي في إيراد جواب محدّد مراعيا فيه قواعد الحدّ من جهة والمقبولية والإقناع من جهة أخرى ،فيكون الغرض الإنجازي لهذه المحاورة تعليمياً وحجاجياً في الآن نفسه.

إنّ بيان أثر المخاطب في صياغة بنية الكلام يمكن ملاحظته في نحو قوله: « وإنّما أضمروا ما يقع مظهراً استخفافاً؛ ولأنّ المخاطب يعلم ما يعني ،فجرى بمنزلة المثل، كما تقول :لا عليك وقد عرف المخاطب ما تعني أنّه لا بأس عليك، ولا ضرّ عليك»[٨] .

ومن هنا فإنّ الاستعمال اللغوي عند سيبويه علّة قوية يحتجّ بها معللاً الظواهر اللغوية ليس من جهة المتكلم فحسب، بل من جهة المخاطب أيضاً ؛لأنّ المخاطب لا يكتفي بالسماع فقط ،بل يحاول توجيه نمط الكلام بحسب قدرته على إدراك المعنى حينما يؤوله في ذهنه، يقول أبو بشر: « ومما يبطل القلب قوله: زيدٌ أخو عبد الله مجنون به إذا جعلت الأخ صفة والجنون من زيدٍ بأخيه؛ لأنّه لا يستقيم زيدٌ مجنونٌ أخو عبد الله»[٩] .فالكلام هاهنا انطوى على شيء من الغموض ،فإذا كان فهم الكلام الواقع «بحسب قصد المتكلم ،وإرادته ودواعيه»[١٠] فإنّه يترتّب على هذه القصدية أنْ تعقد رابطاً مع المتلقي(إعادة إنتاج الكلام)، لكي تتم عملية التواصل، ولما فقدت نسب نجاحها قال سيبويه أنّه لا يجيز القلب هاهنا.

ولا تنطلق نظرية التواصل السيبويهية إلّا من كلام مفهوم مبني على توطيد الشبكة العلائقية بين العناصر السياقية ، ومراعاة النظام العقلي المتحكم في ضمان الصحة الدلالية والقولية للسلوك اللغوي استعمالاً ؛ تماسُكُ ذلك يُظهره قوله: « واعلم أنّ (أنْ) لا تظهر بعد حتى وكي ،كما لا يظهر بعد (أمّا) الفعل في قولك: أمّا أنت منطلقاً انطلقت. وقد ذكر حالها فيما مضى واكتفوا عن إظهار (أنْ) بعدهما بعلم المخاطب»[١١] . فإذا مال المتكلم إلى التخفيف ، فإنّ استعمال ذلك لا يكون إلّا بعلم المخاطب .

وتغدو شرعية إنجاز هذا المبدأ عبر نص آخر يورده سيبويه ضمن محور تمثيله المقالي ببرنامجيه الكفائي والأدائي يتحصّل ذلك في «باب يُحذف المستثنى فيه استخفافاً وذلك قولك : ليس غير ،وليس إلّا. كأنّه قال: ليس إلّا ذاك ، وليس غير ذاك. ولكنّهم حذفوه تخفيفاً واكتفاءً بعلم المخاطب»[١٢]. ولمّا كان المصطلح « ظاهرة تصورية إدراكية تنتقل عبر الوعي إلى ظاهرة قصدية ثم تنتقل عبر الدلالة إلى ظاهرة مفهومية فتُصاغ عبر اللغة ظاهرة معجمية مصطلحية»[١٣] فإنّنا هاهنا نعتضد على نصوص سيبويه حينما اصطلح المحدثون على ما ورد فيها من ظاهرة التخفيف بالاقتصاد اللغوي ، إذ ذكروا أنّ الاستعمال الكثير يجعل العبارة مفهومة فلا يجد المتكلم حرجاً في لفظها.

ويغدو هذا محوراً يستند إليه صاحبنا في نصوص ولا نستغني عن نص سيبويهي آخر تحقق فيه هذا التعاقد اللغوي والذهني بين الطرفين بما يخوّله لهما من إمكانية التفاهم والتفاعل واستمرارية التواصل، فيكون هذا التعاقد بمثابة ذاكرة مشتركة بينهما نتيجة الاستعمال ما يسمح بديمومة مجريات الكلام ،ويورد أبو بشر في نطاق ذلك قول العربي (لاهٍ أبوك) فالأصل فيه (لله أبوك) .ولكنّهم حذفوا الجار والألف واللام تخفيفاً على اللسان ونسب القول للخليل ثم بيّن أنّ حذف الجار هاهنا ليس طريقة الكلام ولا سبيله قائلاً: « وليس كل جار يضمر؛ لأنّ المجرور داخل في الجار فصار عندهم بمنزلة حرف واحد ،فمن ثم قبح، ولكنّهم قد يضمرون الجار فيما كثُر من كلامهم ؛لأنّهم إلى تخفيف ما أكثروا استعماله أحوج»[١٤].

أُخر، بما ينسجم مع مبدأ عدم التناهي على صعيد الأنظمة الداخلية والخارجية. إذ يذكر في باب الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهي: « وذلك قولك: إذا رأيت رجلاً متوجّهاً وجهة الحاج قاصداً في هيئة الحاج فقلت: مكةَ وربّ الكعبة حيث أنّه يريد مكة. كأنّك قلت: يريد مكة والله ...ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾. أي: بل نتبع ملة إبراهيم حنيفاً »[١٥] . ويتوسّع هذا الأفق في نظير كلامي آخر وهو« قوله: انته يا فلان أمراً قاصداً، فإنّما قلت: انته وائت أمراً قاصداً. إلّا أنّ هذا يجوز لك فيه إظهار الفعل فإنّما ذكرت لك ذا؛ لأمثّل لك الأول به؛ لأنّه قد كثر في كلامهم حتى صار بمنزلة

المثل، فحُذف كحذفهم ما رأيت كاليوم رجلاً»[١٦].
ويغوص في معالجة حقائق لغوية تقتضيها تنوعات جارية في واقع الحياة بسياقاتها الثقافية والاجتماعية التي تستجد أمورها فتستحدث أوضاعاً متغيرة، فالمتكلم العربي يكثر من استعمال النداء لذا تُحذف ياء الإضافة من المضاف إليه لكثرة الاستعمال «فقالوا: يا بن أمّ، ويا بن عمّ. فجعلوا ذلك بمنزلة اسم واحد؛ لأنّ هذا أكثر في كلامهم ٠٠٠وإنْ شئت قلت: حذفوا الياء لكثرة هذا في كلامهم»[١٧].
وبقدر ما قدّم سيبويه من نصوص ،فإنّه بثّ فيها مخزونه الذهني المعبر عن نموذجه الفكري للاستعمال بحسب المحيط الاجتماعي فكان الاستعمال عنده بناءً لقاعدة محتجاً لها به، ومتخذاً منه عماداً بالاستناد إلى توجيه الوعي القصدي المدرك ،فلا يستقيم لدى المتكلم الإجراء التكويني للجملة إلّا بالدراية بطبيعة الاستعمال اللغوي في الوسط الذي يوجد فيه .فاللغة تحيا بالاستعمال لا بمجرد الوصف .يقول د. عبد السلام المسدي :« لا يمكن للباحث أنْ يغفل عن نباهة شيخ النحو العربي في هذا المقام ،فقد حاول صاحب الكتاب تفسير المظاهر الطارئة على بنية التراكيب النحوية في اللغة»[١٨] .
ويثير ما قدّمنا من نصوص سيبويهية القول بأنّ أبا بشر وصف العربية بالاستناد إلى (الاستعمال اللغوي) للعرب عن طريق مُساءلة سليقتهم اللغوية، ذلك الأمر الذي أصبح مدار البحوث التداولية في الاتجاه البراكماتيكي[١٩] المختص بمعالجة المحور التنفيذي في محيط المحاورات الواقعية بين المتحاورين في بقعة اللغة المشتركة بينهم.

المبحث الأول: تجليات الاستعمال في الاستقامة والإحالة[٢٠]

في مبتدأ الأمر نلفت الانتباه إلى أنّ سيبويه استقرأ فئة من حالات مرسومة للكلام المباشر الدال على الوضع الأصلي الموصل للنمط الدلالي الأولي في ذهن المتكلم فعالجها معالجة متأتية بإعادة رسم تشكيلاتها المقامية بحثاً عن ضروب العدول التي تكتنف هذه التشكيلات الأساسية على صعيدي التركيب والدلالة ، فإذا ما كانت «مهمة الوصف اللغوي هي تفسير لغة المتكلم-المستمع الفعلية وسليقته أو قدرته اللغوية ومعرفته بهذه اللغة»[٢١].
فإنّنا نرى أبا بشر يمدّ بصره ويتجاوز النظر في معالجته للتراكيب الاسنادية إلى الدلالة بحثاً عن تكافؤ بينهما يُفضي إلى توافق البناء في العربية مع صورته المستعملة، فاللغة عنده « مسلك اجتماعي يجري في نماذج معينة من الأداء وإنّ المجتمع هو الذي يحدّد هذه النماذج بطريق العرف »[٢٢].
فقد اهتدى-بانتباه-إلى أنّ اللغة يبرز وجودها عن طريق الاستعمال، أي التداول الفعلي لها حينما أضاف شروط المقبولية التداولية وذلك بتمييزه الخطاب الصحيح من المستقيم أو المحال الكذب، فحكم على نحو:«شربتُ ماء البحر» . « حملتُ الجبل» . في السيرورة الأدائية والاستعمالية بالكذب مع صحة أدلتها النظمية وتحقق الاتساق التركيبي فيها لعجزه عن الاستجابة الواقعية والمقبولية المطلوبة في الاستعمال والعرف الخطابي فضلاً عن افتقاره إلى الإحالة المقامية ذلك أنّ «الإحالة علاقة دلالية ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية إلا أنّها تخضع لقيد دلالي هو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه»[٢٣].
فقد آمن سيبويه أنّ الكلام هو النشاط البيّن للغة جاعلاً منه قريناً للنظام عن طريق تلمس العلاقات الداخلية التي تربط أعضاء الجملة الواحدة وتحليله عناصر الجملة الواحدة من جانبيها الشكلي والوظيفي متجاوزاً برؤيته هذه التفسير إلى التأويل عبر بيان كيفية تفاعل اللغة مع محيطها الاجتماعي الأوسع في

ربطها بمواقف الكلام(السياق).»وهو بهذا يتفق مع المنهج العلمي الصائب الذي أثبت أنّ تطور العلوم « لا يقوم على وصف ما يحدث بل على وصفه وتفسيره». فالتركيب عند أبي بشر صورة متكاملة من الشكل والمعنى. حينما ضبط أصنافه الخبرية مبيّناً المقبول منها عن طريق الاستعمال وهي فكرة ميّز بها التراكيب الصحيحة (الأصولية) من غير الصحيحة (غير الأصولية).

وعلى وفق تحقق شروط الصحة النحوية والدلالية فيها وغير المقبولة لفقدها تلك الشروط، فالكلام عنده « مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محال كذب. فأمّا المستقيم الحسن فقولك: أتيتُك أمسِ، وسآتيك غداً. وأمّا المحال فأنْ تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غداً، وسآتيك أمسِ. وأمّا المستقيم الكذب فقولك: حملتُ الجبل وشربت ماء البحر ونحوه، وأمّا المستقيم القبيح فأنْ تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكي زيدٌ يأتيك. وأشباه هذا»[٢٤].

فجملة «حملتُ الجبلَ» و«شربتُ ماءَ البحرِ» مرفوضة عند سيبويه لمخالفة المعنى للواقع الاستعمالي، فالجبل لا يصلح دلالياً أنْ يكون مفعولاً لـ (حمل) وكذلك « ماء البحر» ؛لأنّ واقع الاستعمال المحسوس لم يقدّم لنا هذه الصورة واقعاً فلا الجبل محمول ولا ماء البحر مشروب و»بمجرد تغيير المفعولين إلى ما يناسب السمات الدلالية ،فإنّ الجملة ستكون مقبولة نحو:« حملت الكتاب» و« شربت الماء» . فلا يدخل هاهنا لحن من جهة دلالة ملفوظه في علاقته بالواقع»[٢٥] . فالكلام سليم في القياس إلا أنّه في الاستعمال ليس بمنزلة السليم من جهة معناه.

ونتوصل من نص سيبويه تركيزه على جانبين اثنين: الأول: الجانب البنيوي بحسب ما تقتضيه القاعدة النحوية وتقبله.

والآخر: الجانب الخطابي، الإعلامي ، الإخباري عبر السياقات اللغوية والمقامات التخاطبية التي ترد فيها ، وهي قفزة فكرية تشير إلى تعامل سيبويه مع اللغة الخطابية الواقعية المستعملة ،لا المفترضة فكان نظرُه إلى اللغة عميقاً عن طريق التفاعل بين مستوى البنية وما يقتضيه من استعمال بالقبول إنجازاً أو غير القبول. « ويعدّ ذلك مهماً لسببين: أولهما: أنّ الكلام يعامل على أنّه شكلٌ من السلوك العرفي –الاجتماعي ، وثانيهما: وهو نتيجة منطقية لذلك .إنّ المخاطب له دوره الخاص في تحديد الشكل اللغوي الذي يستعمله المتكلّم «[٢٦].

إنّ نزوع سيبويه إلى اختيار أمثلته جملاً فعلية على وجه التحديد ،إنّما هو ارتكاز منه على أنّ الفعل بناء مشتمل على الحدث اتخذه هيكلاً يبني عليه تحليله النحوي – الدلالي ،ويتراءى مما تقدّم أنّ المظهر الواضح من الكتاب التوجه إلى التعليل للظواهر النحوية في محاولة فهم كلام العرب ، ولمّا كانت وظيفة المفسِّر السعي إلى فهم كلام الله، فقد ماثلت وظيفة سيبويه وظيفة المفسِّر - فاتحد المورد والهدف الأساسي- في إطار تبنّيه لمنهج تعليلي وتفسيري يكشف من خلاله عن المعنى النحوي للكلمة لا معناها المعجمي، بإدراك منه لطريقة العرب في كلامهم ،وبتأكيد كون اللغة التي تعامل معها لغة خطاب ،وهي مسألة لم تظهر عند غيره من النحاة المخالفين. وإثبات ذلك بعيداً عن الفرض يثبته لنا نصه وهو يسأل أستاذه فيه عن قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾.[٢٧] إذ ورد جواب الشرط بالفعل الماضي وهو في الأصل مستقبل فأجابه: « هو في معنى ليفعلُنّ. كأنّه قال: ليظلُنّ. كما تقول: والله لافعلتُ ذاك أبداً. تريد معنى لا أفعل «[٢٨].

إنّ تأويل ذلك التمثيل استدعى إدراك سد جواب القسم مسد جواب الشرط. وقد ارتكن السمين الحلبي

في درّه المصون إلى نص سيبويه السابق في تفسيره الجواب الخاضع لهذا المعنى والمؤكَّد عليه قائلاً:»لظلّوا جواب القسم وهو ماضٍ لفظاً مستقبل معنى»[٢٩] . وهو موضع من مواضع كثيرة يومئ فيها سيبويه إلى أثر الاستعمال في تأليف الكلام. فالتشكيل المورفولوجي لهيكل الفعل(لظلوا) ينبعث منه معجمياً معنى الماضي، إلّا أنّه انفتح معنوياً ليُنتج دلالة استقبال، وهو عمق نظر في تحليل الكلام حينما مازه سيبويه بالاستعمال، اعتماداً على حدثية الفعل لا زمنه. وموازنة هذه الطاقة (الحدثية) في الفعل – تعبيراً -في أنّها تجري على كلام العرب، وفي القرآن الكريم، التماس ذلك يؤكّده قوله: « فإنّما أجري هذا على كلام العباد وبه أنزل القرآن»[٣٠]. ما يجعلنا نستدلّ على أنّ سيبويه في وضعه البناء النظري للغة العربية لم يكن معزولاً عن إنجازات الفقهاء والمفسّرين. ويعرج صاحبنا على نموذج آخر يعمل فيه سيبويه على شدّ فكر المخاطب وجلب انتباهه وحمله على التفكير في الحيثيات الماورائية الهادفة إلى تأطير الارتكاز المضموني في بؤرة دلالية معينة وذلك في قوله: « أُدخل فوه الحجر «[٣١].إذ يرتكن هاهنا إلى الاستعمال الذي يستدلّ على الدلالة المقصودة والمدركة عند المخاطب بفعل امتلاك القدرة التخاطبية ،وهو معيار أثبت البحث الدلالي المعاصر أهميته في توجيه المؤشر الدلالي واستكشافه[٣٢]. فهذه الهيئات التعبيرية لا تنجز « إلّا في إطار الحدود التي تحددها المعايير الاجتماعية»[٣٣].وتلك معالجة موازِنة للعناصر بين وظيفتها الاتساقية والدلالية تُؤلِّف للأفراد إحالة من دون الحاجة إلى توضيح المسوغات ،فالحقائق اللغوية والمظاهر البلاغية مضمونة صحةً.

المبحث الثاني: عائدية الحركة إلى الاستعمال.

قد ترجع الفطنة القرائية عند سيبويه إلى قيم نفسية وانفعالية عميقة حينما رأيناه يُركز على سلوك لغوي لا يستغربه جمهور الجماعة اللغوية العربية المتكلمة لنمط تُقلب فيه الحركة أثر تجاور صوتي ، يبثّ متعة إيقاعية من جهة، ويعلن عن تفكير علمي من جهة أخرى في قولهم: «هذا جحر ضبّ خرب». فالوجه عنده «الرفع وهو كلام أكثر العرب وأفصحهم وهو القياس؛ لإنّ الخرب نعت الجحر والجحر رفع، ولكنّ بعض العرب يجره ، وليس بنعت للضب ،ولكنّه نعت للذي أضيف إلى الضب فجرّوه ؛لأنّه نكرة كالضب ،ولأنّه في موضع يقع فيه نعت الضب ،ولأنّه صار هو والضب بمنزلة اسم واحد .ألا ترى أنّك تقول: هذا حب رمان فإذا كان لك قلت: هذا حب رماني فأضفت الرمان إليك ،وليس لك الرمان إنّما لك الحب»[٣٤]. فثمة خصوصية متأتية للغة العربية هاهنا لمّح إليها أبو بشر حينما جمع بين التفكيرين الجمالي والعلمي، الجمالي بما استلطفه نطقاً، محدّداً قيمته بقوله: «وقد اتبعوا الجر الجر كما اتبعوا الكسر الكسر»[٣٥]. والعلمي بتبيانه أصول المعنى النحوي الدلالي المرتكز عليها نمط» هذا جحر ضب خرب» مفسّراً إيّاه أنّ(الخرب) نكرة في موضع يقع فيه النعت فكان والضب اسماً واحداً سوّغ للحركة الإعرابية أنْ تُقلب كسرة والوجه فيه الرفع.

وهذه التجليات السيبويهية النظرية والتطبيقية جعلها متصلة بالتفاعلات النفسية التي احتاجها المتكلم، فامتلك شجاعة كافية في عربيته، لريادة معالم التفكير التجريبي حينما ارتدت العلامة الإعرابية عن الحد، إلّا أنّه ارتدادٌ متزنٌ نهض على طبيعة لغوية استقت مقاديرها البنائية من حقيقة المرجعية اللغوية الاجتماعية المشتركة فصار هذا النمط في الكلام بقلب حركته موازياً لنمط الكلام قبل قلب الحركة بوصفه كلاماً مفهوماً مدرك المعنى من قبل المتلقي بوضوح القصد فيه بتناصف وتكامل، فقد

اتخذ سيبويه من معيارية منطق العقل حداً ينطلق منه إلى الكشف عن التفكير اللغوي مع إمساس بالتجربة الإنسانية استعمالاً، باختيار تواتر نظمي أشار إليه بقوله: « حبّ رمان». فجذّر نمط الكلام عبرها موصلاً بين البنية والمعنى استجابة لمطالب لسانية – سماعية تولدت عن حقيقة جوهر الوظيفة التعبيرية للغة العربية فلا يغدو التمييز ما بين الرفع والجر وارداً، بل أضحى طرف الرفع محيلاً على الآخر باستمداد طاقة لغوية منه إلى الجر، ولاسيما أنّ هذه الطاقة اللغوية قد صادفت نظراً ثاقباً متفهماً تجاوز بتفسيره لهذا النمط كثيراً من التساؤلات التي قد تطرح لتصوّر أنّ هذا النمط عبث تداولي – استعمالي.

ووفاق ما يُستنتج من تأمل هذا التفكير التحليلي لسيبويه أنّ الفائدة انبتت في هذا النمط على تهيئة نفسية امتدت آثارها التشكيلية إلى ضرورة استدعاء الجر بدل الرفع، في إطار قبول بعيد عن الاعتباطية للعناصر اللغوية وانتقائها الكسرة في تلاؤم لفظي بدل الضمة «ويبدو للمتفكر أنّ العلامات اللغوية التي نتلفظ بها مراراً وتكراراً، هي من أوثق الإجراءات التي تحضر من أجل إضفاء مقاييس الاستخفاف اللساني على الملفوظ اللغوي»[٣٦]. فبعض جوانب اللغة لا يمكن وصفه إلّا بالرجوع إلى الكلام على أنّه سلوك اجتماعي في المقام الأول، وقدرة المتكلم على التحكم في كلامه وفقاً للمتغيرات الاجتماعية الملابسة له فهي جزء من كفايته اللغوية ، لا تقل قيمة عن قدرته على بناء التراكيب ونظم الألفاظ ، فمقدار كبير من سلوكنا اللغوي يرتبط في الواقع بشكل وثيق بأنواع أخرى من السلوك الاجتماعي[٣٧].

والأمر الجدير بالتنويه هاهنا أنّ فهم المتلقي لهذا النمط يكون بغير التباس من حيث إنّ السياق الاجتماعي والمرجعية اللغوية المشتركة في أذهان المتخاطبين تُعين على تحديد المقصود ودرء الالتباس. الأمر الذي يُفضي إلى القول إن قرينة التبعية المعنوية أغنت « عن قرينة المطابقة في العلامة الإعرابية وهي لفظية وكان الداعي إلى ذلك داعياً موسيقياً جمالياً هو المناسبة بين المتجاورين في الحركة الإعرابية « [٣٨] لعلّ النتيجة التي نكتسبها اتخاذ أبي بشر من الاستعمال مستوى صوابياً إذا ما أُنطلق فيه من نظرة اجتماعية للغة. وقيمة هذا المعيار التأسيسي استوعبتها نصوصه في قوله: « فقف على هذه الأشياء حيث وقفوا ثم فسّر « [٣٩]. وقوله «فأجرِ الأشياء كما أجروها «[٤٠]. وقوله :» فليس لك في هذه الأشياء إلّا أنْ تجريها على ما أجروها «[٤١]. فهي دعوة منه في التقييد بكلام العرب في منوال كلامهم المستعمل.

ويمكننا بهذا أنْ نستحضر إلحاح أبي بشر على الوقوف على مستوى البنية الإبلاغية بتوافر عناصر الفائدة من الكلام التي توفرها مقاييس في نفوس المتخاطبين لها نظير في أعرافهم ومثاقفاتهم تبيح لهم الخروج عن القواعد الصورية.

إنّنا لا نرتجل القول هاهنا بنجاح سيبويه في الإقناع عبر ما تطلّبته رؤيته هذه بقدر ما كشفت قابلية الإقناع –عنده – عن حمل «النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده»[٤٢]. ولأهمية هذه الآصرة التماسكية اقتنع شيخ البلاغيين الجرجاني بها مؤيّداً إيّاها بقوله: « ليس الغرض بنظم الكلم أنْ توالت ألفاظها في النطق بل تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل «[٤٣].

مما يبدو أنّ سيبويه كان رائداً في توجيه النحاة نحو الاهتمام بفكرة الإتباع الحركي[٤٤] .ومايجيزه الاستعمال فيه.

ونعرض في هذا المجال أيضاً قوله عن العطف على المحلّ بـ (الواو) ،فقد أعدّ باباً لـ»ما يجري على الموضع لا على الاسم الذي قبله وذلك قولك: ليس

زيدٌ بجبانٍ ولا بخيلاً. وما زيدٌ بأخيك ولا صاحبَك والوجه فيه الجرّ؛ لأنك تريد أنْ تُشرك بين الخبرين وليس ينقض إجراؤه عليك المعنى ، وأنْ يكون آخره على أوله أولى ليكون حالهما في الباء كحالهما في غير الباء مع قربه منه»[٤٥] .فثمة فرق في المعنى بين العطف على اللفظ والعطف على المحل إذ الجرّ في المعطوف يعني التوكيد بحكم إرادة الباء أمّا النصب ففيه إشارة إلى بُعد التوكيد عن المعطوف ؛لأنّه ليس على إرادة الباء. وهو ما استدللنا عليه من قول سيبويه « وإذا قلت: ما أنت بزيد ولا قريباً منه فإنّه ليس هاهنا معنى بالباء لم يكن قبل أنْ تجيء بها»[٤٦]. أي أنّ وجود الباء يعني تكثيفاً دلالياً تتسم قيمته بالتوكيد في نص سيبويه الأول .أمّا وجودها في نصه الثاني فليس على إرادة التوكيد. لعدم تضمنه طاقة تأثيرية.

وعلى هذا النحو المعجب مضى يرسم للإتباع الحركي منهجه في ظلّ الاستعمال، فهو لم يكتفِ بالإشارة إلى أنّ التابع مجرور، أو منصوب، أو مرفوع بل يبيّن مواضعه عن طريق هذه القيم «وهكذا تأخذ الحركة عنده معناها النحوي ومعناها الاجتماعي، بل أنّه لا يتم للحركة معناها النحوي عنده ولا يستقيم ذلك إلّا إذا وقعت في أبعادها الاجتماعية الصحيحة « [٤٧]. يتكفّل بيان ذلك قوله: « فاستحسنْ من هذا ما استحسن العرب وأجزْه كما أجازته»[٤٨] ويُستشفّ مما سبق أنّ سيبويه لم يتعدّ في معالجته اللغة العربية نطاق البيئة الواقعية والتداولية لها، بتناول نماذج وعيّنات تركيبية جارية على ألسنتهم وهو ما يلتقي مع اللغويات الحديثة في معالجة الخطاب اللساني المنطوق.

المبحث الثالث: غلبة الاستعمال للدواعي الصناعية[٤٩]

تؤدّي اللغة وظيفتها بترتيب المفردات وتركيبها، لتبلغ غايتها في الإفادة، وهي الإفهام؛ لأنّ «العبارة تقوم منطقياً على ترتيب الكلمات، وأنّ هذا الترتيب يعبر بآن واحد عن حاصل الفكرة وتحليل القول مهما كانت اللغة التي يتم فيها هذا الغرض»[٥٠] .

واستقرأ حقيقة مفادها إدراك سيبويه أن نظم الكلمات في التركيب هو قوام النحو فقد عوّل عليه في تحديد المستوى الدلالي للتركيب النحوي، ولاسيما في تناوله التقديم والتأخير، فهذا التغيير البنيوي يحقق أغراضاً كثيرة أهمها العناية والاهتمام ظاهرة ، إذ يقول:» كأنّهم يقدمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أعنى، وإنْ كان جميعاً يهمانهم ويعنيانهم « [٥١].

وقد احتجّ صاحبنا باستعمال بعض الجوازات التركيبية في ممارسات العرب الكلامية كنمط يحاولون به وجهاً [٥٢] من وجوه العربية، تطبيق ذلك جاء في قول مرار الفقعسي:

«صددتِ فأطولتِ الصدود وقلّما
وصالٌ على طول الصدود يدومُ

وإنّما الكلام وقلّ ما يدوم وصالٌ «[٥٣].

يتجلى تحليل البنية الفعلية لـ (قلّ) أنّه إذا دخلت عليه (ما) كفته عن عمل الرفع وبامتلاكها هذه الصورة الاستعمالية أسعفت أنْ يكون (وصالٌ) [٥٤] فاعلاً للفعل المؤخر (يدوم). وهذا التحليل للهيئة السطحية يدعم حالات وأوضاعاً مقامية تستجيب لحاجات المواقف الحياتية التي تلتقي معها في الغاية الفكرية والمقصدية الأدائية.

فالمتكلم يختار ما يرغب في إيصاله بناءً على عوامل متعددة في المقام الاتصالي، وحالما يحدد المعنى يتعّين عليه استعمال عيّنات اللغة التركيبية ونماذجها التي يبتغي عن طريقها إيصال المعنى، وقد يُفضِّلُ شكلاً على آخر من أجل تقديم معنى انفعالي معين، أو لأنّه يود أن يجعل جزءًا ما أكثر بروزاً من جزء آخر، والبروز سمة خطابية جعلها سيبويه هاهنا بتقديم الفاعل على فعله» وتقديم الفاعل كثيراً ما يكون معناه اختصاص الفاعل بالفعل أو إثباته له ونفيه عما عداه»[٥٥] .

ومن ثم فقد اقتضى فعل الإدراك على هذا التقديم معنى الفاعلية بلحاظ قوله: « وإنّما الكلام وقلّ ما يدوم وصالٌ « وهو معنى يستحيل ملاحظته عند جعل المتقدم متعلقاً بالابتداء ، وتقدير فاعل بعد الفعل المسند أصلاً إلى الاسم المتقدم، فتحوّلُ الفاعل إلى مبتدأ يفقده معنى اختصاص الفاعل بالفعل ،أو إثباته له .فيرسم أبو بشر لأبناء اللغة أنْ يساوقوا بين المتغيرات الخارجية والوجوه الجائزة المناسبة عند استعمال اللغة وقد أثبت البحث اللساني الحديث صحة استنتاج سيبويه بشأن تحصيل دلالة العناية والاهتمام جراء حدوث التقديم لمواضع العناصر المتأخرة، فالتقديم عملية لسانية تنطوي على تحويل مكوّن في الجملة إلى موضوع بارز تُعلّق عليه بقية الجملة [٥٦] .

ولا ريب أنّ هذا المقصود التفصيلي من نص سيبويه السابق يسحبنا إلى الإقرار بحجيّة الاستعمال في درْسه النحوي ،حينما اتبع طريقة أسس فيها لحكم مرتكز على الشكل والمعنى، فإذا وُجِد تغيير في التركيب نتيجة تغيير في المعنى من دون إخلال بالفائدة التي يؤدّيها المقول كان التغيير مثمراً ،فالشعر نمط من أنماط الكلام يضفي باستعماله شرعية على بعض التراكيب المتحررة في رتبها المقيدة أصلاً [٥٧] فمخالفة القواعد النحوية في تعاملات العرب ومحاوراتهم الاتصالية جعلته يوازن بين الهيئة النواة والهيئة المستحدثة مرتكناً إلى الاستعمال الذي يولّدها معطياً نسبة من القوة لهذه الطاقة التصريحية ، والإمكانية الاستيعابية والمعرفية عند المخاطب للمضمون الدلالي حتى أصبح الاستعمال معياراً جوهرياً ،إذ يقول: « فهذا أقوى من أنْ أُحدِث شيئاً لم تتكلم به العرب «[٥٨] .

وليست هذه القيم اصطناعاً سيبويهياً بقدر ما هي دليل استعمالي في مجتمعه. ويُثني ابن جني ثناء مدح على سيبويه، حينما طرد قاعدة التقديم بأنّها للعناية والاهتمام قائلاً: « ولمّا كان النحويون العرب لاحقين وعلى سمتهم آخذين وبألفاظهم متحلّين ولمعانيهم وقصودهم آمّين جاز لصاحب هذا العلم الذي جمع شعاعه وشرّع أوضاعه ورسم أشكاله ...أنْ يرى فيه نحواً مما رأوا ويحذو على أمثلتهم التي حذوا وأنْ يعتقد في هذا الموضع نحواً مما اعتقدوا في أمثاله، لاسيما والقياس إليه مُصغٍ، وله قابل، وعنه غير متثاقل ، فاعرف إذا مانحنٌ عليه للعرب مذهباً ولمن شرح لغاتها مُضطرباً ،وأنّ سيبويه لاحقٌ بهم، وغير بعيد فيه عنهم، ولذلك عندنا لم يتعقب هذا الموضع أحدٌ من أصحابه ولا غيرهم ولا أضافوه إلى مانَعَوه عليه ،وإنْ كان بحمد الله ساقطاً عنه وحريٌّ بالاعتذار هم منه»[٥٩] .

ومما يبدو من معالجات سيبويه أنّ له نظرة استقرائية عميقة لظواهر التخاطب والمشافهة الجارية بين الناس والتي تبرز في استعمالاتهم المختلفة للغة بحسب ما تقتضيه الأحوال فربما تقتضي المعايير المقررة في النظام شيئاً، إلّا أنّ الاستعمال يفرض شيئاً آخر من جهة التوسع في التعبير والخروج عن الاستعمال الاعتيادي للغة ما دام مؤدّى ذلك إلى غير لبس في المعنى ، ويصل به إلى الغاية التي يهدف إليها .فالترتيب يقوم وظيفياً بتحليل الجملة على مبدأ البروز الدلالي .

ونكرر متكئين على أساس رياضي في تعداد النماذج اللغوية المعالَجة في كتاب سيبويه بوصفها واقعاً استعمالياً فسَحَ نطاقه بإيراد تطبيقات لعيّنات كلامية متداولة تتجاذبها معايير النظام في بنيته الخطابية من جهة ومعايير المنزلة الاجتماعية من جهة أخرى .ويحصل الانسجام بالاستعمال، فتكون طبيعة بناء التركيب العربي عبر صدوره عن كلام العرب ،وهو ما انعكس صداه في الاسم الموصول في خصيصة دخول الفاء على الخطاب الإخباري الاسمي، فتتمركز دلالة الجزاء على بنيته السطحية ، فيسلك مسلكه لعلاقة مقاربة، مما يكسبه قيمة دلالية أخصب من إمكانيته الأصلية الأولية فقد أورد «الذي يأتيني فله درهمان «[٦٠] . مشيراً إلى أنّ المخاطب «جعل الآخر

جواباً للأوّل، وجعل الأوّل به يجب له الدرهمان، فدخلت (الفاء) هاهنا ،كما دخلت في الجزاء إذا قال : (إنْ يأتِني فله درهمان) «[٦١] . ويورد أبو بشر هذا النمط مجرّداً من دلالة الجزاء، في الاستعمال اللغوي فيُقال (الذي يأتيني له درهمان)[٦٢]. ويُعيّن الخيوط الدلالية لهذه الازدواجية الإخبارية الجزائية في التركيب النظمي للاسم الموصول قائلاً: « إنّه إنّما أدخل (الفاء) لتكون العطية مع وقوع الإتيان، فإذا قال) :له درهمان) فقد يكون أنْ لا يوجب له ذلك الإتيان، فإذا أدخل (الفاء) فإنّما يجعل الإتيان سبب ذلك، فهذا جزاءٌ، وإنْ لم يُجزم ؛لأنّه صلة»[٦٣]. فالجملة بغير الفاء احتمالية؛ لأنّ العطية غير مترتبة على الإتيان، بل هو مستحقه قبل ذلك. وتحتمل كذلك أنْ يكون الاسم الموصول هاهنا مشبهاً بالشرط، فالعطاء مترتب على الإتيان، فكلّ مَنْ يأتي يستحق العطية. أمّا الجملة مع (الفاء) فدلالتها قطعية من حيث إنّ المعنى فيها شرط وجزاء وهذه الفاء واقعة في جواب (الذي) وهي بمنزلة وقوعها في جواب الشرط أي العطية مترتبة على الإتيان[٦٤].

والدليل على أنّ (الذي) في معاييره النحوية يحيل على الجزاء في معاييره الاستعمالية أنّ سيبويه عقد له باباً سمّاه (باب ما تكون فيه الأسماء التي يُجازى بها بمنزلة الذي)[٦٥]. أي أنّ هذه الأسماء الموصولة يُجازى بها بإمكانية استعمالية على وفق جدولة سيبويه لها.

إنّ تعمّق سيبويه في معالجة هذا التحوير تجعلنا أمام حقيقة أنّه لم يفته ربط وقوع ذلك بدائرة المعنى. فلا يخرج منها سواء أكان مندرجاً في إطار الوصف، أم التفسير، وإلّا فهو خارج إطار اللغة. وهو ما أدركه سيبويه عملياً حينما جعل الاستعمال حجة ومقياساً لتسويغ تحليلاته النحوية، بل وتصويبها والدفاع عنها، فكانت العربية عنده حقلاً خصباً لاكتشاف الوظائف التعبيرية عن طريقه بما يعلن عن لسانيات حوار مثلت نظرية غير ذهنية للمقصدية الخطابية.

نتائج استعمالات سيبويه:

لعلّ كلّ مستطاب يعسر الانقطاع عنه وهذا هو شأن الكتاب، ننقطع عنه إلى نتائج هي:

١- خضوع اللغة لأثر الاستعمال والاعتماد عليه هو أقرب إلى روح اللغة، وأبعد ما يكون عن فلسفة الظاهرة؛ لأنّ الاستعمال لا يخضع للمنطق وهو ما اتضحت صورته في كتاب سيبويه.

٢- إنّ اعتماد الاستعمال في تحليل الظواهر وتفسيرها وتعليلها منهج عماده الحس اللغوي وقد ارتكن سيبويه إلى ذلك بالاستقراء والتتبع.

٣- قادتنا الإحاطة بمستلزمات الاستعمال (المتكلم-المخاطب –المقام) في كتاب سيبويه إلى أنْ نقول إنّ كثيراً من الأفكار التي توارثتها أجيال الحداثة إذا فُهمت حقيقة أفكارها فإنّما هي سياق تطويري لما ورد في الكتاب بما فتحه لها من منافذ للاجتهاد والاستزادة في السيرورة الطبيعية التي يتطلبها نمو الفائدة.

٤- وازن سيبويه عبر الاستعمال بين أنماط مختلفة تشكيلاً متناسقة تعبيراً، فكانت الأنماط متشاكلة تشاكلاً مكافئاً للنظام النفسي الذي يُؤطر لحظة التكلم حينما يُقدّر هذا النظام قراءة الأبعاد التواصلية اللازم اعتمادها.

٥- وظف سيبويه طاقته التأملية للإلمام بمكونات الأنماط المنقلبة وظيفياً بحكم الاستعمال، بأنّ ثمة فرقاً من جهة التكثيف الدلالي فيها، تبعا لما يسبغه المتكلم على كلامه من قيم التفهّم؛ لأنّ تأليف الكلام على لسانه مرتبط بتأليف الإفهام عند المخاطب، ومن هنا تجد أنّ افتقار المتكلم لتحفيز المخاطب يصفه سيبويه بـ (القبيح) أحياناً أو (لم يجز) إذا كان النمط فاقداً لإنتاج صورة توضّح المقصود.

الهوامش

١. البحث الدلالي ص٣٧٣.

٢. البحث النحوي عند الأصوليين ص٣٨.

٣. لا نعني بالفاعل هاهنا الوظيفة النحوية بل نعني به منفذ العملية الكلامية.

٤. رأى جورج مونان أنّ قضايا اللغة كانت ملابسة لقضايا المعتقد في كلّ الحضارات التي عُرفت بكتاب سماوي، ينظر تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين ص٢٥.

٥. المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية في العالم العربي ص٣٧٩وينظر آليات تحليل الخطاب ص٢٤ والاستعمال اللغوي وعلم المخاطب في كتاب سيبويه مقال الكتروني على شبكة الفصيح.

٦. الكتاب١/٥٥.

٧. الكتاب١/٢٥٣و٣/٧.

٨. الكتاب١/٢٢٤.

٩. الكتاب ٢/٥٣.

١٠. التبصرة في أصول الفقه ص٢٣٢، وينظر أثر القراءة الافتراضية في التخريجات النحوية دراسة في التراث ص٤.

١١. الكتاب ٣/:٧، و ينظر ٢/٦و٢/٢٩٧.

١٢. الكتاب ٢/٣٤٤.

١٣. المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم ص٢٠٤-٢٠٥، وينظر التعليل بكثرة الاستعمال ص٥.

١٤. الكتاب ٢/١٦٣.

١٥. الكتاب ١/٢٥٧. والآية من سورة البقرة/١٣٥.

١٦. الكتاب ١/٢٨٤.

١٧. الكتاب ٢/٢١٤.

١٨. التفكير اللساني في الحضارة العربية ص٣٣٢.

١٩. ينظر علم اللغة الاجتماعي ص١٩وص٢٣وص٢٢٩.

٢٠. تعني الاستقامة على وفق النظر السيبويهي عدم الخروج عن القواعد والقوانين الخاصة بتركيب الجملة وقَبِله أبناء اللغة، فالكلام المستقيم ما وضعت ألفاظه في مواضعها، أمّا الإحالة فقد عرّفها سيبويه بقوله: « أنْ تنقض أول كلامك بآخره». الكتاب ١/٢٥.

٢١. الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه ص٣٢٥، وينظر النحو العربي والبنيوية واختلافها النظري والمنهجي ص٢٨وقواعد تحويلية للغة العربية ص٢٢.

٢٢. اللغة بين المعيارية والوصفية ص١٦.

٢٣. لسانيات النص ص١٧وينظر البحث الدلالي ص١٩٢-١٩٣.

٢٤. الكتاب ١/٢٥-٢٦.
٢٥. الوظيفية في كتاب سيبويه ص٧٦وينظر المدرسة الخليلية والدراسات اللسانية في العالم العربي ص٣٧٩. وآليات تحليل الخطاب ص٢٣-٢٤.
٢٦. نحوي عربي من القرن الثامن للميلاد ص٣٠.
٢٧. الروم/٥١.
٢٨. الكتاب ٣/١٠٨.
٢٩. الدر المصون ٩/٥٤.
٣٠. الكتاب ١/٣٣٢.
٣١. الكتاب ١/١٨١.
٣٢. ينظر الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية ص١٢٦.وبنيوية ص٢٧٨.
٣٣. نشأة الدراسة الدلالية العربية وتطورها ص٧.
٣٤. الكتاب ١/٤٣٦.
٣٥. الكتاب ١/٤٣٦.
٣٦. نظرية الاستثقال والاستخفاف ص١٤٤.
٣٧. ينظر أثر الأعراف الاجتماعية في مسيرة العربية ص١٥.
٣٨. اللغة العربية معناها ومبناها ص٢٣٤.
٣٩. الكتاب ١/٢٦٦.
٤٠. الكتاب ١/٤١٩، و٢/٣٩٠.
٤١. الكتاب ١/٢١٨.
٤٢. منهاج البلغاء ص٢٠.
٤٣. دلائل الإعجاز ص٤١.
٤٤. ينظر بلاغة العطف في القرآن الكريم ص٥٨، ومعاني النحو ١/٢٨٣.
٤٥. الكتاب ١/٦٧.
٤٦. الكتاب ١/٦٩.
٤٧. الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه ص٣٣٠.
٤٨. الكتاب ٢/٦٩.
٤٩. نعني بالدواعي الصناعية تلك الضوابط التي تحكم التركيب فتوجهه توجيهاً يوضّح المعنى المراد ويخضع هذا المعنى إلى التكيف معها.
٥٠. تاريخ علم اللغة ص١٤٧.
٥١. الكتاب ١/٣٤.

٥٢. يقول أبو بشر:» وليس شيء يضطرون إليه إلّا وهم يحاولون به وجهاً وما يجوز في الشعر أكثر من أن أذكره لك هاهنا». الكتاب ٣٢/١.

٥٣. الكتاب ٣١/١.

٥٤. تجب ملاحظة أنّ تقديم الفاعل على الفعل هاهنا وضعية شارطة ببقائه فاعلاً لا صيرورته مبتدأ؛ لأنّ سلوكه مسلك المبتدأ سيفقده المعنى المراد منه.

٥٥. جوانب من نظرية النحو ص١٨٥.

٥٦. ينظر الملفوظية ص١٠، وأسباب التعدد في التحليل النحوي ص٧، واللسانيات واللغة العربية ص١٢٨.

٥٧. لأنّ الفاعل بعد الفعل في الأصل.

٥٨. الكتاب ٣٧٩/٣.

٥٩. الخصائص ٣٠٨/١-٣٠٩.

٦٠. الكتاب ١٠٢/٣.

٦١. الكتاب ١٠٢/٣.

٦٢. الكتاب ١٠٢/٣.

٦٣. الكتاب ١٠٢/٣.

٦٤. ينظر معاني النحو ١٧/١، والمنهج الوصفي ص٢٨٩. والبحث الدلالي في كتاب سيبويه ص٢٣٩.

٦٥. الكتاب ٧٢/٣.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

١- آليات تحليل الخطاب في كتاب سيبويه-د. بشير أبرير – مجلة كلية الآداب واللغات- العدد (١٠)- جامعة محمد خيضر بسكرة-٢٠١٢م.

٢- أسباب التعدد في التحليل النحوي (بحث)-د. محمود حسن الجاسم – مجمع اللغة العربية –جامعة حلب.

٣- أثر الأعراف الاجتماعية في مسيرة العربية – د. محمد رباع – مجلة البلقاء للبحوث والدراسات- المجلد(١١) -العدد(١) -٢٠٠٥م.

٤- أثر القراءة الافتراضية في التخريجات النحوية –دراسة في التراث-عرابي أحمد-مجلة جذور – المجلد(١٢) -العدد (٣).

٥- الاستعمال اللغوي وعلم المخاطب في كتاب سيبويه –مقال الكتروني على موقع شبكة الفصيح.

٦- الاستقراء والمنهج العلمي –د. محمود محمد فهمي زيدان-دار المعرفة الجامعية الإسكندرية-١٩٨٨م.

٧- البحث الدلالي في كتاب سيبويه – دلخوش جار الله حسين-دار دجلة –عمان-الأردن-٢٠٠٧م.

٨- البحث النحوي عند الأصوليين-د. مصطفى جمال الدين-منشورات وزارة الثقافة والإعلام –دار الرشيد للنشر-١٩٨٠م.

٩- بلاغة العطف في القرآن الكريم –د. عفت الشرقاوي-دار النهضة العربية للطباعة والنشر-بيروت-١٩٨١م.

١٠- بنيوية - د. عبد الله الغذامي – مجلة عالم الفكر– المجلد(٢٧) -العدد(٤) -الكويت-١٩٩٩م.

١١- تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين- جورج مونان-ترجمة د. بدر الدين القاسم –مطبعة جامعة دمشق -١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

١٢- التبصرة في أصول الفقه –الشيرازي-شرح وتحقيق حسن هيتو –دار الفكر-دمشق-بيروت-١٩٨٠م.

١٣- التفكير اللساني في الحضارة العربية –د. عبد السلام المسدي – الدار العربية للكتاب – تونس-١٩٨١م.

١٤- جوانب من نظرية النحو – نعوم تشومسكي- ترجمة مرتضى جواد باقر-مطابع جامعة الموصل-١٩٨٥م.

١٥- الخصائص-أبو الفتح عثمان بن جني(٣٩٢ هـ)-تحقيق: محمد علي النجار- دار الهدى للطباعة والنشر- ط٢- بيروت- (د.ت).

١٦- الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج لساني معاصر –د. عبد الله الغذامي –النادي الأدبي الثقافي-ط١-السعودية -١٩٨٥م.

١٧- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون – أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي(٧٥٦هـ)- تحقيق: أحمد الخراط- دار القلم –دمشق-(د.ت).

١٨- دلائل الإعجاز-عبد القاهر الجرجاني(-٤٧١هـ) – تحقيق: محمود محمد شاكر-مكتبة الخانجي-ط٥- القاهرة-٢٠٠٤م.

١٩- علم اللغة الاجتماعي-هدسون -ترجمة محمود

عبد الغني عياد-دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد-١٩٨٧م.
٢٠- قواعد تحويلية للغة العربية – محمد علي الخولي-دار المريخ-المملكة العربية السعودية-١٩٨١م.
٢١- كتاب سيبويه-أبو بشر عثمان بن قنبر(-١٨٠هـ)- تحقيق: عبد السلام محمد هارون- عالم الكتب –بيروت-(د.ت).
٢٢- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب – محمد خطابي –المركز الثقافي العربي-ط١-١٩٩١م.
٢٣- اللسانيات واللغة العربية –عبد القادر الفاسي الفهري –منشورات عويدات –بيروت-١٩٨٦م.
٢٤- اللغة العربية معناها ومبناها –د. تمام حسان-الهيئة المصرية العامة للكتاب –القاهرة -١٩٧٣م.
٢٥- المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية في العالم العربي –مجلة اللسانيات –المجلد(١) -العدد(٢) -٢٠١٢م.
٢٦- المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم –خليفة الميساوي-ط١-٢٠١٣ – الجزائر.
٢٧- معاني النحو-د. فاضل السامرائي-مطبعة التعليم العالي –جامعة الموصل-١٩٨٧م.
٢٨-منهاج البلغاء وسراج الأدباء –أبو الحسن حازم القرطاجني –تحقيق: الحبيب بن الخوجة –الدار العربية-تونس -٢٠٠٨م.
٢٩- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه –د. نوزاد أحمد حسن-دار دجلة -ط١ –عمان-(د.ت).
٣٠- الملفوظية- جان سيرفوني- ترجمة د. قاسم المقداد-منشورات اتحاد الكتاب العرب-١٩٩٨م.
٣١- النحو العربي والبنيوية واختلافها النظري والمنهجي –عبد الرحمن الحاج صالح-مجلة الآداب – العدد(٧) -جامعة قسنطينة.
٣٢- نحوي عربي من القرن الثامن للميلاد (دراسة عن منهج سيبويه في النحو) -مايكل جي كارتر-مجلة المورد – دار الشؤون الثقافية العامة –المجلد()٢٠-العدد(١) -١٤١٢هـ -١٩٩٢م.
٣٣- نشأة الدراسة الدلالية العربية وتطورها –د. أحمد عزوز-مجلة التراث-العددان(٨١-٨٢) -دمشق-٢٠٠١م.
٣٤- نظرية الاستخفاف والاستثقال-بيض القول ميلود –الجزائر -٢٠٠٩م.
٣٥- الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه-د. نهاد الموسى-عمان -الأردن -١٣٥٣هـ.
٣٦- الوظيفية في كتاب سيبويه-أطروحة دكتوراه-د. رجاء عجيل الحسناوي-جامعة كربلاء-كلية العلوم الإنسانية -٢٠١٣م.

كسرُ أفق التوقع في
خُطبة السيدة الزهراء (عليها السلام)

Shattering the “Horizons of Expectation” in Fatimah Al – Zahra’s (a.s.) Sermon

أ.م.د. طلال خليفة سلمان
كلية التربية للبنات / جامعة بغداد

Dr.Talal Kalifa Salman
College of Education for Women, University of Baghdad

ملخص البحث

يكشف البحث عن ماهية مفهوم كسر أفق التوقع الذي يعد من المفاهيم المهمة التي طرحها الألماني (هانز روبرت ياوس)، والذي يعدّ هو ومواطنه (وولفجانج إيزر) قطبي نظرية التلقي التي نشأت في أحضان مدرسة كونستانس الألمانية، فهذا المفهوم بمقدوره أن يفعّل علاقة المتلقي مع النص، ويسعى إلى أن تكون هذه العلاقة تبادلية تسير فيها عملية القراءة في اتجاهين متبادلين من النص إلى القارئ، ومن القارئ إلى النص، بدل أن تكون هذه العلاقة أحادية من النص إلى القارئ فقط.

فقد توصل البحث إلى أن ثمة ثلاثة أنواع من كسر أفق التوقع، هي كسر أفق التوقع الاجتماعي، والموضوعي، والأسلوبي، فقد رصد البحث آلية كسر أفق التوقع في خطبة السيدة الزهراء (ع) وظهر بشكل جلي وواضح بوساطة تقنية التقديم والتأخير، في حين ظهر بشكل قليل عن طريق الحذف والذكر، أما التقديم والتأخير فقد ظهر عبر تقديم الجار والمجرور على المفعول به، وعلى الفاعل، وعلى الخبر وهي أساليب لم تكن مطروقة قبلئذٍ.

Abstract

The research unveils the concept Horizons of Expectation originated from Hans Robert Jauss.He and his countryman , Wolfgang Iser , were notable for the reception theory which was founded in German Constance School. This concept emphasizes that the meaning of a text is not inherent within the text itself, but is created by the relationship between the text and the reader, that is on the text-reader relationship. The text remains incomplete without the reader.

The study has founded three types of horizons of expectation in Fatimah Al – Zahra's sermon: social , objective , and stylistic . The tendency of shattering the horizons of expectation is notably clear in this sermon through the technique of putting first and putting last , while it is not much clear in the technique of omission and inclusion.

المقدمة

مفهومُ كسر أفق التوقع من المفاهيم المهمة التي طرحها الألماني (هانز روبرت ياوس)، الذي يعدّ هو ومواطنه (وولفجانج إيزر) قطبي نظرية التلقي التي نشأت في أحضان مدرسة كونستانس الألمانية، فهذا المفهوم بمقدوره أن يفعّل علاقة المتلقي مع النص، ويسعى إلى أن تكون هذه العلاقة تبادلية تسير فيها عملية القراءة في اتجاهين متبادلين من النص إلى القارئ، ومن القارئ إلى النص، بدل أن تكون هذه العلاقة أحادية من النص إلى القارئ فقط.

سنحاولُ في هذا البحث أن نطبق مفهوم كسر أفق التوقع على خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام)، وهو يمثل منهجنا في تطبيق مناهج تحليل النصوص الحديثة وآلياتها الكثيرة والمتنوعة على النصوص التراثية؛ إيمانا منّا بأن تراثنا العربي فيه من العمق والشمول، وتنوّع النصوص وغزارتها ودقتها وأهميتها ما يمثل حافزاً مهماً لنا لكي نحاول تأصيل بعض المفاهيم من تراثنا الثر، ولكي نزاوج بين التراث والحداثة، ولاسيما بعد التطوّر المطّرد في المناهج النقدية الحديثة، النصية منها، وما بعد النصية.

احتوى البحث على مقدّمة نظرية عن نظرية التلقي، ومفهوم أفق التوقع، والمسافة الجمالية، وصولا إلى مفهوم كسر أفق التوقع الذي سيكون المجال التطبيقي للدراسة، وبعد المقدمة انقسم البحث على ثلاثة أقسام هي كالآتي:

١. كسر أفق التوقع الاجتماعي.

٢. كسر أفق التوقع الموضوعي.

٣. كسر أفق التوقع الأسلوبي.

وذيّلنا البحث بخاتمة ذكرنا فيها النتائج التي توصّلنا إليها.

إنّ خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام) من الخطب المهمة في تأريخ الخطابة العربية بشكل عام، وفي تأريخ الخطابة النسوية بشكل خاص، إذ إنها تعدّ من النصوص المبكرة التي تؤسس لتأريخ الخطابة النسوية في تأريخ الأدب العربي، فضلا عن أنّها تظهر بلاغة المرأة في تلك الفترة من التأريخ، وقدرتها على الخروج والخطابة والاحتجاج في ذلك المجتمع الذكوري، الذي كان يحرم المرأة من بعض حقوقها؛ ولاسيما حقها في بيان رأيها صراحةً أمام المجتمع، وقيامها بكشف بعض الأدواء الاجتماعية التي كانت سائدة وقتذاك، وتشخيصها، ومحاولتها علاج تلك الأدواء علاجاً قد يعجزُ بعض الرجال عنه، انطلاقا من حرصها على هذا المجتمع الذي تشكل نصفه الذي يكاد يكون مغيّباً في الكثير من الأحيان. كما انها تظهر قدرة المرأة على المطالبة بحقوقها كلما أحسّت بالحاجة إلى ذلك، وكلما رأت هيمنة المجتمع الذكوري وسعيه إلى السيطرة على مقدّراتها، وغصب ما تراه حقّاً لها كفلته لها الشرائع السماوية والقوانين الوضعية.

ولأهمية هذه الخطبة من الناحية التاريخية والموضوعية، ولتميّزها من الناحية الفنية، ولمنزلة صاحبتها عند

المسلمين، كيف لا وهي ابنة النبي الأعظم (ﷺ)، الذي قال: «أنا أفصحُ العرب بيد أنّي من قريش»، ولبلاغتها وفصاحتها، ولأثرها الكبير في المتلقي سامعاً كان أو قارئاً، فإننا سوف نخصص بحثنا هذا لندرس كسر أفق التوقع فيها. وموضوعة كسر أفق التوقع من الموضوعات المهمة في نظرية القراءة والتلقي، فقد عني النقد الألماني، ولاسيما أقطاب مدرسة كونستانس بجمالية التلقي، وأفاد من الكثير من التيارات المعرفية كالفلسفة الظاهراتية وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم اللغة والسيميائية والتداولية والهرمونوطيقا، ويعدّ هانز روبرت ياوس من رواده الذين أرادوا تجاوز النظرة الأحادية في تقويم الأدب، وطالبوا بفهم القراءة على أنَّها فعل تحاوريّ وجدليّ بين النص ومتلقيه، فالنصّ ((بنية تقديرية – كما يقول ياوس- ولذلك فهو يحتاج إلى دينامية لاحقة تنقله من حالة الإمكان إلى حالة الإنجاز ومن حالة الكمون إلى حالة التحقق، بمعنى أنه لا يجوز القول بوجود المعنى الجاهز أو النهائي في النص، وإنما معناه المرتقب ناتج عن فعل القراءة ومغالبتها التي هي عبارة عمّا سيتولد بين النص وقارئه، بين البنية الأصلية أو السنن الأول وبين خبرات القارئ أو أفق انتظاره))[١] وتوقعه.

لقد كان النقد الأدبي حريصا على إعطاء المتلقي الاهتمام الذي يستحقه ويليق به، عبر الوقوف على بعض الظواهر والمنبّهات الأسلوبية التي تسهم في إيقاظ وعيه، وتحقيق مشاركة جيدة وتفاعل إيجابي بعيد عن التلقي السلبي الذي يخلو من الحيوية والتفاعلية والإثارة، وقد أشار بعض النقاد والبلاغيين العرب إلى بعض المسميات مثل الاستغراب والإبهار والإثارة والاستطراف والاستفزاز والمفاجأة؛ لدورها المؤثر والكبير في إظهار الفائدة واللذة والتفاعل في أثناء تلقي النص وقراءته من متلقيه[٢].

يطرح النص الأدبي أمام المتلقي تساؤلات كثيرة وفرضيات تبنى على العلاقة المفروض قيامها بين منتج النص الأول وهو المؤلف، ومنتج النص الثاني وهو المتلقي، والفرضية المتوقعة عن طريق التحليل هي الفهم، إذ يفترض فان ديك Van Dijk الافتراض الآتي:

حتى يتمكن المتلقي سواء أكان مستمعا أم قارئا من استعمال نصّ معين في مقام تواصلي ما، عليه أن يسعى لفهم هذا النص، لذلك سيركز على ما يسميه (فهم النص)[٣]، وبهذا يزداد التفاعل بين النص والمتلقي.

يعدّ مفهوم أفق التوقع من المفاهيم المهمة التي طرحها هانز روبرت ياوس في نظرية التلقي، فهو – حسب ياوس- ((نظام من المرجعيات المشكّلة بصفة موضوعية وهو مع كل عمل في اللحظة التاريخية التي يظهر فيها، ينشأ من ثلاثة عوامل أساسية: التجربة المسبقة التي اكتسبها الجمهور حول الجنس الذي ينتمي إليه النص، شكل وموضوعاتية الأعمال السابقة التي يفترض معرفتها، والتعارض بين أسلوب اللغة الشعرية وأسلوب اللغة العملية، العالم الخيالي والواقع اليومي))[٤].

يأتي أفق التوقعات من خبرة قديمة بأعمال سابقة عند القارئ، ويلتقي بالنص الجديد الذي يتلقاه، ((وحينئذ

فتوقعاته قد تكون تنويعا على ما سبق أو تصحيحاً له، أو تبديلاً كاملاً أو مجرد توقعات قديمة تنبعث من جديد))[٥]، ويشير ياوس في أثناء حديثه عن أفق التوقع إلى أنّ اعتماد هذا المفهوم في التاريخ الأدبي والنقد الأدبي، من شأنه أنْ يدفع باتجاه تخليص التجربة الفنية للمتلقي من النزعة النفسية، فضلا عن أنه يمكّن من تحديد القيمة الجمالية للأثر الفني والأدبي دون أن تغفل أنه يسمح عبر إعادة صياغته وبنائه، بطرح الأسئلة نفسها التي يُفترض أنَّ ذلك الأثر قد اقترح إجابات لها حينما تم تلقيه لأول مرة، وبذلك يتم إظهار الكيفية التي فهم بها القارئ ذلك الأثر في الفترة الأولى من تلقيه، وبيان الأثر أو الآثار التي أحدثها فيه[٦].

إذن يمكننا أن نعدّ مفهوم أفق التوقع من المفاهيم الاساسية والرئيسة في نظرية التلقي بحسب رؤية ياوس، فهو يعد أفق التوقع أساسا للقراءة والتفسير وأساسا لإبداعية النص، ((وهو مفهوم يضع منظومة التوقعات والافتراضات الأدبية والسياقية التي تكون مترسبة في ذهن القارئ حول نص ما - قبل الشروع في قراءة النص – وهي فروض وتصورات قد تكون فردية لدى شخص محدد حول نص محدد، وقد تكون تصورات يحملها جيل أو فئة من القرّاء))[٧]، وقد تتطابق هذه المنظومة مع النص، وقد لا تتطابق، وفي حال عدم التطابق يحدث كسر أفق التوقع.

إنّ المتلقي حين يشرع ((في قراءة عمل حديث الصدور فإنه ينتظر منه أن يستجيب لأفق انتظاره، أي ينسجم مع المعايير الجمالية التي تكوّن تصوّره للأدب، لكن للعمل أيضا أفقه الخاص كما أسلفنا، الذي قد يأتلف مع أفق القارئ، مما ينتج عن ذلك حوار أو صراع بين الأفقين))[٨]، وقد اصطلح على تسمية هذا الصراع الذي يحدث بين ما يظهره النص، وبين ما يتوقعه القارئ بمصطلح المسافة الجمالية[٩]، وإذا ما نقض النص توقّع القارئ أو خيّبه، ((فإنه يكون قد ملك إمكانية تحويل أفقه ووجَّهَه وجهة أخرى لم تكن لتخطر على باله، مما يجعله يحتاج إلى إعمال مبدأ القراءة الواعية التي لا تقرأ النص وفق أفقها، وإنما تبحث عن طريقة أخرى تنسجم وأفق النص، وبهذا يتحقق دور النص الذي لا يسعى إلى تثبيت الأفق، وإنما إلى خرقه))[١٠]، ومفاجأة المتلقي بهذا الخرق.

والمسافة الجمالية مصطلح أطلقه ياوس، وهو يعني به ((التعارض بين ما يقدمه النص، وبين ما يتوقعه القارئ))[١١]، ويرى ياوس أنّ أفق التوقعات مفهوم يسمح للمتلقي بتحديد سمات النص الفنية بوساطة تأثيره، ونوع هذا التأثير ودرجته [١٢]، فالمسافة الجمالية بين أفق النص وأفق المتلقي هي خير ما يمكن الاحتكام إليه لتحديد جمالية الأدب، إذ أصبح مدى انزياح النص عن المعايير القارّة عند القارئ، وتغييره لأفق توقعه، مقياسا لتقدير القيمة الجمالية للأدب، فكلما كان أثر كسر أفق التوقع قوياً، كان النص ذا قيمة فنية عالية، وذا تأثير واضح في المتلقي[١٣].

إنّ القارئ حينما يواجه تعارضاً وصداماً مع موقفه ووعيه وخبرته، ومع المفاهيم الراكسة لديه، وحينما تُخلخَل توقعاته وافتراضاته، تظهر لديه إمكانية

التفاعل مع النص، وهذا التفاعل كفيل بتفعيل الحس الجمالي لديه، إذ بمقدور اللا توقع، أو كسر أفق التوقع أن يفعّل علاقة المتلقي بالنص، وينأى بها عن أن تكون علاقة أحادية، من النص إلى القارئ، إلى علاقة تبادلية تسير فيها عملية القراءة في اتجاهين متبادلين، من النص إلى القارئ، ومن القارئ إلى النص[١٤]، وبذلك يحدث التفاعل المرجو بين النص والمتلقي.

تعدّ الطريقة التي يتم بوساطتها ضبط الحوار بين المتلقي والنص من أهم جوانب نظرية الاتصال، وتتمظهر هذه الطريقة في العلاقة الجدلية بين التوقع واللا توقع، فالتوقع هو ((انتظار يشوبه التمني))[١٥] ، أما اللا توقع فهو كسر لهذا الانتظار، ومفاجأة تواجه عملية التوقع، وقد ربط نقاد نظرية التلقي، وعلى رأسهم ياوس، قيمة النص وفنيته بمدى احتوائه على انزياحات تتصادم مع معايير القارئ، وتعديله لأفق توقعاته، فالنص لا يؤدي وظيفته إلّا بوصفه سلباً للمعايير – كما يرى إيزر- وسيصبح الأدب فارغاً إذا اقتصر على المألوف والمتوقع، وهو يعتقد أن المنطقة المألوفة مهمة لأنَّها تقود إلى اتجاه غير مألوف ولا متوقع [١٦]، كما أن كسر الأفق ((يسمح بإدراك الخاصية الفنية للعمل، بالقياس إلى المسافة الجمالية، أي بالقياس إلى المسافة بين التوقع والتجربة، بين التقليد والتجديد)) [١٧]، فالنص الجديد عند ظهوره يكشف عن نمط أو طريقة يتجلى بها لجمهوره الأول، فإما أن يستجيب لأفقه أو يتجاوزه أو يدحضه ويكسره [١٨] فإذا ما كسر هذا الأفق فإنه سينماز بفنية عالية، وبدرجة تلقٍ عالية، وهذا يدل على أهمية هذا العنصر في النص الأدبي مهما كان نوعه؛ لأنه يحفز على إثارة التفاعل بين النص والمتلقي، ويجعل من هذا الأخير متلقياً إيجابياً وليس سلبياً.

بعد ان ظهر لنا اهمية كسر أفق التوقع في اثارة المفاجأة عند المتلقي, وفي جذب انتباهه, ومن ثم تفاعله مع النص الذي يتلقاه, سواء أكان سامعا أم قارئا له, فإنّنا نحاول في هذا البحث أن نطبق هذا المفهوم على خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام), وسوف لا تقتصر الدراسة على التركيز على محور كسر أفق التوقع الاسلوبي فقط, الذي يظهر عبر الانزياحات كالتقديم والتأخير والحذف والذكر مثلا – كما رأينا في بعض البحوث التي اطلعنا عليها - , وانما سنحاول ان نجد روافد أخرى لكسر أفق التوقع ظهرت في خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام).

انَّ إنعام النظر في حدث مجيء السيدة الزهراء (عليها السلام) الى المسجد لتلقي خطبتها أمام الناس, وتحليل موضوعات الخطبة, وتسلسلها على وفق نسق معين أرادته وسعت الى ابانته وتنبيه المتلقين عليه, وتحليل لغة الخطبة وبيان الانزياحات الاسلوبية التي ظهرت فيها, يظهر لنا أنّ ثمة أكثر من نوع من كسر أفق التوقع في الخطبة يمكن انْ ندرجه في محاور ثلاثة كما يأتي:

١- كسر أفق التوقع الاجتماعي.

٢- كسر أفق التوقع الموضوعي.

٣- كسر أفق التوقع الاسلوبي.

كان العرف الاجتماعي عرفا ضاغطا على الكثير من مفاصل المجتمع العربي منذ العصر الجاهلي, وكانت المرأة الضحية الأبرز من ضحايا الأعراف الاجتماعية، فكثيرا ما كان النسق الاجتماعي يشكل حائلا مهما وعقبة كؤوداً امام المرأة وسعيها إلى طلب حقوقها وأخذ دورها الذي أعطاها إياه الله سبحانه في الحياة. وإذا جئنا الى العصر الجاهلي سنجد مقدار الحيف والضغط الاجتماعي الذي وقع عليها، اذ تصف الكثير من الآيات القرآنية , ولاسيما ما ورد في سورة النساء، صور الظلم وعدم العناية وعدم الاكتراث بهذا الكائن الرقيق:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[١٩]، فالآيتان الكريمتان تشيران إلى أكثر من نوع من الظلم كان يقع على المرأة وهو كما يأتي:

١. وراثة نكاح النساء بالغصب والإكراه، فقد كان أهل الجاهلية إذا ما مات أحدهم جاء ابنه من غير هذه المرأة، أو وليّه فورثها كما يرث ماله وما يملك، وألقى عليها ثوبه، فإن أراد تزوجها بمهرها الأول، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها [٢٠].

٢. العضل وهو التضييق على المرأة، فقد كان الرجل يضيّق على زوجته كثيراً ويؤذيها؛ لكي تطلب منه الطلاق وتعطيه مالا من أجل أن تفك نفسها من ظلمه[٢١].

٣. الاستيلاء على مهر الزوجة إذا أراد الرجل تطليقها والزواج بأخرى؛ لكي يعطيه للزوجة الثانية، وهذا حرام وبهتان وإثم كان يمارسه الرجل بحق المرأة بدليل الآية الكريمة.

وهناك انتهاك وتجاوز على حرمة زوجة الأب يشير إليه قوله تعالى:﴿ وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاء سَبِيلاً﴾ [٢٢]، فقد كان أهل الجاهلية يتزوجون زوجة الأب، فنزلت الآية وحرّمت هذه العادة البغيضة [٢٣] التي وصفتها بثلاث صفات متتابعة عبر قوله تعالى: ﴿ فاحشة ومقتاً وساء سبيلا﴾.

فضلا عمّا تقدم فإن العرب كانت تئد البنت دون ذنب ارتكبته. قال تعالى:﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾ [٢٤]، كما كان الرجل يحس بالحزن الكبير والأسى واسوداد الوجه كنايةً عن الفشل، أمام المجتمع إذا رُزق بأنثى، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [٢٥].

حينما جاء الإسلام أعطى المرأة حقّها كاملاً، وحافظ على خصوصيتها وحرمتها ورقتها، وحماها ممّا كان يمارس ضدّها، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [٢٦]، فقد أشارت الآية الكريمة إلى أن معيار المفاضلة هو التقوى، وأعلنت قاعدة المساواة بين الناس عموماً

أجناساً وفئات، أمّا الأكرم عند الله جلّ شأنه فهو ليس الرجل لوحده، أو المرأة لوحدها، وإنما هو الإنسان المتقي رجلا كان أو امرأة، كما أن دخول الجنة لا يشمل الرجل وحده، وإنما تشترك المرأة معه بشرط الإيمان وعمل الصالحات لكليهما، قال تعالى:﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (٢٧).

ومع هذه المنزلة المهمة والعناية الخاصة التي أعطاها الإسلام للمرأة، فضلا عن حقوقها المصانة في جميع نواحي الحياة، إلّا اننا نجد العرف الاجتماعي الذي ينهل من البداوة التي طبع عليها لم يلتزم بالكثير من المقررات التي أقرّها الشارع المقدّس، فهو ينتظر أيّ وقت يضعف فيه التطبيق الأمثل للنظام الإسلامي، لينقضّ على فرائسه، ومن أولى هذه الفرائس هي المرأة التي كانت مرمى هذه الأعراف البالية، إلا ان هناك من النساء من آلت على نفسها أن تقف في وجه العرف الاجتماعي الخاطئ وتسعى إلى الخروج وكسر الحواجز والأستار؛ لكي تطالب بحقّها، وبحقّ المرأة في كل مكان وزمان، عبر مطالبتها بهذا الذي تراه حقاً لها، وهذا ما فعلته السيدة الزهراء (عليها السلام) حينما كسرت الأطر الاجتماعية والحواجز التي وضعها المجتمع الرجولي بوجه المرأة، وخرجت إلى المسجد ذلك الخروج المدوّي وخطبت خطبتها أمام المجتمع الرجولي بكل ما تملكه من شجاعة وجرأة وقوةِ حجةٍ وروعةِ بيان.

بعد مجموعة الأحداث التي حصلت بعد وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، قررت السيدة الزهراء (عليها السلام) أن تطلب حقّها عبر طريقة لم تسلكها المرأة في ذلك الوقت – في حدود اطلاعي- ألا وهي الخروج إلى المسجد وإلقاء خطبة أمام الناس، وسرى الخبر في المدينة، وشاع بين الناس أن ابنة رسول الله تريد أن تلقي خبطة في مسجد أبيها (صلى الله عليه وآله)، لتبيّن موقفها من الأحداث التي جرت عليها بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله)، وهزّ الخبر أرجاء المدينة المنورة (٢٨)، وبدأت الأسئلة تراود الناس:

هل ستخرج الزهراء فعلا إلى المسجد لتخطب أمام الرجال؟

لماذا ستخرج إلى المسجد النبوي؟ وما الدوافع المؤدية إلى خروجها؟ ماذا ستقول في خطبتها؟

هل يعقل أن تخرج المرأة إلى المسجد؛ لتلقي خطبة على الرجال؟

هذه الاسئلة وغيرها من الممكن أن تكون قد راودت الناس وقتذاك، فالسيدة الزهراء (عليها السلام) كانت قاصدةً الذهاب إلى المسجد النبوي؛ لأنه المكان الأنسب لإلقاء خطبتها؛ لذلك لم تختر مكاناً آخر، فالمسجد هو المركز الإسلامي في ذلك الوقت، ومكان اجتماع المسلمين، كما انّها اختارت الزمان المناسب أيضا حينما يكون المسجد مليئاً بالناس على اختلاف طبقاتهم من المهاجرين والأنصار، وفضلا عن ذلك فإنها (عليها السلام) لم تخرج وحدها إلى المسجد، وإنّما خرجت مع مجموعة من النساء، وكأنها في مسيرة نسوية للمطالبة بحقوقهنّ (٢٩)، ولعلّ سبب ذلك هو تنبيه المجتمع وجذب انتباهه إلى هذه الحركة المتمثلة باجتيازها الطريق مع هاتيك النسوة؛ ليجتمعن في

المسجد، وليتوجه الناس بعد رؤية هذا المشهد، إلى المسجد ليروا ويستمعوا ما تريده الزهراء وما تطلبه من عملها هذا [٣٠]، كما أنها أرادت بإخراج النساء معها أن تظهر هذا النصف الذي يريد المجتمع تغييبه، أو على الأقل غمط حقوقه. وإلى هذا الحدث تشير بعض المصادر، منها كتاب بلاغات النساء، إذ ورد فيه ما يأتي: ((لمّا بلغ فاطمة رضي الله عنها إجماع أبي بكر على منعها فدك، لاثت خمارها، وخرجت في حشدةِ نسائها، ولمّةٍ من قومها)) [٣١]، ومنها كتاب الاحتجاج الذي ورد فيه: ((لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة (عليها السلام) فدكاً وبلغها ذلك لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت في لمةٍ من حفدتها ونساء قومها)) [٣٢].

لقد شكّل هذا الحدث كسراً واضحاً لأفق توقع المجتمع ولأفق توقع المتلقي وقتذاك، كما مثّل خروجا واضحا عن النسق الاجتماعي السائد والحاكم في آنٍ معا، فلم يتعود المجتمع على خروج المرأة بهذه الطريقة، للمطالبة بحقها، ولم يألف وجود امرأة في المسجد وهي تلقي خطبة طويلة ذات مضامين كثيرة، بلغة عالية، وقدرة فائقة، وبلاغة قلّ نظيرها، وبذلك شكّلت خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام) خروجا عن النمطية السائدة، وخروجا عن العرف الاجتماعي الذي لا يسمح للمرأة بالتعبير عن نفسها، والمطالبة بحقوقها، ومن ثم كسرا لأفق التوقع المجتمعي ومحاولة لإظهار أحقية المرأة وسعيها للتعبير عن نفسها وبيان حقوقها، وكسرا لأفق توقع المتلقين.

ثانيا: كسر أفق التوقع الموضوعي:

كان المتلقي لخطبة السيدة الزهراء يتوقع أن تبدأ خطبتها بمقدمة تقليدية بحمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله)، ومن ثم تدخل في الموضوع الأساس الذي جاءت من أجله، وتبدأ بالمطالبة بحقها في أرض فدك التي وهبها إياها الرسول (صلى الله عليه وآله)، إلّا انها فاجأت المتلقي سواء أكان سامعا أم قارئا بأنها بدأت الخطبة بحمد الله بطريقتها الخاصة على نعمه التي ابتدأها ومننه التي والاها التي لا تعد ولا تحصى، ثم خرجت إلى الأصل الأول من أصول الدين عند المسلمين، وهو التوحيد، ثم فصّلت في التوحيد الاستدلالي، وهدفها من ذلك ليس استرجاع أرض فدك وإنما توجيه الناس وحثهم على عبادة الواحد الأحد والتمسك بحبله المتين، بعد الهزة العقائدية التي حدثت عند بعض المسلمين بعد وفاة الرسول الله (صلى الله عليه وآله).

لقد رأت الزهراء (عليها السلام) أن العقيدة بدأت تضعف عند بعض المسلمين، وكأنهم اكتفوا بما قدّموه لهذا الدين في حياة النبي الكريم، فكانت بداية الخطبة تركز على إيقاف أثر هذه الهزة العقائدية، وهذا الانحدار [٣٣]، عبر توجيه أنظارهم ولفت انتباههم إلى توحيد الله والاخلاص له في العبادة، لذلك نراها تبدأ الخطبة بقولها(عليها السلام): ((«الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم، من عموم نعم ابتداها وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاها جمّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر

لاتصالها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنّى بالنَدبِ إلى أمثالِها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جَعلَ الإخلاصَ تأويلَها وضمّن القلوب موصولَها، وأنار في التفكر معقولَها، الممتنع من الأبصار رؤيتُه ومن الألسن صفتُه ومن الأوهام كيفيتُه))[٣٤].

تنتقل السيدة الزهراء بعد ذلك إلى بيان الأصل الثاني من أصول الدين عند المسلمين، وهو النبوة، للمتلقي، وتوضح أسباب بعثة النبي (ﷺ) بالرسالة، إذ تقول: ((ابتعثه الله إتماما لأمره وعزيمةً على إمضاء حكمه وإنفاذا لمقادير حتمه...)) [٣٥]، ثم تتحدث عن أهمية القرآن الكريم، ومنزلته السامية عند المسلمين [٣٦]، ثم تحدثت عن فلسفة العبادات وعلل الشرائع الاسلامية[٣٧] ، وانتقلت إلى الكلام على حال الناس في العهد الجاهلي قبل بزوغ نور الدين الاسلامي وشعاع النبوة الخاتمة [٣٨]؛ لتقارن بين وضعهم قبل الإسلام، ووضعهم حينما اعتنقوا هذا الدين الذي نزلت تعاليمه على أبيها (ﷺ)، وهي بذلك تشير إلى الفضل الكبير للنبي العظيم وأثره الواضح في تربية هذه الأمة، وتغيير حالها من ضعف الجاهلية إلى قوة الإيمان، وفي ذلك تقول: ((وكنتم على شفا حفرة من النار، مُذقةَ الشارب ونُهزة الطامع وقَبسة العجلان... فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد (ﷺ) بعد اللتيّا واللتي)) [٣٩].

إن التأمل في الخطبة يظهر لنا أن الزهراء (عليها السلام) لم تطلب حقها في فدك إلّا في الجزء قبل الأخير منها، فقد قسّمنا الخطبة في خمسة أخماس –بحسب عدد صفحاتها- ووجدنا أنها لم تذكر مسألة ارثها من أبيها (ﷺ)، وحقها في فدك إلّا في الخمس الرابع من الخطبة، أي في الصفحة الرابعة، فهي – كما اشرنا سابقا- لم تبدأ بهذا الموضوع، في حين أن أفق توقع المتلقي كان ينسجم مع ابتدائها الخطبة بطلب الإرث إلّا انّها كسرت أفق التوقع في تسلسل موضوعات الخطبة عند المتلقي، وبذلك حصلت المفاجأة والإدهاش عنده، وهذا ما أرادته منتجة النص، وما سعت إلى تحقيقه، وهنا ظهرت المسافة الجمالية بأجلى صورها، وظهر التعارض واضحا بين ما قدّمه النص وما توقعه القارئ، بحسب تعبير هانز روبرت ياوس.

وهنا يبرز أمام البحث سؤال مفاده: هل ان هذا الكسر لأفق التوقع عند المتلقي، في تسلسل موضوعات الخطبة، كان يجري بقصدية واعية من الزهراء (عليها السلام)، أو جاء عفو الخاطر؟ وللإجابة على هذا السؤال لا بد لنا أن نعلم أن هذه السيدة الجليلة هي ابنة البشير النذير الذي لا ينطق عن الهوى، هذا الرجل الذي نقل البشرية من مرحلة جاهلية ممقوتة مظلمة، إلى مرحلة ساد فيها الإسلام، وأنار بنوره الوهاج على الدنيا بأجمعها، ومن باب أولى أن تحرض هذه السيدة على مصير الإسلام والمسلمين، الذي كان ثمرة جهاد أبيها، لذلك لم تعتن بمسألة المطالبة بحقها، قدر عنايتها بنصح المسلمين، وتوجيههم الوجهة الصحيحة، التي أرادها الله تعالى، ورسوله

الكريم (ﷺ)، لذلك وجدناها في خطبتها لم تركز

على المطالبة بفدك في بدايتها ((بل انتهزت الفرصة لتفجّر للمسلمين عيون المعارف الإلهية وتكشف لهم محاسن الدين الإسلامي، وتبين لهم علل الشرائع والأحكام)) [٤٠]، ليكونوا أكثر تمسكاً بدينهم، وأكثر ثباتاً على إيمانهم، الذي بدأ يتزحزح بعد وفاة الرسول (ﷺ)، ولعلّ ردة كثير من الناس – بعد حدث وفاة النبي- عن الدين دافعا مهماً للسيدة الزهراء (عليها السلام) لأن تبدأ خطبتها وتستمر في إيراد المواضيع التي تحث الناس على الالتزام والثبات على ثوابت الإسلام، وبذلك يدلّ هذا الموقف على إيثار الزهراء (عليها السلام) مصلحة الدين ومصلحة الناس على مصلحتها الخاصة؛ حباً منها للإسلام والمسلمين.

ثالثا: كسر أفق التوقع الأسلوبي:

يعدّ العدول عن الأصل في التراكيب اللغوية، والانزياح في النسيج الكتابي الأدبي من المنبهات الأسلوبية المهمة التي تسهم في إيقاظ وعي المتلقي، وشدّه إلى النص عبر كسر أفق التوقع عنده، وهذا بدوره يؤدي إلى تعميق تفاعله معه، وبذلك يكون عنصرا مفعلا لدينامية النص، ومتلقياً ايجابيا لا يكتفي بالاستماع أو القراءة، بل يكون مشاركا مع المنتج من أجل فهم أدق، ووعي أكثر، وتبعاً لذلك فإن هذا الأمر سيعمّق فهم المتلقي للنص؛ ذلك أنّ مقاربة جمالية التلقي للمعنى تنطلق منطلقا ((يجعل عملية الفهم بنية من بنيات العمل الأدبي نفسه، ليصبح الفهم هو عملية بناء المعنى وإنتاجه، وليس الكشف عنه أو الانتهاء إليه، وبذلك يعدّ المحصول اللساني مؤثراً واحداً من مؤثرات الفهم لا بد من تغذيته بمرجعيات ذاتية قائمة على فعل الفهم من لدن المتلقي)) [٤١].

يتحقق كسر أفق التوقع الأسلوبي عبر بعض الظواهر التركيبية في اللغة، منها التقديم والتأخير، فأصل الكلام أن يكون المقدَّم مقدّما والمؤخر مؤخرا، إلّا أنّ ثمة دواعٍ فكرية ومعنوية ونفسية تطرأ على منتج النص فتجعله يقدم مؤخرا، ويؤخر مقدّما، وليس ذلك من أجل الترف أو تلوين الكلام وتزيينه أو تعدد صيغه [٤٢]، فضلا عن عدم اعتباطية هذا الأمر، وهذا بدوره يشير إلى هدف وقصد اتخذه منتج النص ليفهم المتلقي والقارئ فحوى الرسالة التي يريد إبلاغها له، فالعدول عن صيغ الكلام التقليدية، والانزياح عنها إلى صيغ فيها نوع من المغايرة الأسلوبية، يشكّل واحدا من أهم المنبهات الأسلوبية التي تلفت نظر المتلقي، وتعمل على إيقاظ وعيه ومن ثم كسر أفق التوقع عنده، وجذب انتباهه، ليفهم النص فهما اعمق، وينعم الناظر فيه، ثم يتساءل عن سبب هذا التقديم والتأخير والهدف المرجو منه [٤٣].

ومن الظواهر التركيبية التي يتحقق بواسطتها كسر أفق التوقع الاسلوبي عند المتلقي، ظاهرة الحذف، فهذه التقنية الاسلوبية تستدعي البحث والكشف عن الشيء المحذوف، ولعل هذا الكشف والاستجلاء مهمة يقوم بأدائها المتلقي، الأمر الذي يحدد القصد والغاية من الحذف، ولن تكون مشاركة المتلقي حاضرة في النص إلا اذا تعمّد منتج النص هذه التقنية؛ وذلك ليشغل ذهنيته ويفعّلها، ويدفعها نحو تقدير المحذوف، وليوقظ اهتمامه ويشركه في مجريات النص [٤٤]،

وهذا ما يهدف إليه كسر أفق التوقع الاسلوبي، الذي يعمد إليه منتج النص بقصدية واعية.

إذا جئنا إلى خطبة السيدة الزهراء عليها السلام لنستكنه كسر أفق التوقع الأسلوبي فيها، فإننا سنجد أنّ هذا الامر ظهر بشكل واضح عبر تقنية التقديم والتأخير، في حين لم يظهر الحذف بكثرةٍ في الخطبة، بل كان قليل الورود فيها، لذلك سوف تقتصر دراستنا على تقنية التقديم والتأخير، وأثرها المهم في كسر أفق التوقع عند المتلقي.

التقديم والتأخير في خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام):

ثمّة وظائف كثيرة للتقديم والتأخير، ومن هذه الوظائف، العناية والاهتمام، والاختصاص، والافتخار، والتفاؤل، والتشاؤم، وإفادة القصر، وإظهار التعظيم والتحقير، وتقوية الحكم وتوكيده، والتعجيل المسرّ والمساءة، والمناسبة، والسببية، والتعجب، والتدرج الزمني، والتشويق للمؤخر، ومراعاة الترتيب بحسب الأسبقية، والاستلذاذ، وعود الضمير على مذكورٍ سابقٍ [٤٥].

هناك صيغ كثيرة للتقديم في اللغة العربية، فقد يُقدّم الخبر على المبتدأ، ويقدم المفعول به، والجار والمجرور، والفاعل على الفعل، والحال، وخبر إن على اسمها، وخبر كان على اسمها... الخ، وعند إحصاء النصوص التي ورد فيها التقديم في خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام) وجدْنا أنّ بنية التقديم المهيمنة هي تقديم شبه الجملة (الجار والمجرور)، وسندرجها في نقاط كما يأتي:

١. تقديم الجار والمجرور على المفعول به:

قالت السيدة الزهراء (عليها السلام): ((تتربصون بنا الدوائر وتتوكفون الأخبار)) [٤٦]، فقد كسرت أفق التوقع عند المتلقي في هذا النص، إذْ إنَّ النسق الطبيعي غير المنزاح الذي كان يتوقعه المتلقي هو: تتربصون الدوائر بنا، إلّا انّها عدلتْ عنه وقدمت الجار والمجرور (بنا)؛ لبيان أهمية الشيء المقدّم.

في نص آخر تقول عليها السلام: ((فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفيائه)) [٤٧]، وهنا يظهر كسر افق التوقع جليا عند المتلقي، إذ كان يتوقع أن تقول: فلما اختار الله دار أنبيائه لنبيه، وبذلك تأتي الجملة مرتبة من فعل وفاعل ومفعول به ثم تأتي بقية الكلمات، إلا انها انزاحت عن الترتيب التقليدي لها وقدّمت الجار والمجرور المتصل بالضمير الهاء الذي وقع مضافا إليه مجرورا (لنبيه)؛ لتعظيم شأن النبي (صلى الله عليه وآله) وللعناية والاهتمام.

بدأت السيدة الزهراء (عليها السلام) خطبتها بحمد الله والثناء عليه، ثم انتقلت إلى الأصل الأول من أصول الدين عند المسلمين، وهو التوحيد، وبدأت بالتفصيل في هذا الموضوع المهم، إذ قالت: ((وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جَعلَ الإخلاصَ تأويلَها وضمّن القلوب موصولَها، وأنار في التفكر معقولَها)) [٤٨].

ففي الجملة الأخيرة ظهر كسر أفق التوقع الاسلوبي، إذ كان المتلقي يتوقع أن تقول: وأنار معقولها في التفكر، إلّا انَّها قدّمت الجار والمجرور على المفعول به؛ لتقوي أواصر التفاعل بين المتلقي والنص، ولكي تحفز ذهنه وتبعثه على التساؤل عن سبب هذا

التقديم والتأخير، وبسؤالها هذا يصبح عنصرا مفعّلا لدينا لدينامية النص، ومتلقيا إيجابيا يسعى إلى فهمه فهماً صحيحا، إذا ما ادراك أنَّ هدف هذا التقديم كان الاختصاص؛ لأن من خصوصيات العقل هو التفكير.

هناك نص تقدم فيه الجار والمجرور على المفعول المطلق، فحينما تحدثت الزهراء (عليها السلام) عن وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله) قالت: ((ثم قبضه اللهُ إليه قبض رأفةٍ واختيارٍ، ورغبةٍ وإيثار)) [٤٩]، وهنا نجد الانزياح الذي يكسر أفق التوقع عند المتلقي، إذ إن أصل الكلام: ثم قبضه الله قبض رأفةٍ واختيار إليه، فقد قدّمت الجار والمجرور إليه، الذي يشير إلى الله جلّ شأنه؛ للتعظيم والاختصاص.

٢. تقديم الجار والمجرور على الفاعل:

ظهر هذا النوع من كسر أفق التوقع الأسلوبي في قول الزهراء (عليها السلام): ((لا تأخذه في الله لومة لائم))[٥٠]، إذ إن أصل الكلام: لا تأخذه لومة لائم في الله، إلا انها قدّمت الجار والمجرور (في الله) على الفاعل (لومة)؛ لتكسر أفق التوقع عند المتلقي، ولتظهر أهمية الشيء المقدّم؛ ولتعظّمه.

تصف السيدة الزهراء حال بعض المرتدين بعد وفاة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، فتقول: ((فلمّا اختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسكة النفاق))[٥١]، فقد تقدم قولها: (فيكم) على الفاعل (حسكة)، وبهذا الأمر سيُكسر أفق التوقع عند المتلقي، وسيتفاعل مع النص، ويبحث عن سبب لهذا الانزياح الأسلوبي الذي ظهر فيه، وقد كان سببه هو التعجب من حال هؤلاء الناس وما حصل لهم بعد وفاة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله)، وللاختصاص.

٣. تقديم الجار والمجرور على الخبر:

ورد هذا النوع من التقديم في قول الزهراء (عليها السلام): ((وأنتم في رفاهيةٍ من العيشِ وادعون فاكهون آمنون)) [٥٢]، فقد كُسر أفق التوقع عند المتلقي؛ لأنه كان يتوقع أن يأتي الكلام على وفق التوقع بأن تقول: وأنتم وادعون فاكهون أمنون في رفاهيةٍ من العيش، إلّا انّها عدلت عن الترتيب الطبيعي للكلام، وقدّمت الجارين والمجرورين (في رفاهيةٍ من العيش) على الخبر، وبذلك حققت المفاجأة والإدهاش عند المتلقي، ومن ثمّ حققت تفاعله مع النص.

تصف الزهراء (عليها السلام) حال الناس عند بعثة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) فتقول: ((وأشهد أن أبي محمداً عبدُه ورسولُه، اختاره قبل أن أرسله، وسمّاه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدمِ مقرونة)) [٥٣]، فقد قدّمت شبه الجملة من الجار والمجرور على الخبر، إذ إن تقدير الكلام: إذ الخلائق مكنونة بالغيب، ومصونة بستر الأهاويل ومقرونة بنهاية العدم، فقد مارس هذا الانزياح الأسلوبي عملية كسر أفق التوقع عند المتلقي؛ لكي يحفّزه على التفكر والتأمل في سبب هذا التقديم، ومن ثم يتلقى النص بطريقة تفاعلية، بعد أنْ اكتشف أنَّ هذا التقديم كان لغرض العناية والاهتمام، فضلا عن الأثر الصوتي الذي يحدثه عبر توافق رؤوس المقاطع واتفاقها في السجعات التي حققت توازياً صوتيا يؤثر في المتلقي

تأثيراً واضحاً، ويجذبه إلى النص بشكر أكبر.

خاتمة ونتائج

ظهر لنا عبر دراسة كسر أفق التوقع في خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام) أن هذه الثيمة من الثيمات المهمة في نظرية التلقي، وقد أرسى قواعدها قطب مدرسة كونستانس الألمانية هانز روبرت ياوس، وتعدّ عنصراً مهمّاً يذكي حالة التواصل والتفاعل بين النص والمتلقي، كما انها تميّز النص الدينامي التفاعلي عن النص العادي، وتشير إلى قدرة منتج النص على التلاعب بالألفاظ والأساليب من أجل ديمومة حالة التفاعل بين نصّه ومتلقيه.

ركز أكثر الباحثين الذين درسوا كسر أفق التوقع في دراسات تطبيقية على كسر أفق التوقع الأسلوبي، إلا اننا لم نكتف في هذا البحث على هذا النوع فقط، بل سعينا إلى الاجتهاد في إظهار أنواع أخرى من كسر أفق التوقع، كنّا قد رصدناها في خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام)؛ لذلك توصل البحث إلى أن ثمة ثلاثة أنواع من كسر أفق التوقع، هي كسر أفق التوقع الاجتماعي، والموضوعي، والأسلوبي، فلا ينبغي - عند دراسة أي نص - التركيز على كسر أفق التوقع الأسلوبي فقط، بل على الباحثين التدقيق أكثر في النصوص المقروءة؛ ليجدوا أنواعا أخرى من كسر أفق التوقع، وهذا ما أدعو إليه في بحثي المتواضع هذا.

وتأسيساً على ما تقدّم فقد رصد البحث عبر دراسة كسر أفق التوقع في خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام)، ثلاثة أنواع منه هي:

١. كسر أفق التوقع الاجتماعي، فقد سعت الزهراء (عليها السلام) إلى كسر القيود المفروضة على المرأة، فقررت الخروج إلى المسجد، هي ومجموعة من النساء؛ لتلقي خطبتها أمام الملأ، وتبين موقفها، وبذلك شكل هذا الحدث الخارق للعادة خروجا عن النسق الاجتماعي السائد، وكسراً لأفق توقع المجتمع وقتذاك.

٢. كسر أفق التوقع الموضوعي، إذ توقع المتلقون للخطبة أن تبدأ الزهراء خطبتها بطلب أرض فدك التي نحلها إياها أبوها (صلى الله عليه وآله) في حياته، إلا ان حرصها على عقيدة المسلمين وعلى بيان أثر النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) في هذه الأمة، وعلى إظهار فلسفة العبادات والحفاظ على بيضة الإسلام كان أشد من حرصها على المطالبة بأرض فدك، لذلك أخّرت موضوع المطالبة بحقّها. هذا الأمر شكّل كسراً لأفق توقع المتلقين في تسلسل موضوعات الخطبة، ومن ثمّ أدى إلى تفاعل أكثر معها.

٣. كسر افق التوقع الأسلوبي، وظهر بشكل جلي بوساطة تقنية التقديم والتأخير، في حين ظهر بشكل قليل عن طريق الحذف والذكر، أما التقديم والتأخير فقد ظهر عبر تقديم الجار والمجرور على المفعول به، وعلى الفاعل، وعلى الخبر، وقد أشرنا إلى أسبابه في أثناء البحث.

الهوامش

١. بحث: فعل القراءة وإشكالية التلقي، محمد خرماش، مجلة علامات في النقد، ع ١٠، ١٩٩٨، موقع سعيد بنكراد على الرابط الآتي: http:saidbengrad.free.fr

٢. ينظر: بحث: المتوقع واللامتوقع في شعر محمود درويش، دراسة في جمالية التلقي، د. عبد الباسط الزيّود، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٨، ع٣٧، جمادى الثانية ١٤٢٧ هـ، ٤٣٠.

٣. ينظر: بحث: نظرية التلقي تأطير ونموذج ، د. محمد دخيسي، موقع رابطة أدباء الشام على الرابط الآتي: .www.odabasham.net

٤. Jauss; Pour une ésthétique, de la reception, p64 نقلا عن: أفق التوقع عند ياوس ما بين الجملة والتاريخ، د. خير الدين دعيش، مجلة المخبر، ع١، ٢٠٠٩، ٧٨.

٥. بحث: النظرية النقدية ومفهوم أفق التوقع، السيد إبراهيم، مجلة علامات في النقد، مج٨، ج٣٢، ١٩٩٩م، ١٦٩.

٦. ينظر: جمالية التلقي – من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، هانز روبرت ياوس، ترجمة: رشيد بنحدو، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٤م، ٤٤، ٤٧، ٥١.

٧. القصيدة والنص المضاد، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٤م، ١٦٤.

٨. بحث: قراءة في القراءة، رشيد بنحدو، الفكر العربي المعاصر، مج١، ع٤٨، ١٩٩٨م، ٢١.

٩. ينظر: جماليات التلقي، سامي اسماعيل، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٢، ٩٥.

١٠. بحث: المتوقع واللا متوقع في شعر محمود درويش، ٤٣٤.

١١. جماليات الأسلوب والتلقي، د. موسى ربابعة، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، اربد – الأردن، ط١، ٢٠٠٠، ٩٣.

١٢. ينظر: جمالية التلقي – من أجل تأويل جديد للنصّ الأدبي، ١٢.

١٣. ينظر: جمالية التلقي – من أجل تأويل جديد للنصّ الأدبي، ١٢.

١٤. ينظر: جماليات التلقي في السرد القرآني، د. يادكار لطيف الشهرزوري، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق – سوريا، ط١، ٢٠١٠، ٢٣٩. وينظر: جماليات الاسلوب والتلقي، ٨٩، ٩١.

١٥. معجم مصطلحات علم النفس عربي- فرنسي – انكليزي، إعداد د. عبد المجيد سالمي و د. نور الدين خالد وشريف بدوي، دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، ٨٢.

١٦. ينظر: نظرية التلقي – مقدمة نقدية، روبرت هولب، ترجمة عز الدين اسماعيل، كتاب النادي الثقافي الأدبي بجدة، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ٢٣١.

١٧. Hans Robert jauss: pour une: herméneneutique litteraire, trad: Maurice édifion: Gallimard, Paris, 1988. P42, نقلا من: أفق التوقع عند ياوس، ٨٠.

١٨. ينظر: jauss; pour une ésthétique De la Réception, p50. نقلا عن: أفق التوقع عند ياوس، ٨٠.

١٩. النساء ١٩-٢٠.

٢٠. ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الدين الفضل بن الحسن الطبرسي، دار القارئ ودار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ٣/٤١-٤٢.

٢١. ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣/٤١.

٢٢. النساء : ٢٢.

٢٣. ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣/٤٦-٤٧.

٢٤. التكوير: ٨-٩.

٢٥. النحل: ٥٨-٥٩.

٢٦. الحجرات: ١٣.

٢٧. النساء: ١٢٤.

٢٨. ينظر: فاطمة بضعة مني، حسين الشاكري، المؤسسة الاسلامية للتبليغ والارشاد، إيران، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ١٦١.

٢٩. ينظر: فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ٢٣٤.

٣٠. ينظر: فدك في التأريخ، السيد محمد باقر الصدر، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، إيران، ط٢، ١٤٢٥هـ، ٢٠.

٣١. بلاغات النساء، أحمد بن أبي طاهر طيفور، تحقيق بركات يوسف هيّود، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ٣٢.

٣٢. الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ١١٢.

٣٣. ينظر: فدك – أبعادها. دلالاتها. وامتداداتها، د. عبد المجيد فرج الله، دار المحبين للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ١٢٤.

٣٤. يعدّ كتاب بلاغات النساء لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور المتوفى سنة ٢٨٠هـ، من أقدم المصادر التي نقلت خطبة السيدة الزهراء (ع)، إلّا اننا سوف نعتمد في إيراد الخطبة على كتاب الاحتجاج للشيخ أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي؛ لدقته في نقلها.

٣٥. الاحتجاج: ١١٣، وينظر: بلاغات النساء: ٣٣.

٣٦. الاحتجاج: ١١٣.

٣٧. ينظر: الاحتجاج: ١١٤.

٣٨. ينظر: الاحتجاج: ١١٤.

٣٩. ينظر: الاحتجاج: ١١٥.

٤٠. الاحتجاج: ١١٥.

٤١. فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد: ٢٣٦.

٤٢. نظرية التلقي –أصول وتطبيقات-، د. بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٩م، ٢٩.

٤٣. ينظر: أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم، د. شلتاغ عبود، دار الرسول الأكرم ودار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ٨٤-٨٥.

٤٤. ينظر: مستويات السرد الوصفي القرآني –دراسة اسلوبية-، د. طلال خليفة سلمان، دار الرافد للمطبوعات، بغداد، ط١، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م، ٢٣٢-٢٣٣.

٤٥. ينظر: مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآني، شارف مزاري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، ٢٠٠١، ١٨٩.

٤٦. ينظر: البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، كمال الدين الزملكاني، تحقيق: د. خديجة الحديثي ود. أحمد مطلوب، منشورات رئاسة ديوان الأوقاف، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م، ٢٩٠. وينظر: معترك الأقران في إعجاز القران، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت، ١/ ١٧١-١٨٠. وينظر: معاني النحو، د.فاضل صالح السامرائي، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، د.ط، د.ت، ١٦١/١ وما بعدها. وينظر: التقديم والتأخير في القران الكريم، حميد أحمد عيسى العامري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٦م، ١٣ وما بعدها.

٤٧. الاحتجاج ١١٥/١.

٤٨. الاحتجاج ١١٥/١.

٤٩. الاحتجاج: ١١٣/١.

٥٠. الاحتجاج ١١٣/١.

٥١. الاحتجاج: ١١٥/١.

٥٢. الاحتجاج: ١١٥/١.

٥٣. الاحتجاج: ١١٥/١.

٥٤. ينظر: الاحتجاج: ١١٣/١.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٢- أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم، د. شلتاغ عبود، دار الرسول الأكرم ودار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٣- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، كمال الدين الزملكاني، تحقيق: د. خديجة الحديثي ود. أحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٤- بلاغات النساء، أحمد بن أبي طاهر طيفور، تحقيق: بركات يوسف هيود، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٥- التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حميد أحمد عيسى العامري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٦م.

٦- جماليات الأسلوب والتلقي، د. موسى ربابعة، مؤسسة حمادة للدراسات، أربد، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م.

٧- جماليات التلقي، سامي إسماعيل، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٢م.

٨- جماليات التلقي في السرد القرآني، د. يادكار لطيف الشهرزوري، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١٠م.

٩- جمالية التلقي – من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، هانز روبرت ياوس، ترجمة: رشيد بنحدو، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٤م.

١٠- فاطمة بضعة مني، حسين الشاكري، المؤسسة الإسلامية للتبليغ، إيران، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١١- فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، محمد كاظم القزويني، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

١٢- فدك – أبعادها دلالاتها وامتداداتها، د. عبد المجيد فرج الله، دار المحبين للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١٣- فدك في التاريخ، محمد باقر الصدر، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، إيران، ط١، ١٤٢٥هـ.

١٤- القصيدة والنص المضاد، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٤م.

١٥- مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الدين الفضل بن الحسن الطبرسي، دار القارئ ودار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

١٦- مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآني، شارف مزاري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، ٢٠٠١م.

١٧- مستويات السرد الوصفي القرآني –دراسة اسلوبية-، د. طلال خليفة سلمان، دار الرافد للمطبوعات، بغداد، ط١، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

١٨- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، د.ط، د.ت.

١٩- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين

السيوطي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.
٢٠- معجم مصطلحات علم النفس عربي- فرنسي – انكليزي، إعداد د. عبد المجيد سالمي و د. نور الدين خالد وشريف بدوي، دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٢١- نظرية التلقي – أصول وتطبيقات-، د. بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٩م.
٢٢- نظرية التلقي – مقدمة نقدية، روبرت هولب، ترجمة: عز الدين اسماعيل، كتاب النادي الثقافي الأدبي بجدّة، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
البحوث:
٢٣- أفق التوقع عند ياوس ما بين الجملة والتاريخ، د. خير الدين دعيش، مجلة المخبر، ع١، ٢٠٠٩.
٢٤- فعل القراءة وإشكالية التلقي، محمد خرماش، مجلة علامات في النقد، ع ١٠، ١٩٩٨م.
٢٥- قراءة في القراءة، رشيد بنحدو، الفكر العربي المعاصر، مج١، ع٤٨، ١٩٩٨م.
٢٦- المتوقع واللا متوقع في شعر محمود درويش، دراسة في جمالية التلقي، د. عبد الباسط الزيّود، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٨، ع٣٧، جمادى الثانية ١٤٢٧ هـ.
٢٧- نظرية التلقي تأطير ونموذج ، د. محمد دخيسي، موقع رابطة أدباء الشام على الرابط الآتي: www. odabasham.net.
٢٨- النظرية النقدية ومفهوم أفق التوقع، السيد إبراهيم، مجلة علامات في النقد، مج٨، ج٣٢، ١٩٩٩م.

اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ
الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦)
أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨) أَرَأَيْتَ
الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ
عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ
كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤) كَلَّا
لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ
خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨)
كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩)

اقرأ

باسم ربك الذي خلق

خلق الإنسان من علق

مبدأُ استنباطِ المهمل والمستعمل في النحو

Inferring the Meaningless and Meaningful Words in Grammar

أ.م.د.علي جاسب الخُزاعي
جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

By: Dr Ali Chasib Al-khuzai , Basra University , College of Education for Humanities, Department of Quran Sciences and Islamic Education

ملخص البحث

يسعى البحثُ إلى إبراز تطبيقات مبدأ استنباط المهمل والمستعمل في النحو العربي بوصفه أحد المبادئ التي استعملها الخليل بن أحمد الفراهيدي في تأسيسه علمي العروض والمعجم.وغرضه من ذلك جملة من الأمور ,منها بيان أنَّ تطبيق هذا المبدأ لم ينحصر في صناعتي العروض والمعجم,وكذلك إظهار أنَّ توظيف هذا المبدأ لم يقتصر على الخليل بل إنَّ النحويين بعده استعملوه لحصر التراكيب الممكن استنباطها في بعض مسائل النحو.وهي المرحلة التي تسبق مرحلة الحكم عليها بالمهمل أو المستعمل. .

Abstract

The research seeks to highlight the applications of the principle of inferring the meaningless and meaningful words in Arabic grammar .This principle is one of the principles used by Al-Khalil bin Ahmad Al-Farahidi , the founder of the sciences of prosody and lexicon. Among other things, the application of this principle was not limited to the fields of prosody and lexicon, and not only to Al-Kalil bin Ahmad Al-Farahidi, but also it was used by later grammarians to pinpoint the possible constructions that can be inferred in grammar.

المقدمة

يُعد مبدأ استنباط المهمل والمستعمل من المبادئ الأساسية التي اعتمد عليها الخليل بن أحمد الفراهيدي في تأسيسه علوم اللغة. ولاسيما علمي العروض والمعجم .فقد مثّل هذا المبدأ في عروض الخليل مرتكزا أساسيا وظّفه في استنباط الأوزان الشعرية المستعملة والمهملة. أما علم المعجم .فقد كان هذا المبدأ أحد أركان عملية وضع المعجم العربي. فالخليل بعد أن حدد مخارج الحروف عمل على استنباط الاحتمالات الممكنة ,أو الكلمات التي يمكن أن تتولد من ائتلاف الحروف مثنى وثلاث ورباع, وخماس. وهي المرحلة التي تسبق مرحلة بيان المستعمل, والمهمل منها.

ويسعى هذا البحث إلى إظهار تطبيق هذا المبدأ في غير العلمين المشار إليهما. فهو يُعنى ببيان تطبيقات مبدأ استنباط المهمل والمستعمل في النحو العربي. وكيف أن النحويين سعوا إلى توظيفه في استنباط التراكيب المحتملة قبل الحكم عليها بالاستعمال أو الإهمال ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

ومبدأ استنباط المهمل والمستعمل يعتمد في أصله على قاعدة رياضية مشهورة تعرف بـ(التوافيق و التباديل). فائدتها تكمن في حصر الاحتمالات التي يمكن أن تتولد من ائتلاف عنصرين أو أكثر من عناصر مجموعة محددة, ومثال ذلك أنَّ الخليل حينما أراد حصر الكلمات التي يمكن أن تتولد من ائتلاف ثلاثة من حروف العربية المحددة, فإنَّ نتيجة تطبيق قاعدة التباديل الرياضية هي (ست كلمات),بعضها مهمل والآخر مستعمل. ونأتي على ذكر بعض تطبيقات هذا المبدأ عند النحويين.

أقسامُ الكلم:

يتبين لنا من خلال مراجعة نصوص كبار علماء العربية أنهم اعتمدوا في موضوع تحديد أنواع اقل مقدار ممكن من تركيب الكلام العربي على طريقة التباديل, أو مبدأ استنباط المهمل والمستعمل, فهذا ابن السراج في أصوله يشير إلى هذا الأمر في أثناء تقسيمه الكلم العربي ,وبيان ما يمكن أن يتكون من التراكيب التي تمثل وجوه الكلام العربي. إذ يقول:((والذي يأتلف منه الكلام الثلاثة الاسم والفعل والحرف فالاسم قد يأتلف مع الاسم نحو قولك :(الله إلهنا),ويأتلف الاسم والفعل نحو: قام عمرو, ولا يأتلف الفعل مع الفعل, والحرف لا يأتلف مع الحرف))[١] .فابن السراج في نصه يشير إلى احتمالات التركيب الممكن أو المستعمل فعلا في النظام اللغوي, الاحتمال الأول: ائتلاف الاسم مع الاسم, ويريد بذلك الجملة الاسمية, والاحتمال الثاني: ائتلاف الاسم مع الفعل, ويقصد بذلك الجملة الفعلية. ثم ينبه إلى الاحتمالات غير المستعملة في الكلام العربي التي يمكن أن تتولد من ائتلاف عناصر الكلم الثلاثة, وهما احتمال ائتلاف الفعل مع الفعل, وائتلاف الحرف مع الحرف, إذ لم يرد تطبيق لهما في لغة العرب. ونلاحظ أنَّ فكرة ابن السراج تستند في محتواها المعرفي إلى فكرة استخراج المستعمل والمهمل من التركيب اللغوي.

وهذا ما نلمحه عند أبي علي الفارسي في إيضاحه, إذ يقول:((فالاسم يأتلف مع الاسم فيكون كلاماً مفيداً, كقولنا عمرو أخوك, وبشر صاحبك, ويأتلف الفعل مع الاسم فيكون كذلك كقولنا :كتب عبد الله...ويدخل الحرف على كل واحدة من الجملتين....وما عدا ما ذُكر مما يمكن ائتلافه من هذه الكلم ,فمُطَّرح إلا الحرف مع الاسم في النداء نحو: يا زيدٌ ,و ياعبدالله, فإنَّ الحرف, والاسم قد ائتلف منهما كلام مفيد في النداء))[٢] .ومثل هذا الأمر حاضر عند عبد القاهر الجرجاني بصورة أوضح. لأنَّه كان يُعنى بتحديد معاني النحو ومسالكه الدلالية التي تعتمد على طرائق النظم, ومن ثم فإنَّ وجوه الائتلاف الممكنة بين عناصر الكلم العربي تمثل الأسس النظرية للمكونات الدلالية. فمعاني النحو متأسسة بحسب الرؤية الجرجانية على تعلق عناصر الكلم في العربية, وهو ما صرّح به شيخ البلاغة بقوله:((ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض. والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم.

وتعلق اسم بفعل, وتعلق حرف بهما))[٣] ,فهو يحدد الاحتمالات المستعملة من بين الاحتمالات التي يمكن أن تتولد من ائتلاف أقسام الكلم العربي؛ لأنَّه يشير بعد بيان تطبيقات كل احتمال من الاحتمالات المستعملة إلى الاحتمالات المهملة التي لا يوجد لها تطبيق في الكلام العربي, إذ يقول:((وجملة الأمر أنَّه لا يكون كلام من حرف وفعل أصلاً، ولا من حرف واسم إلا في النداء نحو: يا عبد الله. وذلك أيضاً إذا حقق الأمر كان كلاماً بتقدير الفعل المضمر الذي هو أعني، وأريد، وأدعو، و يا دليل على قيام معناه في النفس,

فهذه هي الطرق والوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض. وهي كما تراها معاني النحو وأحكامه))[٤] , ثم يعقب بقوله:((فهذه هي الطرق والوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض. وهي كما تراها معاني النحو وأحكامه)),وكأنه يريد التنبيه على الأساس المعرفي المعتمد في عملية استنباط أنواع التركيب العربي المتمثل باستعمال مبدأ التباديل .

ويشير ابن يعيش إلى المفهوم نفسه في موضوع ائتلاف الكلم عند شرحه كلام الزمخشري, إذ يقول:((قال: صاحب الكتاب ((وهذا لا يتأتى إلا في اسمين أو فعل و اسم ويسمى الجملة)),قال الشارح: قوله وهذا إشارة إلى التركيب الذي ينعقد به الكلام ويحصل منه الفائدة, فإنَّ ذلك لا يحصل إلا من اسمين نحو زيد أخوك, والله إلهنا...ولا يتأتى ذلك من فعلين...ولا يتأتى من فعل وحرف, ولا حرف واسم...ولم يفد الحرف مع الاسم إلا في موطن واحد وهو النداء خاصة))[٥] .

ولعل الرضي أوضح من سابقيه ببيان الأساس الذي اعتمد عليه النحويون في عملية استنباط الوجوه الممكنة للتركيب اللغوي العربي عند شرحه كلام ابن الحاجب عن مسالة الإسناد, وتعالق أقسام الكلام, إذ يقول:((واحترز بقوله(بالإسناد) عن بعض ما ركب من اسمين كالمضاف والمضاف إليه، والتابع ومتبوعه ، وبعض المركب من الفعل والاسم، نحو: ضربك، وعن جميع الأنواع الأربعة الأخر من التركيبات الثنائية الممكنة بين الكلم الثلاث، وهي: اسم مع حرف، وفعل مع فعل، أو حرف، وحرف مع حرف. وذلك لأنَّ أحد أجزاء الكلام هو الحكم، أي الإسناد الذي هو رابطة، ولا بد له من طرفين: مسند، ومسند إليه، والاسم بحسب الوضع يصلح لأنَّ يكون مسنداً، ومسنداً إليه، والفعل يصلح لكونه مسنداً, لا مسنداً إليه، والحرف لا يصلح لأحدهما. والتركيب العقلي الثنائي بين الأشياء الثلاثة, أعني الاسم والفعل والحرف لا يعدو ستة أقسام: الاسمان، والاسم مع الفعل, أو الحرف والفعل مع الفعل, أو الحرف، والحرفان. فالاسمان يكونان كلاماً، لكون أحدهما مسنداً والآخر مسنداً إليه، وكذا الاسم مع الفعل لكون الفعل مسنداً والاسم مسنداً إليه. والاسم مع الحرف لا يكون كلاماً، إذ لو جعلت الاسم مسنداً فلا مسند إليه، ولو جعلته مسنداً إليه فلا مسند، وأما نحو: يا زيد، فَسَدَّ(يا) مسد (دعوت) الإنشائي. والفعل مع الفعل أو الحرف لا يكون كلاماً لعدم المسند إليه، وأما الحرف مع الحرف فلا مسند فيهما ولا مسند إليه. فظهر بهذا معنى قوله:(ولا يتأتى)أي: لا يتيسر الإسناد إلّا في اسمين، أو فعل واسم، والباء في قوله: (بالإسناد) للاستعانة أي تركب من كلمتين بهذا الرابط، أو بمعنى(مع),أي مع هذا الرابط))[٦] .فهو يشير إلى أنَّ الاحتمالات المستعملة من بين الاحتمالات الممكنة هي اثنان, احتمال ائتلاف الاسم مع الاسم (الجملة الاسمية),والاحتمال الثاني: ائتلاف الاسم مع الفعل (الجملة الفعلية) منبها إلى الاحتمالات الممكنة التي لم يرد لها استعمال في كلام العرب. ومن ثم تكون فكرة تحديد المستعمل والمهمل من التركيب الممكن في اللغة حاضرة في كلامه بصورة واضحة .

شرح(هذا باب علم ما الكلم من العربية):

قد تكون هذه المفردة أقرب إلى البحث الدلالي منها إلى البحث النحوي المتعلق بأحكام التركيب اللغوي لكن تطبيق السيرافي قاعدة التوافيق والتباديل في شرحه الباب الأول من أبواب الكتاب الموسوم بـ(هذا باب علم ما الكلم من العربية) جعلنا نلحق هذه المسألة بالتطبيقات النحوية. فقد حاول السيرافي أن يستنبط المعاني المحتملة للعنوان لبيان قصد سيبويه من قوله هذا. فكانت الاحتمالات الممكنة خمسة عشر احتمالا, هي:

هذا بابُ علمٍ ما الكلمُ من العربية

هذا بابُ علمٍ ما الكلمَ من العربية

هذا بابُ علمِ ما الكلمُ من العربية

هذا بابُ علمِ ما الكلمِ من العربية

هذا بابٌ علمٌ ما الكلمِ من العربية

هذا بابٌ علمٌ ما الكلمَ من العربية

هذا بابٌ علماً ما الكلمُ من العربية

هذا بابٌ علماً ما الكلمَ من العربية

هذا بابٌ علمُ ما الكلمُ من العربية

هذا بابٌ علمُ ما الكلمِ من العربية

هذا بابٌ علمَ ما الكلمُ من العربية

هذا باباً علمُ ما الكلمُ من العربية

هذا باباً علمٌ ما الكلمَ من العربية

هذا باباً علمُ ما الكلمُ من العربية

هذا باباً علمُ ما الكلمَ من العربية[٧] .

وقد اعتمد السيرافي في عملية استنباط هذه الوجوه المحتملة على احتمالات الإعراب الممكنة للمفردات التي تؤلف العنوان, وهي (باب, علم, ما, والكلم). فـ(الباب) له ثلاثة احتمالات هي:(الرفع مع إضافة علم, والرفع من دونها, والنصب على الحالية),و(علم) ستة احتمالات هي (مضاف إلى باب, ومضاف إلى باب وهو مضاف لما, مرفوع غير مضاف, ومرفوع مضاف, ومنصوب مضاف, ومنصوب غير مضاف).و(ما) لها ثلاثة احتمالات إعرابية ممكنة هي:(استفهام, وبمعنى الذي, وصلة)[٨] أما(الكلم) فلها ثلاثة احتمالات إعرابية, هي (الرفع, والنصب والجر). ويكون على هذا الأساس مجموع الاحتمالات الممكنة خمسة عشر احتمالا لبيان المعنى الذي أراده سيبويه من قوله:(هذا باب علم ما الكلم من العربية).فالسيرافي استنبط المعاني المحتملة من خلال جمع احتمالات العناصر المكونة لعنوان الباب. وعملية جمع الاحتمالات هي نفسها طريقة التباديل التي يعتمد عليها مبدأ استنباط المهمل والمستعمل.

تقديم معمول خبر كان:

اتبع بعض النحويين لبيان حكم تقديم معمول الخبر القسمة العقلية, أو طريقة التباديل مثلما وجدناه عند المرادي في شرحه التسهيل, والصبان في حاشيته على شرح الأشموني, فقد عملا على استخراج الصور التي يمكن أن تتولد من تقديم معمول خبر كان. أو تقديم خبرها أو اسمها عليها[٩] .قال المرادي:((اعلم: أنَّه يتأتى في مسألة:(كان زيدٌ أكلاً طعامَكَ) أربعة وعشرون تركيباً))[١٠] .أما الصبان فقد صرّح بأنَّها عملية ضرب تتولد منها وجوه محتملة, إذ قال:((اعلم أنَّ نحو زيدٌ آكلاً طعامَك يتحصل فيه

أربع وعشرون صورة حاصلة من ضرب ستة في أربعة؛ لأنَّ التركيب مشتمل على أربعة ألفاظ، وفي تقدم كل واحد منها ستة أوجه حاصلة من التخالف في الألفاظ الثلاثة))[١١] .والتراكيب المحتملة هي: ستة وجوه من تقديم كان على اسمها وخبرها ومعمولها, وتغيير مواقع الألفاظ الثلاثة بعملية استبدال تتولد منه الصور الست وهي:(كان زيدٌ أكلاً طعامَك),و (كان أكلاً طعامَك زيدٌ)و:(كان أكلاً زيدٌ طعامَك),و (كان زيدٌ طعامَك أكلاً),و(كان طعامَك زيدٌ أكلاً),و (كان طعامَك أكلاً زيدٌ).والوجوه الأربعة جائزة على رأي البصريين ,أما الخامس منها, فغير جائز, والسادس جائز عند بعضهم, وغير جائز عند بعضهم الآخر[١٢] .أما التراكيب الستة الثانية فهي تستند إلى تقديم زيد على الألفاظ الثلاثة, وهي:(زيدٌ كان أكلاً طعامَك),و(زيدٌ كان طعامَك أكلاً),و(زيدٌ أكلاً كان طعامَك),و(زيدٌ أكلاً طعامَك كان),و(زيدٌ طعامَك كان أكلاً),و(زيدٌ طعامَك أكلاً كان),وهي وجوه جائز عند البصريين[١٣].والمجموعة السداسية الثالثة تتولد من تقديم (آكل) على ألفاظ الثلاثة الأخرى[١٤],أما التراكيب الستة المتممة للأربعة والعشرين فهي تتولد من تقديم (طعامك) على الألفاظ الثلاثة[١٥] .ويبدو أنَّ الوجوه المحتملة التي تمنعها الصناعة النحوية على وفق المذهب البصري هي التي تقوم على أساس الفصل بين كان ومعمولها بفاصل أجنبي هو معمول خبرها ما لم يكن ذلك الفاصل جارا ومجرورا أو ظرفا[١٦] ,ومن ثم فالتراكيب المحتملة التي لا يجوزها النحوي البصري هي:(كان طعامك زيد آكلاً) و(كان طعامك آكلاً زيد) و(آكلاً كان طعامك زيد)[١٧] .فالنحاة استنبطوا هذه الوجوه من خلال تطبيق مبدأ ضرب الاحتمالات بحسب ما يقتضيه مبدأ استنباط المهمل والمستعمل.

حكم تكرار لا النافية للجنس:

وهو من الأحكام الأساسية في باب لا النافية للجنس, وحينما نطالع ما كتبه النحويون ولاسيما المتأخرين منهم نجدهم قد اعتمدوا على طريقة التباديل في تحديد حكم هذه المسالة. وقد نصَّ معظم النحويين على خمسة احتمالات ممكنة لبيان الحكم إلا أنَّ بعضهم فَصَّلَ عملية استنباط أحكام تكرار(لا) مشيراً إلى أنَّ العملية تعتمد على طريقة التباديل الرياضية.

ومن الذين عمدوا إلى بيان مسالة استنباط الوجوه الكلية للحكم الصبان في حاشيته على شرح الأشموني عندما علّق على كلام الشارح حول الوجوه الخمسة لحكم التكرار, إذ قال:((قوله (خمسة أوجه) أي إجمالاً وثلاثة عشر تفصيلاً؛ لأنَّ ما بعد الأولى إما مبني على الفتح أو مرفوع بالابتداء أو على إعمال لا عمل ليس وما بعد الثانية كذلك أو مرفوع بالعطف على محل لا مع اسمها فهذه اثنا عشر، والثالث عشر بناء ما بعد الأولى على الفتح ونصب ما بعد الثانية وهي بالقسمة العقلية عشرون حاصلة من ضرب أربعة ما بعد الأولى الفتح والنصب, والرفع بوجهيه في خمسة ما بعد الثانية هذه الأربعة, والرفع بالعطف على محل لا مع اسمها يسقط منها نصب ما بعد الأولى مضروباً

في خمسة ما بعد الثانية, ورفع ما بعد الأولى بوجهيه مع نصب ما بعد الثانية. إذا سمعت ما تلوناه عليك عرفت أن قول شيخنا والبعض تبعاً للتصريح واثنا عشر تفصيلاً لم يوافق القسمة الواقعية ولا العقلية))[١٨] .وفي نص الصبان جملة من الملاحظات المهمة. أولها ما أشرنا إليه, من أنَّه نَبَّه على أنَّ عملية استخراج الاحتمالات الممكنة تمت على وفق القسمة العقلية وهو يريد بذلك طريقة التباديل. وهو ما يمثل الأساس المعرفي لعملية الاستنباط. والاحتمالات الممكنة هي الاحتمالات الكلية بغض النظر عن تقسيمها إلى احتمالات مستعملة وأخرى مهملة, وعددها عشرون احتمالاً ناتجة من ضرب أربعة وجوه خاصة بـ(لا) واسمها, في خمسة خاصة بـ(لا) الثانية, فيكون الناتج عشرين احتمالاً. ويبدو أنَّ المستعمل منها فقط الوجوه الخمسة التي اعتاد النحويون الآخرون أن يذكروها في هذا الباب. أما الاحتمالات خمسة العشرة الأخرى, فمهملة لم يجد لها النحويون استعمالا في كلام العرب. والوجوه الخمسة هي:

الوجه الأول: بناء الاسمين الواقعين بعدهما نحو: ((لا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله))[١٩] .

الوجه الثاني: رفعهما معا نحو قول الراعي:

وما هجرتك حتى قلتِ معلنةً

لا ناقةٌ لي في هذا ولا جملُ[٢٠]

الوجه الثالث: أن يكون الأول مبنياً والثاني منصوباً على أساس أنَّ (لا) الثانية زائدة لتأكيد نفي الاولى[٢١] نحو قول الشاعر:

لا نسب اليوم ولا خلة

اتسع الخرق على الراقع[٢٢].

الوجوه الرابع: فتح الأول, ورفع الثاني, نحو قول الشاعر:

هذا لعمركم الصغار بعينه

لا أم لي إن كان ذاك ولا أب[٢٣].

الوجه الخامس: وهو رفع الأول وفتح الثاني نحو قول الشاعر:

فلا لغوٌ ولا تأثيمَ فيها

وما فاهُوا به أبداً مُقيمُ[٢٤].

ومن الملاحظات الأخرى التي يمكن الإشارة إليها في نص الصبان نقده النحويين الذين ذهبوا إلى أنَّ الاحتمالات التي يمكن أن تنتجها طريقة التباديل هي اثنا عشر احتمالا, إذ قال:((إذا سمعت ما تلوناه عليك عرفت أن قول شيخنا والبعض تبعاً للتصريح واثنا عشر تفصيلاً لم يوافق القسمة الواقعية ولا العقلية))[٢٥]. إذ يبدو أن الأشموني تابع الشيخ الأزهري في كتابه(التصريح) الذي ذهب فيه إلى أنَّ الوجوه الخمسة التي يذكرها النحويون لبيان حكم هذه المسالة هي الاحتمالات المستعملة في كلام العرب, وهي جزء من اثني عشر احتمالا ممكنا, إذ يقول:((وهذه الأوجه الخمسة مأخوذة من اثني عشر وجهاً, وذلك أنَّ ما بعد(لا) الاولى يجوز فيه البناء على الفتح, والرفع على الإلغاء, والرفع على إعمال(لا) عمل (ليس),فهذه ثلاثة, وما بعد(لا) الثانية يجوز فيه ذلك وجه رابع وهو النصب, وإذا ضربت هذه الأربعة في الثلاثة الأول بلغت اثني عشر وجهاً, وكلها جائزة

إلا اثنين, وهما رفع الأول على الإلغاء, أو على الإعمال عمل(ليس),ونصب الثاني))[٢٦] .والشيخ الأزهري يتبع الطريقة العقلية نفسها في استنباط تباديل حكم مسالة تكرار (لا),لكنه لم يحدد الحالات الحقيقية لـ(لا) الاولى, والثانية التي تعتمد عليهما نتيجة الضرب,ومن ثم فقد بَيَّنَ الحالات الممتنعة, وحددها باثنين, هما رفع اسم الأول على وجهين, ونصب اسم الثاني معهما.

وما وصل إليه الشيخ الأزهري يشبه ما استخرجه الشاطبي في كتابه(المقاصد), فهو الآخر ذكر أنَّ الاحتمالات الكلية التي يمكن أن تتولد بطريقة التباديل هي اثنا عشر احتمالاً. إذ يقول شارحا قول ابن مالك: ((وقول الناظم(كلا حول ولا قوة) مثالان لبناء المفرد على الفتح...فانه إذا ضم الأول إلى الثاني تصور اثنتي عشرة مسألة يمتنع منها وجهان, وتصح العشرة...وذلك أنَّ(لا حول)يُتصوّر فيه البناء على الفتح ,والرفع لأجل التكرار, والرفع على إعمالها عمل ليس, فهذه ثلاثة أوجه. و(لا قوة) يتصوّر فيه تلك الأوجه الثلاثة, ويزيد وجهاً رابعاً, وهو العطف نصباً على موضع اسم (لا) باعتبار عملها. فهذه أربعة أوجه, فإذا ضربتها في الثلاثة التي في(لا حول) كان الجميع اثني عشر وجها))[٢٧] . وقد خالف الصبان رأي الشاطبي والأزهري في أنَّ الاحتمالات الممكنة, أو الكلية التي يمكن أن تُستنبط من إتباع طريقة التباديل هي عشرون احتمالاً, فيقول: ((وهي بالقسمة العقلية عشرون حاصلة من ضرب أربعة ما بعد الأولى الفتح والنصب والرفع بوجهيه في خمسة ما بعد الثانية هذه الأربعة والرفع بالعطف على محل لا مع اسمها))[٢٨] .والفرق بين ما فعله الصبان وبين ما قام به الأزهري, والشاطبي هو أنَّ الشيخين ضربا ثلاثة وجوه لـ(لا) الاولى في أربعة لـ(لا) الثانية. فكانت النتيجة اثني عشر وجها. أما الصبان فقد ضرب أربعة للأولى, إذ جعل الرفع بوجهين كل واحد منهما مستقل عن الآخر في خمسة للثانية فكان الناتج عشرين احتمالا ممكناً ,خمسة منها فقط ذكر لها النحويون استعمالات في كلام العرب. وإن كان الخضري في حاشيته على شرح ابن عقيل يحصرها بخمسة[٢٩] .

أقسام البدل والمبدل منه:

حينما ذكر الرضي حالات البدل والمبدل منه, فإنَّه ذكرها على مبدأ استنباط المهمل والمستعمل لبيان تنوعهما, وذلك في موضعين. الموضع الأول: تقسيماتهما باعتبار الظاهر والمضمر ,وهي بحسب هذا الاعتبار ستة عشر وجها تولدت من إتباع القسمة العقلية في هذه المسألة[٣٠] :الوجه الأول: إذا كان بدل الكل من الكل وهما مظهران: بزيد أخيك. الوجه الثاني: إذا كانا مضمرين: فنحو: لقيتهم إياهم. وهو وجه اختلف النحويون في توجيهه, فالبصريون يرونه بدلاً, والكوفيون يرونه توكيداً[٣١] .وهو رأي الرضي[٣٢] .والوجه الثالث: إذا كان الأول مضمراً, والثاني مظهراً نحو: أخوك، لقيت زيدا إياه، بتقدير أن زيدا أخوك[٣٣] ،وهو وجه أفرزته القسمة العقلية. إذ ينبه ابن مالك على أنَّه لم يرد لهذا النمط من التركيب استعمال في كلام العرب شعرها ونثرها. وإنَّما يمثل

له العرب تمثيلا فقط[٣٤] .

الوجه الرابع: إذا كان الأول مظهرا, والثاني مضمرا نحو: أخوك، لقيته زيدا[٣٥] .وهو من مواضع بين النحاة؛ لأنَّ بعضهم أجاز دخول ضمير المخاطب في هذه القاعدة مثل الاخفش[٣٦] ,و بعضهم استثناه منها[٣٧] ,

الوجه الخامس: إذا كان بدل البعض من الكل: وكانا كلاهما ظاهرين نحو: قطعت زيدا يده.

الوجه السادس: إذا كان بدل البعض إبدال مضمر من مضمر: نحو ما مثل به الرضي :كسرت زيدا يده ثم قطعته إياها[٣٨] .وهو وجه فرضته عملية الاستنباط الاحتمالي(طريقة التباديل),فقد أشار ابن أبي الربيع السبتي, والشاطبي إلى أنَّه من القياس النحوي المحض, إذ لم يرد فيه سماع, ولم تتكلم به العرب[٣٩] ,وإنما مثّل له النحويون بعد أن تولد من ضرب الوجوه المحتملة.

الوجه السابع: بدل البعض إذا كان بدل المضمر من المظهر نحو: كسرت يد زيد وقطعت زيدا إياها[٤٠]. ويعلّق الرضي على هذا الوجه بقوله:((والنحاة يوردون في مثله نحو: يد زيد قطعت زيدا إياها، ويقولون هو تكلف، لإعادة الظاهر بلفظه في جملة واحدة، ونحن ذكرنا جملتين ليرتفع التكلف، إن كان من أجله))[٤١] .وهو أيضا من الوجوه المفترضة التي ينطبق عليها ما أشرنا إليه في الوجه السابق.

الوجه الثامن: بدل البعض إذا كان بدل المظهر من المضمر نحو: زيد قطعته يده .وقد أورد له النحويون شواهد من القرآن والشعر[٤٢] .

الوجه التاسع: بدل الاشتمال إذا كانا بدل ظاهر من ظاهر نحو: كرهت زيدا جهالته[٤٣] ،

الوجه العاشر: إذا كان الاشتمال بدل المضمر من المضمر كرهت زيدا جهالته وأبغضته إياها[٤٤] ،

الوجه الحادي عشر: بدل اشتمال إذا كان المضمر من المظهر: كرهت جهالة زيد وأبغضت زيدا إياها[٤٥]،

الوجه الثاني عشر: بدل اشتمال إذا كان المظهر من المضمر: زيد كرهته جهالته[٤٦] .ويختلف النحويون في تجويز وجوه بدل الاشتمال الثلاثة الأخيرة[٤٧] .

وقد نَبَّه ابن عصفور إلى أن إبدال الضمير من غير في بدل البعض والاشتمال فيه تكلف[٤٨] بل إنَّ الشاطبي صرّح بأنَّه نوع من الصناعة النحوية التي لم تستعمله العرب إذ قال:((وهذا من قبيل (بدل البعض) في التكلف وعدم السماع تأتّي الإبدال فيه, وفي ما قبله في ضمير الحاضر إلا بمضض))[٤٩]

الوجه الثالث عشر: بدل غلط إذا كان بدل ظاهر من ظاهر نحو: كرهت زيدا دابة[٥٠] ،

الوجه الرابع عشر: بدل غلط إذا كان المضمر من المضمر نحو: كرهته إياها، إذا تقدم ذكر زيد والدابة[٥١] ،

الوجه الخامس عشر: بدل غلط إذا كان المضمر من المظهر: كرهت زيدا إياها مع تقدم ذكر الدابة[٥٢] ،

الوجه السادس عشر: بدل غلط إذا كان المظهر من المضمر: زيد كرهته الدابة[٥٣] ،

أما وجوه بدل الغلط الثلاثة الأخيرة, فإنَّ التعليقات التي ذكرناها في بدلي البعض والاشتمال تنطبق عليها فضلا عن مسألة جوهرية أخرى هي أنَّ هذا

اللون من البدل وبدل النسيان إنَّما هو بدل افتراضي ابتكرته الصناعة النحوية مثلما يشير إلى ذلك ابن عصفور, إذ قال:((والبدل ستة أقسام. ثلاثة اتفق النحويون على جوازها, وورد بها السماع, واثنان جائزان في القياس, ولم يرد بهما السماع, وواحد ورد به السماع إلا أنَّ النحويين اختلفوا فيه هل هو من هذا الباب أم من باب العطف))[٥٤] ثم يبين الثلاثة التي هي بدل الكل ,وبدل البعض, وبدل الاشتمال[٥٥] ,أما البدلان اللذان لم يرد بهما السماع, وإنَّما هما من نتاج الصناعة النحوية فهما بدل الغلط والنسيان[٥٦] ,والبدل المختلف فيه بدل البداء[٥٧] .وما دام بدل الغلط منتجاً افتراضياً انتجه القياس النحوي ,فالأولى أن تكون وجوهه المنتجة على وفق القسمة العقلية مجرد افتراضات عقلية مهملة لم تستعملها العرب نمطا تركيبيا لصوغ كلامها. وهكذا تكون الاحتمالات الستة عشر التي استنبطها الرضي من خلال اعتماده على طريقة التباديل الرياضية تنقسم إلى قسمين, وجوه لها استعمالاتها في الكلام العربي, وأخرى لم تستعمل بل هي مهملة. ونجد أنَّ الرضي قد استعمل قاعدة التباديل في استنباط أقسام أخرى للبدل لكن باعتبار آخر يختلف عن الاعتبار المشار إليه[٥٨] .

الخاتمة

ما عرضه البحث نماذج بينة على توظيف النحويين مبدأ استنباط المهمل والمستعمل في النحو. وهذا التوظيف يؤكد لنا المقولة التي ترى أنَّ علوم العربية تشكل منظومة فكرية مترابطة تعتمد على أسس معرفية موحدة. فلم يقتصر استعمال هذا المبدأ في علمي العروض والمعجم, ولم ينحصر الأمر بالخليل بن احمد .بل إنَّ النحويين يلجأون إلى تطبيقه ما أمكنهم ذلك. وتطبيقه في المسالة النحوية يضيف لنا مظهرا آخر من المظاهر العقلية التي اصطبغ بها الدرس النحوي عند القدماء هذا من جانب ,ومن جانب آخر إنَّ هذا المظهر العقلي الذي أبرزه البحث يظهر لنا براعة مؤسسي النحو العربي وقدراتهم العقلية والفكرية ,ومن ثم فإنَّ أي قراءة نقدية لنتاجهم النحوي تحتاج إلى مراجعة متأنية.

الهوامش

١ . الأصول لابن السراج : ٤١/١ .

٢ . الإيضاح لأبي علي الفارسي: ٧٢-٧٣ .

٣ . دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني: ص.

٤ . دلائل الإعجاز ,عبد القاهر الجرجاني: ش ,

٥ . شرح المفصل لابن يعيش:١/ ٤٥ .

٦ . شرح الكافية للرضي: ٢٥/١-٢٦ .

٧ . شرح كتاب سيبويه للسيرافي: ١/ ٥١ .

٨ . شرح كتاب سيبويه للسيرافي: ١/ ٥١ .

٩ . عنون النحويون هذه المسألة بتقديم معمول خبر كان.لكنهم في إتباع القسمة العقلية يقدمون الخبر على الاسم وكان ,ومن ثم فالأمر لا يقتصر على تقديم معمول الخبر فقط . ينظر: أوضح المسالك لابن هشام: ٢٢٣/١ وشرح ابن عقيل:٢٦١/١.

١٠ . شرح التسهيل للمرادي: ٣١٢ .

١١ . حاشية الصبان على شرح الأشموني:٣٥١/١ .

١٢ . ينظر: شرح التسهيل للمرادي: ٣١٢ .

١٣ . ينظر: شرح التسهيل للمرادي: ٣١٢ .

١٤ . ينظر: شرح التسهيل للمرادي: ٣١٢ .

١٥ . ينظر: شرح التسهيل للمرادي: ٣١٢ .

١٦ . ينظر : الأصول لابن السراج: ٦٨/١ , المسألة المشكلة للفارقي: ٣٧٧ .وشرح التسهيل لابن مالك : ٣٦٧/١ .والمقاصد الشافية للشاطبي: ١٩٠/٢ -١٩٠ .

١٧ . حاشية الصبان على شرح الأشموني:٣٥١/١ .

١٨ . حاشية الصبان على شرح الأشموني: ٢/ ١٨ .

١٩ . ينظر: شرح الكافية للرضي:٢/ ١٣٨ .

٢٠ . ينظر: التصريح للأزهري: ٣٤٥/١ .

٢١ . ينظر: شرح الكافية للرضي:٢/ ١٣٨ .

٢٢ . التصريح للأزهري: ١/ ٣٤٧ .

٢٣ . ينظر: التصريح للأزهري: ٣٤٥/١ .

٢٤ . ينظر: التصريح للأزهري: ٣٤٦/١ .

٢٥ . حاشية الصبان على شرح الأشموني: ٢/ ١٨ .

٢٦ . التصريح للأزهري: ١/ ٣٤٩ .

٢٧ . المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للشاطبي: ٤٢٥/٢-٤٢٦ .

٢٨ . حاشية الصبان على شرح الأشموني: ٢/ ١٨ .

٢٩ . حاشية الخضري : ٢٨٧/١ .
٣٠ . ينظر: شرح الكافية للرضي: ٣١٠/٢
٣١ . ينظر :شرح التسهيل لابن مالك:٣٠٥/٣ ,و ارتشاف الضرب لأبي حيان الأندلسي: ٤ / ١٩٦٠ .
٣٢ . ينظر:شرح الكافية للرضي: ٣١٠/٢ .
٣٣ . ينظر: شرح الكافية للرضي: ٣١٠/٢
٣٤ . شرح التسهيل لابن مالك :٣٣٢/٣ .وهمع الهوامع للسيوطي: ٣/ ١٨٣ .
٣٥ . شرح الكافية: ٢/ ٣٠٨ .
٣٦ . ينظر:شرح المفصل لابن يعيش:٦٣٩/١ ,و المقاصد الشافية في شرح الكافية الشافية للشاطبي: ٥/ ٢١٠ .
٣٧ . ينظر: البسيط في شرح جمل الزجاجي للسبتي:٣٩٦/١ .
٣٨ . شرح الكافية: ٢/ ٣١٠ .
٣٩ . ينظر :البسيط في شرح جمل الزجاجي: ٣٩٥/١ ,والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية :٥/ ٢١٦ .
٤٠ . ينظر:شرح الكافية: ٢/ ٣١٠ .
٤١ . شرح الكافية: ٢/ ٣١٠ .
٤٢ . ينظر: المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية :٥/ ٢١٦ .
٤٣ . ينظر:شرح الكافية: ٢/ ٣١٠ .
٤٤ . ينظر:شرح الكافية: ٢/ ٣١٠ .
٤٥ . ينظر:شرح الكافية: ٢/ ٣١٠ .
٤٦ . ينظر:شرح الكافية: ٢/ ٣١٠ .
٤٧ :ينظر:ارتشاف الضرب :١٩٦٣/٤ .,وشرح المقدمة الجز ولية للشلوبين: ٦٨٨/٢ .
٤٨ . ينظر: شرح جمل الزجاجي لابن عصفور:١/ ٢٨٧ -٢٨٨ .
٤٩ . المقاصد الشافية للشاطبي: ٢١٧/٥ .
٥٠ . ينظر:شرح الكافية: ٢/ ٣١٠ .
٥١ . ينظر:شرح الكافية: ٢/ ٣١٠ .
٥٢ . ينظر:شرح الكافية: ٢/ ٣١٠ .
٥٣ . ينظر:شرح الكافية: ٢/ ٣١٠ .
٥٤ . ينظر:شرح الجمل:٢٨١/١ .
٥٥ . ينظر:شرح الجمل:٢٨١/١
٥٦ . ينظر:شرح الجمل:٢٨٢/١-٢٨٣
٥٧ . ينظر:شرح الجمل:٢٨٣/١ .
٥٨ . ينظر:شرح الكافية: ٢/ ٣٠٨ .

المصادر والمراجع

١. ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي المتوفى ٧٤٥هـ,تحقيق وشرح ودراسة د.رجب عثمان محمد مراجعة د.رمضان عبد التواب,الناشر مكتبة الخانجي,القاهرة,الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ-١٩٩٨م.

٢. الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي,تحقيق د.عبد الحسين الفتلي,د.ط.

٣. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك تأليف أبي محمد جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري المتوفى ٧٦١ هـ,تحقيق د.محمد محيي الدين عبد الحميد ,المكتبة العصرية ,صيدا, بيروت,د.ط,٢٠٠٨م-١٤٢٩ هـ.

٤. الإيضاح لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي,ت. د.كاظم بحر المرجان , عالم الكتب ,بيروت لبنا, الطبعة الاولى ١٤٢٩ه – ٢٠٠٨م.

٥. البسيط في شرح جمل الزجاجي لابن أبي الربيع عبيد الله بن أحمد بن عبيدالله القرشي الاشبيلي السبتي ٥٩٩هـ-٦٨٨هـ,تحقيق الدكتور عيّاد بن عيد الثبيتي,دار الغرب الإسلامي,بيروت ,١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

٦. التصريح على التلويح للشيخ خالد بن عبدالله الأزهري,منشورات محمد علي بيضون ,دار الكتب العلمية,بيروت لبنان.الطبعة الأولى ١٤٢١ه ٢٠٠٠م.

٧. تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب لأبي القاسم سعيد بن سعيد الفارقي ت ٣٩١هـ,تحقيق د.سمير أحمد معلوف,معهد المخطوطات العربي القاهرة ,د.ط,١٩٩٣م.

٨. حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك,ضبط النص,يوسف البقاعي,دار الفكر للطباعة والنشر والتأليف,بيروت لبنان, الطبعة الأولى ٢٠٠٣م .

٩. حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح شواهد العيني تحقيق د.عبد الحميد الهنداوي,المكتبة العصرية,صيدا بيروت١٤٢٥ – ٢٠٠٤م .

١٠. دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني,علق عليه محمود محمد شاكر,مطبعة الخانجي ,القاهرة.

١١. شرح ابن عقيل لبهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيلي المصري,الهمذاني المتوفى ٧٦٩ هـ,تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ,منشورات سيد الشهداء,إيران,د.ط.

١٢. شرح التسهيل لابن مالك جمال الدين محمد بن عبدالله بن عبدالله الطائي الجياني الأندلسي ٦٧٢هـ,تحقيق د.عبد الرحمن السيد,ود.محمد بدوي المختون,دار هجر للطباعة والنشر,مصر ,الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١٣. شرح التسهيل للمرادي,ت.محمد عبد النبي محمد أحمد عبيد,مكتبة الإيمان.الطبعة الأولى ٢٠٠٦م – ١٤٢٧ه.

١٤. شرح كافية ابن الحاجب تأليف رضي الدين الاستربادي المتوفى ٦٤٦هـ,تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر,مؤسسة الصادق للطباعة والنشر,إيران ,الطبعة الثانية ١٣٨٤.

١٥. شرح المفصل للشيخ موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي المتوفى ٦٤٣هـ,تحقيق أحمد السيد سيد أحمد ,المكتبة التوفيقية مصر,د.

١٦. شرح المقدمة الجزولية الكبير للأستاذ أبي علي عمر بن محمد بن عمر الازدي للشلوبين,تحقيق د.تركي العتيبي ,مكتبة الرشد رياض,الطبعة الأولى ١٤١٣هـ -١٩٩٣م.

١٧. شرح جمل الزجاجي لابن عصفور الاشبيلي ,تحقيق صاحب أبو جناح ,د.ط

١٨. شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي المتوفى ٣٦٨هـ,الجزء الأول,تحقيق د.رمضان عبد التواب,ود.محمود فهمي حجازي,ود.محمد هاشم عبد الدايم.,مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة,الطبعة الثانية ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨م.

١٩. المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي, ت,د.عبد الرحمن العثيمين,معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي.جامعة أم القرى مكة المكرمة.١٤٢٨ ه-٢٠٠٧ م .

٢٠. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع تأليف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى ٩١١هـ,تحقيق د.عبد الحميد الهنداوي,المكتبة التوفيقية,القاهر,مصر,د.ط,د.ت.

لا حول ولا قوة الا بالله

النحوُ العربيُّ بينَ إشكاليات النظرية وآفاق التطبيق

Arabic Grammar between the Theoretical Dilemma and the Prospects of Application

م .د. غانم كامل سعود.
م. د. مشكور حنون الطالقاني

By: Dr.Ghanim Kamil Masoud
Dr.Mashkoor Hanoon Al-Talakani

ملخص البحث

وقفنْا في بحثنا هذا متأمّلين تلك القواعد النحوية التي نعلمها لشداة اللغة العربية محاولين إيجاد مواطن الصعوبة، وأسرار نفور الطلبة من مادة النحو العربي، أو ما يصطلح عليها باسم (قواعد اللغة العربية) راصدين خللاً بيِّنا في عرض بعض الموضوعات، وفي تبويبها، بدءا بالنظرة إلى تعليم اللغة العربية عمومًا، مرورًا بأهداف تدريس النحو العربي، فدعونا إلى النحو الوظيفي الذي ينمّي الأسلوب الأدبي، ويجعل اللغة العربية وحدة متكاملة من الحقائق والمفاهيم التي يأخذ بعضها برقاب بعض، ومن القضايا التي ناقشناها علاقة عِلميّ الصوت والصرف بعلم النحو، وارتباطهما به، ولزوم الإفادة من جهود علماء اللغة القدامى والمحدثين في الربط بين هذه العلوم الثلاثة؛ فالتوجيه النحوي على وفق معطيات علمي الصوت والصرف طريق غير سالك، ولم يتجشم الدارسون السير فيه لوعورته، وقد اتخذناه طريقا جديدا، نرجو أن يفيد منه من يأتي بعدنا؛ فكثير من توجيهات النحويين القدامى، ومن تبعهم من المحدثين هي في حقيقتها ليست توجيهات نحوية خالصة، ولكنها حسبت على علم النحو. ونحن ندعو إلى تلمس هذا الصراط الجديد في تعليم النحو بعيدًا عن التكلف. وقد عرضنا أمثلة للموضوعات التي تحتاج منا إلى إعادة النظر. إما من أجل حذفها من المنهج، أو في إعادة ترتيبها، أو في أسلوب عرضها على الطالب، ومن هذه الموضوعات: (إنْ) النافية العاملة عمل (ليس)، و(لا) النافية للجنس، أو التي لنفي العموم، والعطف، والبناء للمجهول، والحذف.. وغيرها.

Abstract

The research investigates the grammar rules taking in consideration the difficulty of Arabic language .We try to find the points of difficulties that make students distaste the subject Arabic grammar. The research starts by shedding lights on some topics beginning with the teaching methods of Arabic language in general, then to the objectives of teaching Arabic grammar. We recommend the use of functional grammar that helps in developing the literary style of individuals, and renders Arabic language as a unified whole of facts and concepts that foster take each other.One topic that the research has discussed is the relationship between phonology and morphology from one side and grammar from the other side .

The researchers have adopted a new approach.The suggestions given by many old grammarians and the modernists who followed them are not purely grammatical, but rather they are counted on grammar. In this research, we call for a new approach for teaching grammar away from the sophistication of older approaches. We have mentioned some topics that need to be revised.

مدخل: دراسة الأصوات عند علماء النحو العربي:

تتضح أهمية دراسة الأصوات في منهج النحو والصرف في عمل النحاة العرب في مظاهر عدة منها: مظهر الاختلاف بين اللهجات اختلافا صوتيًّا في النطق، من سبيل تسهيل الهمزة أو تحقيقها، ومن حيث الإمالة، أو صراحة الحركة.. وما إلى ذلك من مظاهر النطق.[١] وكثير من الظواهر اللغوية التي تدرس في كتب النحو، من إبدال وإعلال، وإدغام[٢]، وغيرها من ظواهر لغوية لا تفهم فهماً مستوعبا إلاّ إذا أخذت الدراسة الصوتية لها مكانًا في دراسة العربية.[٣] والذي يطالع كتاب سيبويه، وهو أول كتاب نحوي وصل إلينا يجد الدرس الصوتي جزءا أساسًا منه.[٤]

وتتضح أهمية دراسة الأصوات في منهج النحو والصرف في عمل النحاة العرب في مظاهر عدة منها: مظهر الاختلاف بين اللهجات اختلافا صوتيًّا في النطق، من سبيل تسهيل الهمزة أو تحقيقها، ومن حيث الإمالة، أو صراحة الحركة.. وما إلى ذلك من مظاهر النطق.[٥]

وإنَّ صنيع النحاة العرب بتقديمهم لدراسة النحو بباب صرفي هو: (الكلام وما يتألف منه)، إنّما يشير إلى أنَّ النحو لا يفتأ يستعمل معطيات الصوتيات والصرف المختلفة في عرض الأغلب الأعمّ من تحليلاته، وفي الرمز لعلاقاته وأبوابه[٦].

الجانب النظريّ:

نبحث في هذا الجانب النظرة إلى النحو العربي، ومشكلاته، وسبل حلها، وقد قسمناه على عنوانات ثلاثة، هي: تجديد النحو، ومشكلة النحو، والتعليل النحوي

١. تجديد النحو:

مرّت الدعوة إلى إصلاح تعليم اللغة العربية بمراحل؛ والمتتبع لها يجد بذورها في كتب النحويين الأوائل أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، والكسائي (ت١٨٩هـ)، واليزيدي (ت ٢٠٢هـ)، والجرمي (٢٢٥هـ)، وأبي موسى الحامض (٣٠٠هـ)، والزجاج (٣١١هـ)، وابن الخياط (٣٢٠هـ)، والزجاجي (٣٣٧هـ)، وأبي جعفر النحاس (٣٣٨هـ)، فكلهم وضعوا مختصرات في النحو لم يصلنا منها إلا (الجمل) للزجاجي، و(التفاحة) لأبي جعفر النحاس.[٧]

أما ما يخص الأسلوب، فقد حاول طائفة من القدماء تقديم النحو بأسلوب سهل واضح، وممن عرف عنهم وضوح الأسلوب، وسهولة العرض: الفراء (ت ٢٠٧هـ)، الذي غضب منه بعض النحاة، فقال متذمرًا: « إن دام هذا على هذا علّمَ النحو الصبيان»[٨] وقد التفت إلى النحو التعليمي طائفة من النحاة، فوضعوا كتبا نحوية تعليمية، منها: (الواضح)، و(الموضح)، لابن الأنباري(ت ٣٢٧هـ)، و(الإيضاح) لأبي علي الفارسي (٣٧٧هـ)، و(الواضح) لأبي بكر الزبيدي (ت٣٧٩هـ)، وغيرهم، ناهيك عن بعض النحاة الذين عكفوا على كتابة التمهيدات لكتاب سيبويه من أجل إعانة الدارسين على فهمه.

غير أن الثورة الحقيقية على تفكير النحاة، ومحاولة إصلاح منهجهم كانت في المغرب العربي، وهي

ثورة ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ) الفقيه الظاهري الذي تنسب إليه أخطر محاولة إصلاحية في تاريخ النحو العربي، وقد ضمّن كتابه (الردّ على النحاة) أفكاره النحوية المتجدّدة، ورفض فيه أفكار النحاة التقليديين، التي منها: (نظرية العامل)، وفكرة (الحذف)، و(التنازع في العمل)، و(التعليل)، و(القياس).

أما إصلاح تعليم اللغة على وجه العموم فقد التفت إليه نخبة من مفكري العربية منهم الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، ولكن أهم من وقف عند إصلاح تعليم اللغة وحدد أسس هذا الإصلاح هو المفكر الإسلامي الكبير ابن خلدون (٨٠٨هـ)، إذ أتحفنا بأفكار جديدة تتسم بالمنهجية الواضحة، وإمكانية التطبيق.

ونجد حين ننعم النظر في جهود اللغويين العرب والمسلمين القدامى في تعليم العربية أنهم لم يكونوا يفصلون بين الوراثة واللغة، فقد وقر في عقولهم أن اللغة شيءٌ يوَرّث، وأنّ غير العربي لا يمكن ان يتقن اللغة إتقان أهلها لها، وقصة مهاجمة الفرزدق عبد الله بن إسحاق الحضرمي معروفة؛ إذ رفض الأول التسليم بأحكام الأخير النقدية بحجة أنه أعجمي لم يرث اللغة عن آباء عرب أقحاح[٩].

وهذا الأصمعي (٢١٣هـ) لا يثق بالكميت. قال: « ليس الكميت بن زيد بحجة. لأن الكميت كان من أهل الكوفة، فتعلم الغريب وروى الشعر، وكان مُعَلَّمًا، فلا يكون مثل أهل البدو...»[١٠]، والسبب الآخر الذي جعل الاصمعي لا يثق بالكميت أنه « تعلم النحو وليس بحجة»[١١]. وكان ذو الرُّمة أحسن حالا عنده من الكميت، لأنه كان « مُعَلّمًا بالبدو وكان يحضر اليمامة والبصرة كثيرًا »[١٢]، وروى ابن قتيبة قال: « قال عيسى بن عمر: قال لي ذو الرمة: ارفع هذا الحرف، فقلت له: أتكتب؟ فقال بيده على فيه، اكتم عليّ؛ فإنه عندنا عيب ».[١٣] فاللغويون القدامى لم يرتابوا بلغة الأعاجم فحسب؛ بل ارتابوا بلغة العرب الذين ثبتت صلتهم بأهل العلم. غير أنّ هذه النظرة القاصرة لمسألة اكتساب اللغة لم تستمر طويلاً، فقد خرج عنها علماء رجّحوا اكتساب اللغة بالسماع، والرواية، والحفظ، منهم القاضي الجرجاني (٣٩٢هـ)، الذي قال: « إنني أرى حاجة المحَدِّث إلى الرواية أمَسّ، وأجده إلى كثرة الحفظ أفقر».[١٤]

ونحن نتفق مع مَن ذهب من المحدثين إلى أن أنضج ما وعاه الفكر العربي في هذا الشأن، هو ما ذكره المفكر العربي ابن خلدون، الذي ردّ دعوة من ظن أنّ العرب نطقوا لغتهم بالطبع بقوله: «وإنما هي ملكة لسانية تمكنت ورسخت، فظهر في بادئ الرأي»[١٥].

وقد حدّد ابن خلدون ثلاث مراحل يمر بها المتعلم، لينعكس فعل التعلّم على المتعلم، وهي على ما يبدو تتدرج من (الصفة) إلى (الحال)، ثم (المَلَكَة)؛ «ان الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالاً، ومعنى الحال: أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة، أي: صفة راسخة؛ فالمتكلم من العرب حين كانت ملكته اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم، وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيلقنها أولاً،

ثم يسمع التراكيب بعدها، فيلقنها كذلك، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة، ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصِفَة راسخة، ويكون كأحدهم»[١٦].

مَكمَنُ المشكلة - في رأينا – هو المناخ اللغويّ.. وقد اقترح ابن خلدون أن يصطنع اصطناعًا، ونحن في مدارسنا وجامعاتنا نعاني التفريط في اصطناع مناخ اللسان العربي، ولاسيما في كلياتنا العلمية، أو الإفراط في توظيف الفصحى القديمة ولاسيما عند علماء اللغة ذوي النشأة الدينية. أما الإعلام فهو يستحق منا لوحده وقفة في بحث مستقل، إذ يتبارى أهله في إقحام الانجليزية والفرنسية بمناسبة، أو من دون مناسبة.

ونعود لكلام ابن خلدون في اصطناع المناخ، وفيه يقول: « ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة، ويرومُ تحصيلها أن يأخذ نفسَهُ بحفظ كلامِهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن، والحديث، وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم وكلمات المولدين أيضا في سائر فنونهم حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم، ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم، وتأليف كلماتهم وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال، ويزداد بكثرتهما رسوخا وقوة، ويحتاج مع ذلك إلى سلامة الطبع، والتفهم الحسن لمنازع العرب وأساليبهم في التراكيب ومراعاة التطبيق بينها وبين مقتضيات الأحوال والذوق يشهد بذلك وهو ينشأ ما بين هذه الملكة والطبع السليم فيهما كما نذكر، وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول المصنوع نظما ونثرًا ».[١٧]

ووجه الصعوبة في تطبيق ما اقترحه ابن خلدون لا يكمن في القدرة على حفظ كلام العرب، فقد نتج من إقبال المسلمين على دينهم، وحبهم لكتاب الله، وتقديسهم له أن حفظ كثير منهم القرآن الكريم، وشطرًا من أحاديث الرسول الأكرم (ﷺ)، وحفظ كثير منهم كلام السلف الصالح، وخطبهم، وأشعار العرب الأوائل، والمجيدين من شعرائهم المولدين؛ بل إن المشكلة تبقى ماثلة في هجر الاستعمال، وقلة التزام مدرسي اللغة العربية، بلَهَ مدرسي المواد الأخرى باستخدام اللغة العربية الفصحى في التدريس، وهو ما ينذر بتدني مستوى الأداء اللغوي إلى الحد الذي تمسي فيه لغتنا القومية لغة غريبة تتحاشاها الألسن ولا تجد لها أذنا صاغية، لتحل محلّها اللهجات العامية المتدنية، فتصبح الأخيرة لغة مألوفة يستحسنها الناس ويتداولونها في رسائلهم ومحادثاتهم الشفوية؛ إذ إن ما يجري الآن في عموم مدارسنا بدءًا من مراحل الدراسة الأولى وانتهاءً بمراحل الدراسة العليا هو تجاهل مقصود أو غير مقصود لأصل من الأصول العامة للتدريس، هو التدريس باللغة الرسمية، التي أُلِّفَت بها الكتب المنهجية، والحصيلة أن الهدف العام الذي وضع لتدريس اللغة العربية هو أن يتقن التلميذ، أو الطالب لغته القومية حديثا وكتابة، وأن يكون قادرًا على

التعبير بها تعبيرًا أدبيًا مقبولاً، وهو ما أخفقنا في تحقيقه على الوجه الأكمل، ولكم أن تدخلوا على محادثات شبابنا في ما بينهم في شبكات التواصل الاجتماعي التي أخذت قصب السبق فيها اللهجات المحلية المختلفة، فصرت تميز كل شاب إلى أيّ بلد عربي ينتمي. بل إلى أية منطقة أو إقليم في هذا البلد أو ذاك.

مشكلة النحو:

إذا بحثنا في الغاية من دراسة النحو، نجد الحاجة إلى النحو قد مسّت من أجل تقويم اللسان من الخطأ عند نطق الصوت مفردًا ومركّبًا في كلمة، ولتوخي الصحة في ضبط الكلمة مفردة ومركبة في كلام، ثم معرفة منهج العربية في تأليف الجمل، وصوغ العبارات، وفهم وظيفة الكلمة في الجملة، ومعرفة الفروق بين التراكيب.

والقواعد الوظيفية هي التي تعيننا على الوصول إلى الغايات المذكورة، وما لا يحقق هذه الغايات فهي من القواعد غير الوظيفية. من هذا الجانب يصح النظر إلى النحو بوصفه حلا لمشكلة قائمة هي: (هجر الاستعمال العربي الفصيح، وبعد المتكلمين عن تحريه؛ بل عن التمييز أحيانا بين ما هو فصيح وما هو غير فصيح. والاستعانة بالعامي الدارج، أو بالأجنبي للتعبير عن مقاصدهم).

أما متى يغدو النحو مشكلة ليس لها حل؟ يغدو كذلك عندما يستحيل إلى إعراب محض لا رابط بينه وبين المعنى، وقد تنبه إلى هذا الأمر عدد من المهتمين بتعليم اللغة العربية، ومنهم د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، حين قالت: « كان الخطأ الأول، ان الأصل في الإعراب أنْ يضبطَ المعنى، ويدل عليه، لكن اللغويين فصلوا النحو عن المعاني، ووضعوا بينهما الحدود والأسوار... وهذا العزل الشاذ بين الإعراب والمعنى هو الذي جار على التعليم في كسب ذوق العربية ومعرفة منطقها».[١٨] وإلى ذلك ذهب الدكتور داود عبده حين قال: « إن القواعد المتعلقة بالحركة الإعرابية ليست سوى جزء يسير من قواعد اللغة».[١٩]

وقد نعى الدكتور أحمد عبد الستار الجواري (رحمه الله) على النحاة عزلهم معاني النحو عن النحو، وعدّ هذه مساءة بالغة به، وجنوحًا به عن السبيل السويّ، وتجريدًا للنحو من روحه حتى يصير جسمًا من غير روح وإهابًا من غير محتوى [٢٠]، وعدّ الرجل « انتزاع معاني النحو من النحو قضاءً عليه بالجمود والتحجّر، واقتطاعًا لشطرٍ مهم منه، هو الذي يبعث في قواعده رواءً وحيويةً وقدرةً على ممازجة الأفكار والمشاعر».[٢١]

وقد تنبه إلى هذه النظرة القاصرة إلى النحو من القدماء الإمام عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ)، واضع أصول البلاغة، وهو الذي عده الذهبي شيخ النحو[٢٢]. فقد كان يشكو من اقتصار معرفة النحو على إتقان الرفع والنصب، قال: « وأما النحو فظنّته الطائفة القاصرة ضربًا من التكلف، وبابًا من التعسّف، وشيئًا لا يستند إلى أصل، ولا يعتمد على عقل، وأن ما زاد منه على معرفة الرفع والنصب، وما يتصل بذلك ممّا تجده في المبادئ هو فضلٌ لا يجدي نفعًا، ولا تحصل منه

فائدة، وضربوا له المثل بالملح».[٢٣]

وفي حدود متابعتي لدعوات إصلاح النحو وتجديده أنه في القرن الماضي وفي العام ١٩٣٨م أصدر مجمع اللغة العربية المصري قراراته الداعية إلى إصلاح النحو العربي، وهي قرارات لا تمس روح النحو بقدر ما ترمي إلى الرجوع به إلى منابعه الصافية، بأن تخلصه من الشوائب العالقة به، ولم يُعمَل بهذه القرارات لا في مصر ولا في غيرها، ومن هذه القرارات أن تلغى فكرة استتار الضمير، وان يستغنى عن الإعراب التقديري والمحلي، وأن تُوحد ألقاب الإعراب والبناء، و جاء العام ١٩٧٦م لتعقد فيه ندوة المجامع اللغوية العربية على أرض الجزائر، وشاركت فيها ثلاثة مجامع هي: مجمع بغداد، ومجمع دمشق، ومجمع القاهرة، وخرجت بجملة قرارات قامت على اقتراحات جديدة، حملها إلى الندوة مجمع بغداد، أو مجمع دمشق، وهي:

- الربط بين علم النحو ومفهوم الدلالة.
- دراسة بعض التراكيب النحوية دراسة تحدد معانيها، وتضبط أواخرها دون التعرض لإعرابها التفصيلي كصيغ القسم، والتعجب، والتحذير والإغراء، والنفي، والتوكيد، والتفضيل... وغير ذلك.
- الإبقاء على الإعراب التقديري والمحلي دون تعليل.
- الاكتفاء بألقاب البناء في حالتي الإعراب والبناء.
- أن يدرس أسلوب الاستثناء في باب الأساليب، ويقتصر في أحكامه على النصب إذا كان استثناء تامًّا.
- ما ينصب بـ(أن) مضمرة وجوبًا يقال فيه إنه منصوب بعد الأدوات الظاهرة.

تلك هي أهم قرارات الندوة المذكورة، وهي قرارات لم تصدر عن مجمع واحد؛ بل عن مجامع ثلاثة؛ لذا كان من المنتظر أن تأخذ بها الأقطار العربية جميعها، وتصوغ مناهج النحو المدرسي في ضوئها. والمؤسف أن شيئا من القرارات الملمح إليها لم ينفذ، فالربط بين النحو والدلالة يكاد يكون غائبا عن مناهجنا الدراسية. وإنما تقتصر هذه المناهج على تعليم الأدوات والصيغ مجردة من معانيها، فطالب النحو العربي لا يميِّز بين النفي بـ(لم)، والنفي بـ(لن)، والنفي بـ(لا) في كثير من الأحيان، ولا يفرق بين (محمدٌ نشطٌ)، و(محمدٌ نشيطٌ)، و(المكان ضيِّقٌ)، و(المكان ضائقٌ) ولا بين عاطشٍ وعطشانٍ، وغَضِبٍ وغاضبٍ وغضبان، فمناهجنا تكتفي بتلقين الطالب الأثر الإعرابي الذي تحدثه الأدوات، أو الصيغ، أو الأسماء العاملة، أو الأفعال، فلم يكلف مؤلفو كتبنا المنهجية أنفسهم، وهم يقدمون موضوع (لا) النافية للجنس العاملة عمل (إنّ) التوكيدية المشبهة بالفعل، ثم تقدم موضوع (ليس)، والأدوات العاملة عمل ليس أن يوضحوا لطلبتنا الصلة الدلالية بين هذه الموضوعات.

التعليل النحوي وأثره في تعليم النحو العربيّ:

ثمة اتجاهان يجنح إليهما القول بالعلة النحوية: الأول تولى إيضاحه لنا ابن جني (٣٩٢هـ) إذ كان يرى أنها موجبة للحكم، فاقترب بها من علل المتكلمين، وتلك « علل النحويين، وأعني بذلك حُذاقهم المتقنين...وذلك

لأنهم يحيلون إلى الحسّ»[٢٤]. والآخر بينه الزجاجي بقوله: « إن علل النحو ليست موجبة، وإنما هي مستنبطة أوضاعًا ومقاييس، وليست كالعلل الموجبة للأشياء المعلولة بها ليس هذا من تلك الطريق ».[٢٥]

ويلمح المتأمل اتجاها ثالثًا في كلام كمال الدين علي بن مسعود الفرغاني، الذي رأى أنّ العلل النحوية ليست على سبيل « الابتداء والابتداع بل على وجه الاقتداء والاتباع»[٢٦]. وهذا الاتباع والاقتداء مبني على الظنّ « وما يبرر الظن – ظن المجتهد في النحو هو الاعتقادُ في أنّ اللغة من وضع واضع حكيم »[٢٧].

وحاول ابن جني التمييز بين ما هو موجب من العلل وما هو جائز بقوله: « اعلم أن أكثر العلل عندنا مبناها الإيجاب بها كنصب الفضلة أو ما شابه في اللفظ الفضلة، ورفع المبتدأ والخبر والفاعل وجر المضاف إليه وغير ذلك، فعللُ هذه الداعية إليها، واجبة لها غير مقتصر بها عن تجويزها، وعلى هذا مفاد كلام العرب، وضربٌ آخر يسمى علة، وإنما هو في الحقيقة سبب يُجَوّز ولا يوجب»[٢٨].

وقد نأى الرعيل الأول من النحاة بنفسه عن محاولة إيجاد العلة الفلسفية في علم النحو. أما محاولة المتأخرين من النحاة البحث عن العلة المنطقية في المظاهر اللغوية زاعمًا أنّ للعل قوة العلة المنطقية في المظاهر الفلسفية فقد حَمّلت هذه المحاولة العلوم اللغوية عامة وعلم النحو العربي على وجه الخصوص أعباء ليست هي منها. وما زلنا نعاني آثارها إلى يوم الناس هذا[٢٩]. ففي النحو مجازات ومسامحات لا يستعملها أهل المنطق، وقد قال أهل الفلسفة: « يجب حمل كل صناعة على القوانين المتعارفة بين أهلها، وكانوا يرون إدخال صناعة في أخرى إنما يكون لجهل المتكلم، أو لقصد المغالطة والاستراحة بالانتقال من صناعة إلى اخرى عند ضيق الكلام عليهم »[٣٠].

والعلل النحوية على ثلاثة أضرب، أولها: التعليمية، وهي ما يتوصل به إلى تعليم كلام العرب، فإذا سمع بعضه قاس عليه نظيره، وقد أطلقوا عليها العلل الأُول، ولم يعترض على هذا الضرب من العلل أكثر النحاة إنكارًا لمبدأ التعليل، وهو ابن مضاء القرطبي (٥٩٢هـ)، إذ كان يرى « أن العلل الأولى تحصل لنا المعرفة بالنطق بكلام العرب المُدرَك منا بالنظر»[٣١]. والاستعانة بهذه العلل في تعليم النحو خير وسيلة لإبعاده عمّا هو عليه من صعوبة وتعقيد، وهو يحقق الغرض الذي ذكره ابن جني من علم النحو، وهو« انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعرابٍ وغيره »[٣٢]. أما الضرب الثاني من العلل فهي العلل القياسية، أو ما يسمى بالعلل الثواني، وهذه العلل تحاول أن تربط بين الظواهر المختلفة بملاحظة ما بينها من صلات، وأخذ النحاة بها سعيا لطرد الأحكام، ومن أمثلتها أن يعلل قولنا: (إن زيدًا قائمٌ): وجب أن تنصب (إنَّ) زيدًا؛ لأنها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدي إلى مفعول، لذا حملت عليه فعملت عمله لما ضارعت فهي تشبه من الأفعال ما قُدِّم مفعوله على فاعله. أما الضرب الثالث من العلل فهي العلل الجدلية، وهي تعليل للعلل المتقدمة (الأوائل والثواني)، وتأييد لها بالتسويغ المنطقي.

ونحن لا نحتاج إلى النمط الثاني، ولا إلى الثالث. كما يمكن أن نكتفي بجزء يسير من النمط الأول. فالعلة التي تطّرد على الكلام العربي وتنساق إلى قانون لسانهم لا بأس بها، ولا اعتراض عليها؛ لأن تزيد تعليم اللغة متعة وتشويقا. أما العلة التي وصفها السيوطي في ثمار الصناعة بقوله: «..وعلةٌ تُظهِر حكمتهم وتكشف عن صحة أغراضهم ومقاصدهم في موضوعاتهم»[٣٣]. فهذه تترك للمتخصصين بلغة العرب، والباحثين عن أسرار الكلام العربي، ومنهم المفسرون والمهتمون باستنباط الأحكام الشرعية.

الجانب التطبيقيّ:

ونعرض في هذا الجانب لطائفة من الموضوعات النحوية، وما اعترى عرضها في كتبنا المنهجية من تعقيد لا مسوغ له:

١. (لا) النافية للجنس:

تشابه (لا) النافية للجنس، و(إنّ) التوكيدية من حيث العمل، أي: - الأثر الإعرابي – مردُّه إلى أنّ (إنَّ) تفيد التوكيد في حال الإثبات والإيجاب، و(لا) تفيد التوكيد أيضًا، ولكن في حال النفي والسلب، ويتضح توكيدها النفي من الموازنة في قولنا: (لا يُحَبُّ الكاذبُ)، و(لا كاذبَ محبوبٌ)؛ فالنفي في الجملة الأولى يفتقر إلى القوة والتوكيد، والنفي في الجملة الثانية قويٌّ ومؤكد. وإذا أعربت الكتب المنهجية اسم (لا) على أنه مبنيٌّ فإنها تعرب نمطًا آخر من اسم (لا) على أنه معرب منصوب، وفي ذلك بلبلة لعقل الطالب، وتقديم لقاعدتين متناقضتين في موضوع واحد. ويكفينا ان نقول: إن الاسم بعد (لا) النافية للجنس يكون مفتوحًا دائما في جميع حالاته، ولكنه في حال إضافته إلى ما بعده فإنه يكون مفتوحًا بغير تنوين، وهذا الرأي ليس من اجتهاد الباحث، أو اجتهاد أحد من النحويين المعاصرين، أو هو مما توصل إليه دعاة التجديد والتيسير. إنما هو رأي ذهب إليه طائفة من نحاتنا القدماء، ومنهم السيرافي(٣٦٨هـ)، والزجاج(٣١١هـ)، والمبرد(٢٨٦هـ)، وابو بكر الزبيدي(٣٧٩هـ)، ولكن هذا الرأي ضاع في غمرة ما يسمى بـ(مذهب الجمهور)، أو في ضجيج ما يعرف بالنحو الرسمي، الذي فرض نفسه في مدارسنا.

وربما كان الأيسر أن نكتفي بإعراب (لا) واسمها المحلي، ما دام سيبويه إمام النحاة قد عدها هي وما تعمل فيه في موضع ابتداء، حين قال: «...ولا وما تعمل فيه في موضع ابتداء».[٣٤] فليس لها عمل على الحقيقة؛ لأن سيبويه قاسها بمن الزائدة، وأكد أنها كالمُرَكبة في ما بعدها. « واعلم أنّ لا وما عملت فيه في موضع ابتداء، كما أنك إذا قلت: هل من رجلٍ فالكلام بمنزلة اسم مرفوع مبتدأ. وكذلك ما من رجلٍ، وما من شيء» [٣٥] ولم يكن قياس سيبويه مبنيًّا على منطق العقل وحده. إنما شفعه بلغات العرب حين قال: « والدليل على أنَّ لا رجلَ في موضع اسم مبتدأ، وما من رجل في موضع اسم مبتدأ في لغة تميم قول العرب من أهل الحجاز لا رجلَ أفضل منك».[٣٦] فلم هذا الإصرار على ترك الإعراب المحلي حينما يدخل في باب التيسير، ويقابله التمسك به عندما لا تكون بنا حاجة إليه.

٢. (إنْ) النافية العاملة عمل ليس:

هذه أداة يندر أن يستعملها العرب في النفي، إذ لم يتحفنا السماع بإعمالها هذا العمل مما حدا بجمهور البصريين إلى إنكاره، ولا سيما أنها لم ترد عاملة في القرآن الكريم وفي القراءة المشهورة، وقد وردت أمثلة قليلة على إعمالها في الشعر، وقيل إنها لغة أهل العالية، وهي منطقة ما فوق نجد إلى أرض تهامة، وإلى ما وراء مكة، وما والاها، ولكن النحويين المحدثين مصرون على إثباتها من أدوات النفي العاملة عمل (ليس)، في حين لم يرد نفيها إلا منتقضًا، فهي لا تفيد النفي؛ بل تفيد القصر بالنفي، نحو قوله تعالى: ﴿مَا هَـذَا بَشَراً إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ١٢/ ٣١]، وقوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[يوسف: ١٢/ ٤٠].

أما قول برجستراسر في أنها تطابق (ما) في وظيفتها، وأكثر وقوعها قبل (إلا) للجناس بينهما[٣٧]، فهو قول ليس في محله؛ لأنّ (ما) وردت عاملة عمل (ليس) في القرآن الكريم في غير موضع، وكذا تواتر السماع من كلام العرب على إعمالها هذا العمل، ويكاد يكون أصلا فيها اقتران الباء بخبرها، فلم يرد في القرآن الكريم تجرد خبر (ما) من حرف الجر إلا في موضعين، ومن لطائف القرآن الكريم وعجائبه أن الأداتين (ما، إن) وردتا معًا في سياقٍ واحد، وأنَّ (ما) لم تقترن الباء بخبرها، وأنَّ (إن) جاءت وخبرها منتقضٌ بالا، أي أنها لم تفد النفي الصريح؛ بل أفادت القصر، وهي الوظيفة التي تؤديها (إن) وينبغي أن تدرس في بابها؛ والموضعان هما قوله تعالى: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾[المجادلة: ٢/٥٨]. أما الموضع الآخر فقد جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَـذَا بَشَراً إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[يوسف: ١٢/٣١].

وكثيرًا ما يتصل باسم (ما) حرف الجر (مِن) الذي يفيد استغراق النفي، والاستغراق فرع من فروع التبعيض يجوز إليه بوقوع الحرف في سياق النفي، كأن المنفي هو الشيء بأبعاضه وأجزائه كلها.[٣٨]

وهذه الأمور التي ذكرناها غير موجودة في سياق النفي بإنْ؛ فأين وجه المطابقة بين (إن)، و(ما) الذي زعمه برجستراسر؟. وبناءً على ما تقدم نرى أن تُنقل هذه الأداة من باب الأدوات العاملة عمل (ليس) إلى موضوع آخر مستقل هو: أسلوب القصر، وأن ينطوي تحت هذا العنوان ما اصطلح عليه النحاة (الاستثناء المفرّغ) عمومًا سواء أكان سياقه منفيًّا بإنْ، أم بغيرها.

٣. العطف وعلاقته بالفصل والوصل:

يَمُرّ علينا موضوع العطف، وأدواته في مراحل الدراسة المختلفة، ولم نجد له أثرًا واضحًا في أساليب طلبتنا في التعبير والكتابة، ولم يشجعهم هذا الموضوع على التأمّل في كتاب الله من أجل الارتواء من ينبوع العربية الصافي، وما حدث – على حدّ علمي – أن اتفق أستاذان احدهما يدرّس البلاغة العربية، والآخر يدرّس النحو العربي على تقديم هذا الموضوع بحُلّة جديدة تجذب الطالب إليه، وتشجعه على الغرف من نمير التراث العربي الذي لا ينضب.

(الفصل والوصل) هذا الموضوع من الموضوعات الحساسة والمهمة في العربية، ولا عجب، فلهذا الموضوع علاقة وثيقة بالأسلوب العربي البليغ، حتى قال فيه عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز: «..واعلم أنه ما من علمٍ من علوم البلاغة، أنت تقول فيه إنه خفيٌّ غامضٌ ودقيق، إلاّ وعلم هذا الباب أغمضُ وأخفى وادَقُّ وأصعبُ» [٣٩]. وقد عده الذين سبقوا عبد القاهر: أنه هو البلاغة برُمّتها « سُئل بعضهم ما البلاغةُ فقال: معرفةُ الفصلِ والوصلِ، ذاك لغموضه ودقة مسلكه» [٤٠]. وحسبنا أن نتعرف معاني العطف التي ذكرها علماء العربية لتستبين لنا رحابة هذا الميدان، ولزوم السعي إلى تطوير تدريس النحو العربي عن طريق جعل دراسة هذا الموضوع دراسة أسلوبية بحتة لا دراسة نحوية فقط، فتعدد معنى حروف العطف، وتنوع استعمالاتها مدعاة لجعل فهم طلبتنا هذا الموضوع مدخلاً مهما من مداخل تطوير أساليبهم في الإنشاء، وإدراك الطلبة مواطن الفصل والوصل، والسر في تنوعها يجعلهم يدركون مواطن مهمة من جماليات لغة العرب، وأسرار الإعجاز القرآني؛ فالوصل بالواو – على سبيل المثال – يعني من جملة ما يعنيه أنّ الجملتين المتعاطفتين ندّان متساويان في حكم، وإن كانتا مشتركتين فيه. فمكان الواو بين الجمل موقع دقيق، وهو الذي قضى أن يقال في غموضه ودقته وخفائه، وعسر إدراكه. فقد يأتي الوصل بغير العطف، وهو من روائع الأساليب القرآنية التي ضرب مدرسو النحو العربي عنها صفحًا.

الخاتمة:

لعل من أهم النتائج التي توصلنا إليها في بحثنا هذا هي:

١. نجد حين ننعم النظر في جهود اللغويين العرب والمسلمين القدامى في تعليم العربية أنهم لم يكونوا يفصلون بين الوراثة واللغة، فقد وقر في عقولهم أن اللغة شيءٌ يوَرّث، وأنّ غير العربي لا يمكن ان يتقن اللغة إتقان أهلها لها. فاللغويون القدامى لم يرتابوا بلغة الأعاجم فحسب؛ بل ارتابوا بلغة العرب الذين ثبتت صلتهم بأهل العلم. غير أنّ هذه النظرة القاصرة لمسألة اكتساب اللغة لم تستمر طويلاً، فقد خرج عنها علماء رجّحوا اكتساب اللغة بالسماع، والرواية، والحفظ.

٢. العلل النحوية على ثلاثة أضرب، أولها: التعليمية، وقد أطلقوا عليها العلل الأُول. أما الضرب الثاني من العلل فهي العلل القياسية، أو ما يسمى بالعلل الثواني، وهذه العلل تحاول أن تربط بين الظواهر المختلفة بملاحظة ما بينها من صلات، وأخذ النحاة بها سعيا لطرد الأحكام، وقد نأى الرعيل الأول من النحاة بنفسه عن محاولة إيجاد العلة الفلسفية في علم النحو. أما محاولة المتأخرين من النحاة البحث عن العلة المنطقية في المظاهر اللغوية زاعمًا أنّ للعل قوة العلة المنطقية في المظاهر الفلسفية فقد حَمّلت هذه المحاولة العلوم اللغوية عامة وعلم النحو العربي على وجه الخصوص أعباء ليست هي منها. وما زلنا نعاني آثارها إلى يوم الناس هذا. ونحن لا نحتاج إلى النمط الثاني، ولا إلى الثالث. كما يمكن أن نكتفي بجزء يسير من النمط الأول. فالعلة التي تطّرد على

الكلام العربي وتنساق إلى قانون لسانهم لا بأس بها، ولا اعتراض عليها؛ لأن تزيد تعليم اللغة متعة وتشويقا.

٣. دعا الباحثان إلى إعادة النظر في المادة اللغوية التي ندرسها اليوم لطلابنا، وإلى إعادة صياغة الهدف من تدريس النحو، عن طريق وضع قواعد وظيفية تعيننا على الوصول إلى الغايات المرجوّة من تعليم النحو العربي.

٤. رأى الباحثان لزوم إعادة النظر في طريقة تدريس طائفة من موضوعات النحو العربي، وقد رجعا في هذا إلى آراء النحاة القدامى من أجل إحياء تلك الآراء ، وأضافا إليها ما وجداه نافعًا ومسايرًا لروح العصر الذي نعيشه.

الهوامش

١. اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسن:١٦١.

٢. لنا في مؤلفات ابن جني غنى عن التفصيل، فما ذكره في المنصف، وسر الصناعة، والخصائص، ناهيك عن المسائل الصوتية والصرفية في المحتسب دليل على صحة ما ذكرنا. ولمزيد من التفصيل في تلك الجهود يمكن الرجوع إلى كتاب(الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني) للدكتور حسام سعيد النعيمي، والبحث اللغوي عند العرب، للدكتور أحمد مختار عمر، الفصل الثاني: الأصوات: ٩٣-١٢٢، والفصل الثالث: ١٢٣-١٦٠.

٣. ينظر: النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي: ٢٧.

٤. ينظر: في سبيل المثال: باب (ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة) الكتاب: ١١٠/٤، و(ما يسكن استخفافا وهو في الأصل متحرك): ١١٣/٤، و(ما تُمال فيه الألفات): ١١٧/٤-١٢٨، و (ما تلحقه الهاء في الوقف لتحرك آخر الحرف): ١٥٩/٤-١٦٥، و(الوقف في أواخر الكلم المتحركة في الوصل): ١٦٦/٤-٢٠١، و(الإشباع في الجر والرفع وغير الإشباع والحركة كما هي): ٢٠٤/٢٠٢، و(نظائر ما مضى من المعتل): ٣٣٠/٤-٣٦٥، و(التضعيف): ٤١٧/٤-٤٣٠.

٥. اللغة بين المعيارية و الوصفية ، د. تمام حسن:١٦١.

٦. ينظر: اللغة معناها ومبناها، د. تمام حسان:٨٦.

٧. ينظر: في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، د. نعمة رحيم العزاوي: ٣٢.

٨. الفهرست، لابن النديم: ٦٦٠.

٩. عبد الله بن أبي إسحاق الزيادي الحضرمي (٢٩ – ١١٧ه): نحوي، من الموالي، من أهل البصرة، أخذ عنه كبار من النحاة كأبي عمرو ابن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي والأخفش. فرع النحو، وقاسه، وكان أعلم البصريين به. وهو الذي يقول الفرزدق في هجائه: (ولو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا) وسبب الهجاء أن الزيادي لحنه في بعض شعره، فلما قال فيه هذا البيت، وعلم به الزيادي: قال: قولوا للفرزدق لحنت في هذا البيت أيضا، وكان عليك أن تقول: (مولى موال). ينظر: فهرست ابن النديم(٤٣٨ه): ٧٤، والمحصول للرازي (٦٠٦ه): ٤٠٢، والكامل في التاريخ لابن الأثير(٦٣٠ه): ٥/ ٣٤١، ووفيات الأعيان لابن خلكان(٦٨١ه): ٦/ ٣٩٢، والأعلام، خير الدين الزركلي: ٤/ ٧١.

١٠. الموشح للمرزباني: ٢٢٧.

١١. المصدر نفسه، والصحيفة نفسها.

١٢. المصدر نفسه، والصحيفة نفسها.

١٣. الشعر والشعراء، لابن قتيبة: ١/ ٥٢٥.

١٤. الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٥، ١٦.

١٥. مقدمة ابن خلدون: ٥٦٢.

١٦. مقدمة ابن خلدون: ٥٥٤ – ٥٥٥.

١٧. المصدر نفسه: ٥٥٩.

١٨. لغتنا والحياة، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): ١٩٦ – ١٩٧.

١٩. نحو تعليم اللغة وظيفيًّا، د. داود عبده: ٥٢.

٢٠. ينظر: نحو القرآن، د. أحمد عبد الستار الجواريّ: ١٦.

٢١. نحو المعاني، د. أحمد عبد الستار الجواريّ: ٦٠.
٢٢. ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: ١٨/ ٣٩٧.
٢٣. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١/ ٤.
٢٤. الخصائص: ١/ ٥٠ ــ ٥١.
٢٥. الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان ١٩٨٦م: ٦٨.
٢٦. الاقتراح في علم أصول النحو: ٥٤.
٢٧. بنية العقل العربي، الدكتور محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٥، بيروت،١٩٩٦م: ١٤١، وينظر: التعليل الصوتي عند العرب، د. عادل نذير بيري، ط١، بغداد ٢٠٠٩م: ٢٨.
٢٨. الخصائص: ١/ ١٦٤ ــ ١٦٥.
٢٩. نعني وقت كتابة البحث وهو العام (٢٠١٦م).
٣٠. صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، جلال الدين السيوطي: ٢٠٠.
٣١. الرد على النحاة: ٣١.
٣٢. الخصائص: ١/ ٣٤.
٣٣. الاقتراح: ٨٣، وينظر: البلغة في تأريخ أئمة اللغة، للفيروز آبادي: ٦٩ ــ ٧٠، والتعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث: ٣١ ــ ٣٢ .
٣٤. كتاب سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون: ٢/ ٢٧٤.
٣٥. المصدر نفسه: ٢/ ٢٧٥.
٣٦. المصدر نفسه: ٢/ ٢٧٥ ــ ٢٧٦.
٣٧. ينظر: التطور النحوي: ١١٥.
٣٨. ينظر: نحو القرآن: ٨٩ ــ ٩٠.
٣٩. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، بتحقيق د. محمد رضوان الداية، ود. فايز الداية:٢٣٩.
٤٠. المصدر نفسه: ٢٣٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- الأعلام، خير الدين الزركلي(ت١٤١٠هـ)، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ١٩٨٠م .

٢- الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان ١٩٨٦م.

٣- البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، د. أحمد مختار عمر، الطبعة الثامنة، عالم الكتب، القاهرة ٢٠٠٣م .

٤- بنية العقل العربي، الدكتور محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٥، بيروت،١٩٩٦م.

٥- التعليل الصوتي عند العرب، د. عادل نذير بيري، ط١، بغداد ٢٠٠٩م.

٦- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت (من دون ذكر لتاريخ النشر).

٧- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، الدكتور حسام سعيد النعيمي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر ، الجمهورية العراقية ١٩٨٠م .

٨- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، بتحقيق د. محمد رضوان الداية، ود. فايز الداية:٢٣٩.

٩- سير أعلام النبلاء ، للذهبي (ت٧٤٨هـ) ، شرح وتخريج شعيب الأرناؤوط ، تحقيق مأمون الصاغرجي ، الطبعة التاسعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

١٠- شرح ابن عقيل، قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل المصري، ترجمة محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب للطباعة والنشر في الموصل، جامعة الموصل ١٩٩٩م.

١١- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف (ج. م. ع) ١٩٨٢م.

١٢- الفهرست، لابن النديم، المطبعة الرحمانية بمصر، نشر المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٣٤٨هـ.

١٣- في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، د. نعمة رحيم العزاوي، الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٥م.

١٤- الكامل في التأريخ، ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ١٣٨٦ه – ١٩٦٦م.

١٥- اللغة بين المعيارية والوصفية، الدكتور تمام حسان، ط ٤، عالم الكتب، القاهرة ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

١٦- اللغة معناها ومبناها، تأليف الدكتور تمام حسان، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، القاهرة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٧- لغتنا والحياة، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف بمصر ١٩٧١م.

١٨- المحصول، الفخر الرازي (ت٦٠٦ه)، تحقيق طه جابر فياض العلواني، الطبعة الثانية، دار الرسالة، بيروت ١٤١٢هـ.

١٩- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه حسن حمد، أشرف عليه وراجعه د. أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٩٩٨م.

٢٠- مقدمة ابن خلدون، العلامة ابن خلدون، طبعة بيروت (من غير ذكر لتاريخ النشر).
٢١- من قضايا تعليم اللغة رؤية جديدة، د. نعمة رحيم العزاوي، بغداد ١٩٨٨م.
٢٢- الموشح، المرزباني، ترجمة علي محمد البيجاوي، القاهرة ١٩٦٥م.
٢٣- النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي ، ط٢ ، دار الرائد العربي ، بيروت – لبنان ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م .
٢٤- نحو القرآن، د. أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٧٤م.
٢٥- نحو المعاني، د. أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٧م.
٢٦- نحو تعليم اللغة وظيفيًّا، د. داود عبده، ط١، مؤسسة دار العلوم، الكويت ١٩٧٩م.
٢٧- الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، ترجمة محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٣، (من دون ذكر لتاريخ النشر).
٢٨- وفيات الأعيان ، لابن خلكان (ت٦٨١هـ) ، تحقيق إحسان عباس ، لبنان ، دار الثقافة .

عناصر الاتساق والانسجام النصي
قراءة نصية تحليلية في خُطبتي
السيدة زينبَ عليها السلام
في الكوفة والشام

Elements of the harmony Script
Analytical reading a text in my speech Sayeda
Zeinab peace be upon her
In Kufa and Sham

أ.م.د. الآء محمد لازم
By: O.m.d.ala Mohammed needed

ملخصُ البحث

تقوم الدراسة على رصد عدد من عناصر الإتساق والانسجام النصي في خطبتي السيدة زينب (عليها السلام) في الكوفة والشام وهما نصان يتعاملان مع واقعة الطف وما جرى فيها من احداث مهمة ،في محاولة لكشف آليات الإتساق (الإحالات النصية ،والحذف،والإستبدال ،والإتساق المعجمي)

واليات الإنسجام النصي (البنية الكلية ،والعنوان ،والتكرار،والمعرفة الكلية للعالم)

اذ تناولنا عناصر الإتساق الواردة تناولا تطبيقيا لقياس مدى اسهامها في تحقيق الإنسجام النصي الذي منح الخطبتين نصانيتهما عبر تلمس فاعلية تلك العناصر في تحقيق الإتساق عرضت السيدة زينب في خطبتيها المآسي التي حلت بآل بيت النبوة مقدمة مضمون رؤيتها بصورة لاتخلو من مسحة التهكم والتي استثمرت فيها الطاقات اللغوية وتمكنها من زمام لغتها، تلك القدرة الفذة التي تحلت بها السيدة عليها السلام ،والقابلية التي ورثتها من بلاغة ابيها وامها عليهما السلام.

Abstract

The study to monitor the number of elements of the harmony script in my speech, Ms. Zainab (peace be upon her) in Kufa and Syria, the two texts, deal with the reality tuff and what happened in the important events, in an attempt to uncover the mechanics of consistency (text assignments, deletions, and replacements, and consistency lexical)

The mechanics of harmony script (the college infrastructure, address, and repeatability, and knowledge of the world total)

As we approached the elements contained addressed consistency applied to measure the contribution in harmonizing the text whichKtabtan Nassanitha through touch the effectiveness of those elements in achieving consistency Sayeda Zeinab offered in tragedies Khtptiha that befell the house of prophecy and the God of the introduction substance seen in the Atakhlu of swab satire in which linguistic energies invested enabling it took the language of those inimitable ability demonstrated by Ms. them peace and susceptibility inherited from the eloquence of her father and her mother, peace be upon them.

المقدمة

لقد تهيأ للسيدة زينب الحوراء بنت أمير المؤمنين عليها السلام من أسباب الشرف والرفعة ،والعظمة، والشجاعة ،والبلاغة ،والصبر، والعنفوان، ما جعلها مؤهلة لتقوم بدورها القيادي والإعلامي بعد واقعة الطف ، فهي سليلة الدوحة المحمدية إلى جانب ما وهبها الله عليها السلام من ذكاءٍ فطريّ وقوة حافظة وشدة فطنة، ما جعلها تنبغ في حفظ القرآن وتفسيره ،وحفظ ما أُثر من عائلتها المطهرة فأثَّر هذا في تكوين شخصية تلك الصابرة الجليلة، فجعلها قوية الحجة ، فصيحة اللسان، حسنة المنطق ، بليغة الكلام عميقة التأثير، فضلاً عن شجاعتها وإقدامها لتؤسطر للإنسانية انموذجاً للمرأة التي قهرت الموت بتحملها المصائب، وقهرت الطغاة والجبابرة ، فأخرستهم بمنطقها وحجتها.

كانت واقعة الطف تمثل أوج مراحل الصراع بين (قيم الخير ومثله)، والشر وادعاءاته إذ تعرضت الأمة الإسلامية في تلك الحقبة الى هجمة شرسة تستهدف قيمها ومثلها، وأصبح الواقع الإسلامي يشهد مواجهة خطيرة من تيار الضلال والانحراف تكاد تنتهي إلى نتائج كارثية، وفي مثل هذه الظروف بالغة الحساسية كان من الطبيعي أن تحدث المواجهة بين المبدئية والشرعية ممثلة بالإمام الحسين وبين السفاحين ولا سيما أن الإمام الحسين عليه السلام يعد المعني الأول وأهله وأصحابه بحماية القيم والمبادئ الإسلامية ،والردة والانتهازية ممثلة بيزيد بن معاوية ومن معه من المرتزقة جوهرية عديدة في مقدمتها الدور الجهادي المعد للقيام به في ضوء مكانته الروحية المعروفة ،والتي تمثل امتداداً طبيعياً للنبوة ممثلة بجده الرسول الكريم محمد والإمامة الممثلة بأبيه وأخيه عليهما السلام.

فكانت حتمية المواجهة تمثل امتداداً للأسباب والدواعي التي ساهمت في المواجهة القديمة بين قيم الخير والشر، الشجاعة والتخاذل قيم الوفاء والغدر، قيم الصبر والجزع، الإيمان والكفر منذ بداية الخليقة،وقصص المواجهة بين رموز الحق الممثلة بالأنبياء، ورموز الكفر والضلال وتستمر مع استمرار الحياة لتتحول قيم التضحية والفداء الحسينية الى رموز شاخصة في ضمائر الأجيال تُستمد منها المواقف والمعاني اللازمة للدفاع عن كرامتها ومعتقداتها وتنهل من ينابيعها دروساً في المقاومة والتضحية من اجل الاستقامة ومواجهة الإنحراف.

ليجسد التفاعل والتواصل مع الثورة الحسينية مدى نقاء وطهارة وقوة الموقف الحسيني الرافض لعناصر الظلم والتهميش والضلال في الموقف اليزيدي، والتوجه الثابت على مدى التاريخ في معارضتها للشر كونه القوة التي تتعارض مع آمالها وتطلعاتها وتهدف إلى القضاء على قيمها ومعتقداتها.

الدور الإعلامي للسيدة زينب عليها السلام في واقعة الطف

إن للمرأة أدواراً عظيمة في المجتمع، وهي ادوار متميزة جداً،ومن بين تلك الأدوار دور زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام في واقعة الطف فهناك كثير من الناس يتساءلون لماذا أخرجها الحسين عليه السلام إلى كربلاء وهي في عصمة رجل هو عبد الله بن جعفر؟

وذلك لأنه عليه السلام كان يعلم أنها ستقوم بأدوار لن يقوم بها احد غيرها ،ومن أهم تلك الأدوار الدور الإعلامي الذي قامت به عليها السلام بعد معركة الطف، التي لولاها ما عرف الكثير عن نهضة الحسين عليه السلام فقد حمل التاريخ صوت زينب معه وهي تنقله من ساحة المعركة إلى مجلس ابن زياد في الكوفة ومجلس يزيد في الشام ومن ثم إلى المدينة وقالت في خطبتها في أهل الكوفة ((**أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر، أتبكون وتنتحبون، فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نفضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلا بينكم، فتعساً ونكساً وبعداً لكم وسحقاً...**))[١].

هذه هي زينب عليها السلام التي يعبر عنها أحد الشعراء بقوله [٢]:

يا ابنة المجد في ذرا آل فهر

يا نسيجاً به مزاج علي

وابنة الوحي في مدى جبريل

وهدى احمد وزهو البتول

وفعلاً هكذا كانت (سلام الله عليها) يقول الشيخ الصدوق كانت لها نيابة خاصة عن الحسين عليه السلام [٣]، السبب الذي أخرجها من بيتها وهي زوجة عبد الله بن جعفر؟ خرجت من بيتها مع أولادها الاثنين (محمد) و (عون) اللذين قتلا في الطف.

خرجت زينب عليها السلام وأناط بها الحسين عليه السلام مجموعة من الوظائف منها قيادة الحملة مع ما فيها من الرجال والنساء، فالحسين يوظفها لدور الإسلام في واقعة الطف، فترى موقفها في ليلة العاشر من المحرم وموقفها في صبيحته وموقفها بعد المعركة في مجلس ابن زياد ثم في مجلس يزيد، نراها تمارس دورها الإعلامي على أتم وجه وهو دور بطولي شرحت فيه للناس ما صنع الأمويون، ثم مارست ذلك الدور في المدينة، مما اضطرهم لأن يخرجوها من المدينة وينفوها منها إلى مصر على رأي بعض الروايات أو إلى الشام على رأي البعض الآخر[٤].

زينب محفورة في قلب كل مسلم يقول الشيخ الصدوق دخلت على الحسين عليه السلام ليلة العاشر وهو يقرأ القرآن، فوضع القرآن على المحراب وتوجه إليها واشترك معها في المصائب، فكانت شريكته في الكفاح، فعندما رجع الحسين ولم يبق احد يجلب له فرسه أو يناوله سلاحه وقف باب الخيمة وهو يقول:

((**من يقدم لي جوادي؟**)).

فمرت زينب بتثاقل وجاءته بالجواد وهي تتمتم بهدوء وتقول: ((**أي أخت تقدم لأخيها فرس المنية ما أجلدني وما أقسى قلبي**)).

جاءت بالجواد فلمح الحسين عليه السلام في عينيها دمعة،

فأدناها إليه قال لها ((**أخية تعزي بعزاء الله لا يذهبن بحلمك الشيطان اعلمي أن أهل السماء لا يبقون، وأهل الأرض يموتون ولي ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة أخية تمسكي بحبائل الصبر**))[٥].

مفهوم الإتساق:-

من المفاهيم التي انتجتها لسانيات النص الحديث والتي دخلت مجال النقد الادبي ،إذ يستند الى المبادى التي إجترحها علم اللغة منذ أن بدأت المدارس اللغوية الحديثة بالظهور .

ويعني الإتساق الكيفية التي يحدث بها التماسك النصي بترابط عناصره وهو مفهوم دلالي يحيل الى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص وهي عناصر تحدده وتمنحه صفة النصانية، ويشتمل مفهوم الإتساق على عدد من المنسقات كالإحالات الى الضمائر واسم الإشارة والوصل والاستبدال والإتساق المعجمي .

وأهم ما يحدد تشكل الجمل في نص متناسق هو الترابط النصي لمكونات النص المتشكل مما يسهم في خلق بنية النص الكلية عن طريق هذه العلاقات والروابط .

ويمثل هذا الإجراء منهج تحديد نصانية النص فما لم يحقق شروطا معينة تجعل منه نصا مترابطا دلاليا ونحويا ومعجميا فأنه لايعد نصا أو أنه يفقد جزءا من شروط النصانية والتي تحققها عناصر الإتساق النصي .

فإذا افتقر النص الى احد الشروط حكم عليه بالإختلال وعدم الإتساق.[٦]

١-الإحالات النصية:-

جاء في تاج العروس (أحال الشيء :تحول من حال الى حال ،أو أحال الرجل:تحول من شيء الى شيء.[٧]

والإحالة هي (العلاقة بين العبارات والاشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص ما ، إذ تشير الى شيء ينتمي الى نفس عالم النص ، وهذه العبارة ذات إحالة مشتركة) [٨]

غير ان أحد الباحثين احتفظ بالمفهوم الدلالي التقليدي للإحالة على أنها العلاقة بين الاسماء والمسميات ،فالمتكلم وكاتب النص يحمل التعابير وظيفة إحالية والإحالة من اهم وسائل السبك وهي من المعايير المهمة التي تسهم بشكل فعال في الكفاءة النصية ،وهي قادرة على صنع جسور كبرى بين اجزاء النص المتباعدة والربط بينها ربطا واضحا ،وهذا ما يؤكد أهمية الإحالة في الربط النصي.[٩]

تسهم الإحالة في بناء علاقة معنوية بين الفاظ معينة تشير الى اشياء أو معانٍ أومواقف تعطي دلالتها عن طريق قصد المتكلم وهي الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة ،إذ تشير هذه الالفاظ الى معانٍ سابقة أو لاحقة قصدت بها الفاظا اخرى أو عبارات لغوية أو غير لغوية.[١٠]

وعليه تجمع بين عنصرين لغويين أحدهما لغوي والآخر خارجي يتم بقصد المتكلم للاسهام في ربط اجزاء النص وزيادة تماسكه كما انها تضيء للمتلقين اضواء لفك شفرات النص.

من أدوات الإحالة :-

١- الضمائر:-

إذ هناك ضمائر تحيل الى خارج النص وتندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب وهناك ضمائر تؤدي دورا هاما في اتساق النص تندرج ضمنها ضمائر الغيبة إفرادا وتثنية وجمعا إذ تحيل داخل النص.[١١]

وخطبتها في الكوفة والشام تذكّر بخطبة أمها فاطمة الزهراء عليها السلام في المدينة، إذ قالت ما يجب قوله لحفظ شريعة محمد وملة إبراهيم ، وتضرب مثلاً رائعاً عن قيم الصبر والشجاعة التي إقتلعت قيم التغطرس والكِبر من جذورها المتمثلة بيزيد المتغطرس بقتل سبط رسول الله يسمع كلماتها التي هي لازمة تربوية تكون لكل ذي سلطان، إن قوة الحق التي تبدو من امرأة أسيرة لا تغلب ولا تقهر؛ لأن القهار يسمع ويرى، وله الحكم، وهو احكم الحاكمين.

اذ قالت مخاطبة يزيد(**أظننت يا يزيد أنه حين أخذت علينا اقطار الارض وأكناف السماء وأصبحنا نساق كما يساق الأسارى إن بنا هوانا على الله وبك عليه كرامة**) [١٢]،فالضمير الهاء في (بك) إحالة قبلية الى سابق وهو يزيد المحال اليه.

وقولها(**مع إني ياعدو الله وبن عدوه أستصغر قدرك واستعظم تقريعك**) فالضمير الكاف في (قدرك) و(تقريعك) إحالة قبلية الى سابق (ياعدو الله) أدت دورها الكبير في فك شفرات النص والوصول الى مديات اتساقه، وفهم قدرة السيدة زينب في بناء خطبتها.

ومن الجدير بالذكر إن ازدياد الإحالات الضمائرية في النص واعتمادها على غيرها في فهمها وعدم استقلالها بنفسها يسهم في زيادة قوتها الترابطية والتعالقية، وقدرتها التماسكية مما يدعم سمة النصية وهذا ما ورد في خطبتها حين قالت(**أمِنَ العدل يا بن الطلقاء تخديرُك رائرَك وإماءَك، وسوْقك بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله) سبايا، قد هتكتَ ستورَهنّ، وأبديتَ وجوهَهنّ، يحدُو هنّ الأعداءُ من بلدٍ إلى بلدٍ. ويستَشْرفهن أهل المناقل ويبرُزنَ لأهل المناهل. ويتصفحُ وجوهَهنّ القريب والبعيد. والغائب والشهيد، والشريف والوضيع والدني والرفيع ليس معهن مِن رجالِهن ولي. ولا من حُماتِهن حميٌ، عتواً منك على الله ، وجحوداً لرسول الله (صلى الله عليه وآله). ودفعاً لما جاء به من عند الله.**) [١٣]اذ تزاحمت الضمائر وتلاطمت مع امواج الحزن والالم في الخطبة لتبوح بذلك الكم الهائل من الانفعالات التي قوضت مضجع يزيد .

ومنها قولها في مسجد ابن زياد بالكوفة (**ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون**) [١٤] فقد اغنى الضمير انتم عن ثمان كلمات اذ قامت بالربط النصي بين اجزاء النص ،وهذه الجملة نص بحد ذاتها، لان المعنى قد اكتمل بها واستقل .فالضمير انتم إحالة قبلية ربطت بين الجملة الواردة فيها والجمل السابقة لها من خلال عوده الى المحال اليه (ساء).

٢-إسم الإشارة:-

وسائل الإتساق النصي المهمة والفعالة منها ما يدل على الزمان (الآن،غدا) ومنهاعلى المكان (هنا وهناك)ومنهاعلى البعد(ذلك،تلك)ومنهامايدل على القرب (هذه ،هذا) [١٥] إذ تقوم بالرابط القبلي والبعدي، وتسهم بشكل فعال في اتساق النص وقد برعت السيدة زينب عليها السلام في استثمار هذه الخاصية اللغوية في دعم البناء النصي لخطبتها إذ تقول (**أظننت يا يزيد أنه حين أخذت علينا اقطار الارض وأكناف السماء أصبحنا نساق كما يساق الأسارى أن بنا هوانا على الله وبك عليه كرامة وإن هذا لعظيم خطرك**) [١٦] اشتمل نص الخطبة على عناصر إشارية معجمية وعنصر إشاري نصي واحد فقط وتمثل الاول في (أصبحنا، نساق،أسارى،هوانا،بك ،عليه ،كرامة)بينما يتمثل الثاني الملفوظ على العنصر الإحالي اسم الإشارة (هذا) اذ ورد اسم الإشارة اختزالا للكلام واقتصادا للجهد واجتنابا للتكرار حين أحال الى ملفوظ يحتوي الى عناصر اشارية معجمية ومجموعة أحداث تلقي كلها في نتيجة ينبني عليها الحدث أو المعنى الذي يحيل عليه العنصر الاحالي لكل ماتقدم عليه .

٣-أدوات المقارنة :-

تسهم في اتساق النص وتقوم بالربط بين معنيين أو اكثر من خلال الموازنة بين الأشياء، أو تفضيل أحدهما والحديث عن المقارنة يفرض وجود شيئين على الأقل يشتركان في معنى ما مع زيادة أحدهما على الآخر ويقصد بأدوات المقارنة كل الألفاظ التي تؤدي الى المطابقة أو التشابه أو الإختلاف الى السابق كماً،او كيفاً،أومقارنة .[١٧]

ومن أدوات المقارنة العامة ويتفرع منها التطابق مثل (نفس، وعين، ومطابق) ، والإختلاف (مختلف، ومغاير)،وأدوات خاصة وتتفرع الى كمية (أكثر) وكيفية (أجمل)، وقد ربطت السيدة زينب عليها السلام (أفعجبتم أن مطرت السماء دماً ولعذاب الاخرة أخزى وانتم لاتنصرون)* [١٨] الجملة الثانية (انتم لاتنصرون)بالجملة الاولى (ولعذاب الآخرة) إذ لايكون أمر أخزى من أمر إلا بالموازنة بأمر آخر ولا يعرف ذلك الامر إلا بالرجوع الى سابقه فتتحقق فكرة إعتماد أجزاء النص بعضها ببعض وعدم استغناء احدهما عن الآخر.

وقولها في مجلس يزيد(**لاتجد إلا ماقدمت يداك تستصرخ بك وتتعاوى وأتباعك عند الميزان وقد وجدت أفضل زاد زودك معاوية قتل ذرية محمد صلى الله عليه (واله) وسلم**)[١٩] ربطت بين ماقدمته ايدي الظالمين وبين السفك للدماء والإنتهاك لحرمة محمد وآل بيته الاطهار عبر كلمة أفضل التي أسهمت في إنضاج وتماسك البنية النصية للخطبة.

استطاعت زينب عليها السلام بهذه الكلمات أن تسجل في التاريخ الحقيقة التي كان يزيد وأتباعه يريدون إخفاءها،الذين لا يعرفون إلى أين كانت تتجه ثورة الحسين عليه السلام لو لم تكن زينب من ورائها . وقد أحيت بكلماتها كل قطرة من دم الحسين، في تخليد إسم الحسين عليه السلام وضرب كل يزيد.

٤- الأسماء الموصولة:-

وهي تقوم بوظيفة ثنائية إذ تعوض المحال إليه من جهة وتقوم بالربط التركيبي بين ما قبلها وما بعدها من جهة ثانية ،كما تقوم (بالربط الإتساقي من خلال ذاتها ومرتبطة بمايأتي بعدها من صلة الموصول التي تضع ربطاً مفهومياً بين ماقبل الذي وما بعده[٢٠] ،وهي على قسمين الخاص وأشهر ألفاظها (الذي ،التي،اللذان، اللتان،الذين)،والعام أو المشترك أشهر ألفاظه(من ، ما).

ونستذكر هنا قول السيدة زينب في خطبتها في الشام حين قالت مقرعة يزيد على فعلته(**الحمد لله الذي ختم بالسعادة والمغفرة لسادات شبان الجنان فأوجب لهم الجنة أسأل الله أن يرفع لهم الدرجات ،وأن يوجب لهم المزيد من فضله**)[٢١] ،فقد عُدَ الاسم الموصول الذي في النص وسيلة مهمة من وسائل التماسك النصي ،لأنه استلزم وجود جملة بعده ،وعادة ماتكون هذه الجملة فعلية (ختم بالسعادة)،وقد عطف على هذه الجملة بعدة جمل، فطال الكلام، واصبح نصاً كاملاً، وظل مرتبطاً كله بالاسم الموصول الاول ،كما أن اسم الموصول هنا أداة مهمة من أدوات الإحالة إذ ارتبط بمذكور سابق محدثاً نسقًا واحداً للنص كله.

والاسم الموصول هو الذي قوّى المعنى وذلك بإحالته الى سابقه (آل بيت النبوة) لكونه المراد وصفهم بجزائهم الجنة ،كما أحيل اليهم بالعائد الضمير (لهم) وبذلك حقق الاسم الموصول في النص إحالتين قبلية وبعدية فحقق أعلى نموذج للإتساق و،الإنسجام الدلالي.

تذكر القوم بالمستقبل الذي يتوقع فيه خذلان أعداء الله وأعداء آل بيت النبوة ونصرة أهل الحق وحكومة أهل الله في الأرض،لأنها وضعت قيم الإيمان لتفضح قيم الكفر والرذيلة، وقيم الرفعة والشرف لتدحض قيم الدناءة والوضاعة التي اتصف بها يزيد وأعوانه .

٢-الإستبدال:-

ويعد عنصراً مهماً من عناصر اتساق النص ، يتم داخل النص لا خارجه

إذ يعوض عنصرا من عناصر النص بعنصر آخر منه ، فيمثل شكلا من أشكال العلاقات النصية القبلية ،فالعنصر المتأخر يكون بديلا لعنصر متقدم مما يفضي الى تماسك النص واتساقه .

ويقسم الإستبدال الى :

١-ستبدال اسمي

٢-استبدال فعلي

٣-استبدال قولي.[٢٢]

ولقد تجسد الإستبدال في قولها(**ياأهل الكوفة ،ياأهل الختل والغدر ،أتبكون فلا رقأت الدمعة ، ولاهدأت الرنة،إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا.....،وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ،ومعدن الرسالة ،ومدرة حجتكم،ومنار محجتكم ،وملاذ خيرتكم ، ومفزع نازلتكم ،وسيد شباب أهل الجنة)وقولها(ويلكم ياأهل الكوفة ،أتدرون أيَّ كبدٍ لرسول الله فريتم ،وأيَّ كريمة له أبرزتم،وأيَّ دم سفكتم ،وأيَّ حرمة له انتهكتم)** [٢٣] .افتتحت

خطبتها في مجلس ابن زياد بالاستبدال الاسمي بين قولها (**ياأهل الكوفة وياأهل الختل والغدر**)،أُحدث الاستبدال بين(قتل سليل خاتم النبوة ،ومعدن الرسالة)، و(ومدرة حجتكم ومنار محجتكم)،و(ملاذ خيرتكم).،.نوع.من الاستبدال الدلالي انضج الخطبة واضفى عليها قابلية تداولية مهمة،وكان للاستبدال القولي دفعة نحو تجلي براعة السيدة عليها السلام في نسج خطبتها (**أيَّ كبدٍ لرسول الله فريتم ،وأيَّ كريمة له أبرزتم ،وأيَّ دم سفكتم**.....).

٣-الإتساق المعجمي:-

يستطيع مستعمل اللغة ان يختزل في ذاكرته اللغوية الكثير من مفرداته اللغوية ويوظفها عند الكتابة توظيفا ينسجم وقواعد النظام اللغوي العام وهذا الخزين يكون المعجم اللغوي لدى الكاتب ،وهو مايطلق عليه اللسانيون الإتساق المعجمي الذي ينقسم على قسمين:-

١-التكرار

٢-التضام[٢٤]

فالتكرار يعني تكرار عنصر من العناصر المعجمية الاستعمالية بعينه او بمرادفه او ما يشبه مرادفه في النص ،يعمل على إغناء الجانب التعبيري، لأنه نمط لغوي يعني ان هذا العنصر ذو دور مهم في النص،وهو من الآليات التي تمنح النص شعرية خاصة إذ تقوم على سمة الإيقاع الداخلي، وهو من أكثر أدوات الإتساق دورانا في خطبة السيدة زينب عليها السلام إذ ورد بأشكاله جميعا،في قولتها الشهيرة التي هزت اركان عرش الطاغية يزيد (**مهلا مهلا ولاتطش جهلا**) ،وقولها (**لا تدرك أمدنا ولا تبلغ غايتنا ولا تمحو ذكرنا، ولا يرحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند وايامك إلا عدد وجمعك إلا بدد؟ يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين**)،وقولها(**وفعلت فعلتك التي فعلت، فو الله ما فريت إلا جلدك، ولا جزرت إلا لحمك**)،وقولها (**ثم كد كيدك وأجهد جهدك، فوالله الذي شرفنا بالوحي والكتاب والنبوة**)،وقولها (**أي كبد لرسول الله فريتم ؟**

أي كريمة له أبرزتم أي دمٍ له سفكتم أي حرمة له هتكتم)[٢٥]

كان للتكرار في النصوص السابقة دور إفصاحي عالي الوتيرة ،إذ كان استعماله يحمل نوعاً من المناجاة التي ثقلت كاهل المتلقي بحجم الألم و المعاناة التي واجهتها السيدة زينب عليها السلام فضلا عن الدور الدلالي الذي حققه التكرار فهو ذو قيمة تعبيرية مهمة ،فقد أدت زينب عليها السلام: دورها في إبلاغ رسالة الدم وتبليغ عقائد أهل البيت المتوّجة بشهادة الحسين عليه السلام على الرغم من الممانعات التي كانت تساق قافلة أهل البيت سبايا إلى الشام. تقدمت القافلة المسبية بين يدي يزيد بن معاوية وهو مفتخرٌ بنصره، ويريد إظهار ذلة أهل البيت دون أن يعي كلمة الحسين الخالدة ((**هيهات من الذلة**)) ودون أن يعرف تلك المرأة التي تقود هذه القافلة، وأنها ستحرق الشام بمن فيها، من يزيد وإتباع يزيد.

اما التضام هو توارد زوج من الكلمات بالفعل او

بالقوة لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك،وهي من وسائل الإتساق المهمة التي يعتمدها المبدع لتحقيق تماسك النص جملة بجملة،مقطعا فمقطعا، لذلك ليس للقارئ أي دور في اتساق النص ما دام النص متسقا في ذاته ،دوره في جعل الإتساق واضحا مبيناً.[٢٦]

وقد ضجت خطبة السيدة زينب عليها السلام بالكثير من الأزواج المتناقضة التي كشفت عن قدرة السيدة زينب على خلق سياق تترابط فيه هذه العناصر المعجمية معتمدة على حدسها اللغوي، وعلى مخزونها اللغوي الذي ورثته من بلاغة آل البيت عليهم السلام.اذ تقول منددة بيزيد (**أظننت يايزيد أنه حين أخذت علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء ...واصبحنا نساق كما يساق الأسارى إن بنا هواناً على الله وبك عليه كرامة**) وقولها (**تخديرك نساءك وإماءك وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه (واله) وسلم**)....(**يتشوفهن القريب والبعيد**).... (**استصغر قدرك واستعظم تقريعك**).....(**ابكوا كثيرا واضحكوا قليلا**) .... (**فزتم بعارها وشنارها**)...[٢٧]

فالمفارقات التي ضجت بها النصوص السابقة منحتها اتساقا على الرغم من الترافق المعجمي الذي يقبل المصاحبة بينهما على المستوى اللغوي ، غير أن التناقض الحاصل بينهما أعطى للنصوص دفعة شعورية تعمق حجم المعاناة التي مرت بها صاحبة الخطبة إذ تشرح من خلال خطبتها المعاملة السيئة التي قام بها يزيد مع أولاد النبي صلوات الله عليه وآله. **وهل من العدل أن يُحِّررَ ابن الطلقاء حرائره وإماءه ويسوق بنات رسول الله سبايا؟ ويهتك ستورهن ويبدي وجوههن في معرض الأعداء من بلد إلى بلد، ليس معهن من حماتهن حميم ولا من رجالهن ولي.** وكما تقول ليست هذه المعاملة اللاإنسانية إلا نابعة من عتو يزيد على الله ومحاربته دين الله: **((عتَّواً منك على الله وجحوداً لرسول الله ودفعاً لما جاء من عند الله)). وليس غريباً من يزيد** أن يفعل ما فعل ويحارب الوحي والدين **((فلا غرو منك ولا عجب من فعلك وأنى يرتجى مراقبة من لفظ فوه اكباد الشهداء ونبت لحمه بدماء السعداء ونصب الحرب لسيد الأنبياء وجمع الأحزاب وشهر الحراب وهز السيوف في وجه رسول الله أشد العرب لله جحوداً وأنكرهم له رسولاً وأظهرهم له عدواناً وأعتاهم على الرب كفراً وطغياناً**).

٤-الوصل:-

النص عبارة عن جمل او متتاليات متعاقبة خطياً ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج الى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص ،لذلك كان الوصل هو الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم،وقد تنوع الوصل بتنوع أجزاء النص ،منه الإضافي والعكسي والسببي والزمني.[٢٨]

وينقسم من حيث التجسد في النص على قسمين :مايكون بنفسه ويتضح من خلال وسائل تركيبية ممثلة بأحرف العطف ،والثاني ضمني يتم من خلال تجاور محدود وبسيط بين الكلمات يفهم من السياق[٢٩]

_الوصل الإضافي

تكرر هذا النوع من الوصل كثيرا في خطبتي السيدة

زينب عليها السلام تكرر فيه حرف العطف (الواو) وكان له الأثر الفاعل في اتساق النص إذ ربط بين العناصر التركيبية المكونة للنص كما حمَّل بعض العناصر دلالات كبيرة اسهمت في اتساق مكونات النص وترابطها،ففي قولها(((**فالعجب كل العجب لقتل الأتقياء والنجباء وأسباط الأنبياء وسليل الأوصياء بأيدي الشيطان الطلقاء الخبيثة ونسل العهرة الفجرة تنطف أكفهم من دمائنا وتتحلب افواهم من لحومنا تلك الجثث الزاكية على الجيوب الضاحية تنتابها العواسل وتعفرها أمهات الفواعل**)[٣٠] ،تكرر حرف الواو ست مرات في النص اهم في ربط دلالات الجمل.

-الوصل العكسي

الذي يعني عكس ماهو متوقع[٣١]،من آليات الإتساق وهو أداة الاضراب وقد جاء في خطبة السيدة زينب الكبرى في قولها(**أنى ترحضون قتل سليل النبوة ،ومعدن الرسالة وسيد شباب أهل الجنة، ومنار حجتكم ....فتعساً ونكساً لقد خاب السعي**)[٣٢] قد وظف حرف العطف الفاء (فتعساً) لوصل الجملة السابقة (أنى ترحضون.) ما زاد في اشتعال دلالة التحدي وكشف حجم المؤامرة التي نسجت حول بيت النبوة.

-الوصل السببي أو التعليلي

يتم عبر إدراك العلاقات المنطقية بين جملتين أو اكثر ...وتندرج ضمنه علاقات خاصة كالنتيجة ،والسبب ،والشرط، وهي علاقات منطقية ذات صلة وثيقة بعلاقة عامة هي السبب والنتيجة.[٣٣]

وقد تجسد الوصل السببي في خطبتها حين خاطبت يزيد وهو مُنحْنٍ على ثنايا أبي عبد الله عليه السلام سيد شباب اهل الجنة وهو ينكثها بمخصرته (**قد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة بإراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه (واله) وسلم ،ونجوم الارض من آل عبد المطلب ،وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم فلتردن وشيكا موردهم ،ولتودن أنك شللت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت ،اللهم خذ بحقنا وانتقم من ظالمنا ، واحلل غضبك ممن سفك دماءنا وقتل حماتنا**)[٣٤] فجملة (**شللت ولم تكن قلت**.....)كانت سبباً في تحقيق رجاء حدوث الفعل(تودن) .

وتبرز زينب الكبرى قطرة من بحر سياسة أبيها، سياسة التقوى، لتمحو في خطبة واحدة كل الدعايات الأموية التي استمرت خمسين سنة. وهي وحيدة خلال لحظات أو على الأقل خلال رحلة مأسورة تهدم بيتاً بناه بنو امية خلال خمسين سنة بجيوشهم ،وجواسيسهم، وحروبهم ،وحراسهم، ودهائهم وفي مطلق حريتهم. وبهذا يتبين لها أن العاقبة للتقوى وأن كذلك يضرب الله الحق بالباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

يجمع الله شمل المؤمنين ويلم شعثهم وينتقم من ظالمهم ويأخذ لهم بحقهم من أعدائهم وأنهت السيدة خطبتها في مجلس يزيد بقولها الحمد: ((**الحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة أنه رحيم ودودٌ وحسبنا الله ونعم الوكيل**)). فكان ترسيخ واضح لربحهم الدنيا

والآخرة في مقابل خسارة الدنيا والآخرة ليزيد .

- الإنسجام

قد يستعصي على المبدع في بعض الاحيان الربط بين عناصر النص وتمسي عملية الربط عملية شاقة، لذلك يستنهض المبدع بالاستعانة ببعض آليات ،الإنسجام في محاولة منه النهوض بالنص من وهدته الإتساقية لسانياً ودلالياً.

ولايستمد النص قيمته الدلالية من خلال اتساقه فقط،بل من انسجامه الذي يتحقق عن طريق تواتر معانيه نتيجة تمدده العمودي ايضا ونتيجة لعوامل أخرى يخضع لها في تشكله وتلقيه وتأويله،ومن هذه العوامل وعي الكاتب،او الشاعر، أو لاوعيه ،أو هما معا،ولذلك فإن معرفة القوى الثاوية في النص ،وبلورتها تسهم فيها الإحالة بمكونات المقام والحال الذي ولد في رحمه، وموقف المخاطِب من الخاطَب وأحواله.

،الإنسجام في نظر(فان ديك) يعني الأبنية الدلالية المحورية الكبرى وهي أبنية عميقة تجريدية وعليه الإتساق يكون في الأبنية النحوية الصغرى وهي أبنية تظهر على مستوى سطح النص[٣٥]

يحتوي النص في تناميه الخطي عناصر ذات تكرار ملزم.. نتيجة لسلاسل إحالية وسلاسل عائدية ،دون أن يدرج في تناميه هذا أي عنصر يناقض محتوى منطوقاً أو مقتضى ،بواسطة مواطن ذكر سابقة أو أن يستنبط من تلك المواطن وان تكون بين أجزائه المتنامية علاقة ملائمة معقولة.[٣٦]

وقد تجسدت آليات ،الإنسجام في الخطاب بالعناصر الآتية:-

-البنية الكلية(موضوع الخطاب)

- المعرفة الخلفية

-البنية الكلية(موضوع الخطاب أو محموله الدلالي)

البنية الكلية هي الأساس في فهم النص وانسجامه انطلاقاً من الوظيفة التي تقوم على تأديتها ،لأنه وفقاً لما يقوله بعض النصانيين أداة إجرائية وبنية دلالية توضح الإخبار الدلالي وتنظمه وتصنفه [٣٧] ،وموضوع الخطاب أو البنية الكلية هي المبدأ المركزي المنظم لقدر كبير منه وهي قضية تحظى باهتمام مباشر [٣٨]

ويعد التكرار من آليات ،الإنسجام المهمة التي أسهمت في تحقيق البنية الكلية له دور فعال في توصيل الرؤية التي يحملها النص ،لأنه يربط الماضي النصي بلاحقها وبالعكس وبذلك يقضي على التشتت النصي وهذا مابرز في خطبة السيدة زينب عليها السلام إذْ تكررت الكثير من الأسماء والأفعال والحروف مسهمة في جعل المتلقي يظل على صلة بأحداث الخطبة، وما حفلت به من مآسٍ حَلَّت ببيت النبوة. أذ تقول(**ياأهل الكوفة ياأهل الختل والغدر ألا فلا رقأت العبرة ،ولاهدأت الرنة ،إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلا بينكم إلا وهل فيكم إلا الصلف والشنف وملق الإماء ،وغمز الأعداء ،وهل انتم إلا كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة ألا ساء ماقدمت**

لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب انتم خالدون، أتبكون إي والله فأبكوا وإنكم والله أحرياء بالبكاء فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً .....)[٣٩]

.فاعلية التكرار أدث دورها في الربط العضوي بين أجراء الخطبة مما أفضى الى حالة من ،الإنسجام والترابط مما قوى من الدلالة التي يرغب النص في توصيلها.

- المعرفة الخلفية

ما يمتلكه الإنسان من تجارب عامة أو خاصة يعمل على مساعدته في إدراك العالم حوله وفهمه،والمعرفة الخلفية –أداة من أدوات انسجام الخطاب –تعني ثقافة المتلقي وأداته المعرفية ،وما يملكه من قدرات تساعد على التصور الذهني للأشياء ولما كانت رؤانا للعالم نسبية فإن بنية النص يمكن أن تنتج قاعدة أساسية جديدة للإدراك البشري العام.[٤٠]

معالجة القارئ لأي نص معاين ضمن ما يعتمد عليه هو ما تراكم لديه من معارف سابقة تجمعت لديه كقارئ متمرس قادر على الاحتفاظ بالخطوط العريضة للنصوص والتجارب السابق له قراءتها ومعالجتها.[٤١]

وما نعرفه عن بلاغة السيدة زينب عليها السلام رهينٌ بالحكم على بلاغة نصها وانسجام خطابها، هي بليغة بنت بُلَغاء ،أخذت البلاغة والفصاحة من جدها وأبيها وأمها عليهم السلام واستقت منهم العلم والمعرفة والمنطق.

فرفعة الأبوين، خصوصا بتلك المنزلة العالية –مع شدة مواظبتها للطاعات والعبادات وقابليتها التي منحها الله –عز وجل-خَلقت منها أنبل شخصية،وأرفع إنسانة مقَربة عند الله تبارك وتعالى.[٤٢]

زينب المتربية في بيت العلم النبوي ، والمتغذية بلبانة من أمها الصديقة سلام الله عليهم أجمعين كما أنها طوت عمرا من الدهر مع الإمامين السبطين يزقانها العلم زقاً.

تجلت ملامح بلاغتها في خطبتيها اللتين نسجتهما، وساقت فيها الأدلة والبراهين لتبين ثورتها على الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية، وهو واقع مهين .ففي خطبتيها وظفت دلالة الهزيمة والنصر كما يوظف الدال الذي تقوم بينه وبين المدلول علاقة استدعائية نتيجة للتصور الذهني الذي يحدثه الدال عند المتلقي في حال وجود الثقافة المشتركة بين الباث(المبدع) والمستقبل (المتلقي) .

فقد كشفت فيها منظومة من الأحداث ،فكانت وعاءً زمنياً ومكانياً لتلك الأحداث والمآسي،قدمت للمتلقي مفاتيح الفهم والكشف لزيف آل أمية وكذبهم، ولأن النص يحتاج إلى معرفة من الطرف الآخر لفهم مراميه .

خاتمة المطاف

عظمت السيدة زينب المثل والقيم الإسلامية التي تمثل خصائص آل بيت رسول الله وهي السمات العالية التي تنشدها الإنسانية في كل زمان ومكان.

تميز أسلوبها بالجرأة والشجاعة وهي في مواجهة الظالم إذ احتوى خطابها تهديد يزيد باستعمال

المصادر نحو: كد كيدك وأجهد جهدك وفي أهل الكوفة كان من تعنيفها باستعمال المصدر في قولها: فتعساً تعساً! ونكساً نكساً.

إذ تضافرت عناصر الإتساق و،الإنسجام في تشييد البنية الدلالية لخطبتيها فما لم تتمكن آلية الإتساق من التعبير عنه وملئه،سدت بدورها آليات ،الإنسجام والتعويض عن هذا التقصير،ما احتوته الخطبتان من عناصر الإحالة وارتباط بعضها ببعض اسهمت في اتساقهما .

واسهمت آليات ،الإنسجام كالبنية الكلية والمعرفة الخلفية سد نقص الإتساق الحاصل نتيجة التقليل من أدوات الربط والوصل لتسهم جميعها في تأويل الخطبة وانتاج خطبة متماسكة مترابطة وهذا ما حاول البحث الوصول اليه عبر القراءة النصية التحليلية لخطبتي السيدة زينب عليها السلام بالاعتماد على آليات تحليل الخطاب وهي آليات لغوية كشفت عن الكثير من الدلالات التي حوتها الخطبة.

اتجهت السيدة إلى الله تعالى في دعائها بأخذ الحق والانتقام من الظلم الذي سفك دماء أهل بيت النبوة، وسبى الحرائر.

استعملت السيدة مجموعة من الأمثال والحكم المستمدة روحها من نفحات الإسلام لتدعم مقولها بالحق ورآيها بالثبات والتمكين.

والانتقام من الظلم الذي سفك دماء أهل بيت النبوة، وسبى الحرائر.

استعملت السيدة مجموعة من الأمثال والحكم المستمدة روحها من نفحات الإسلام لتدعم مقولها بالحق ورآيها بالثبات والتمكين.

الهوامش

١- ينظر: مناقب آل أبي طالب، ٣- ٢٦١ .

٢- ينظر: المرأة في الإسلام من محاضرات الدكتور الشيخ احمد الوائلي، ص٢٨ .

٣- المصدر السابق، ص٢٨ .

٤- ينظر: وفيات الأئمة، ص٤٦٧- ٤٦٨ .

٥- ينظر:تاريخ الطبري,٤: ٣١٩

٦- ينظر لسانيات النص,ص٥-١٦

٧- تاج العروس,مج١٤,ص١٦٠

٨- الإحالة في ضوء لسانيات النص,ص٢٥

٩- ينظر تحليل الخطاب , ص٣٧

١٠- ينظر الإحالة في نحو النص,ص١٣

١١- ينظر لسانيات النص,ص١٨

وينظر الإحالة النصية وآثرها في تحقيق تماسك النص القرآني ,ص٨٩

١٢- بلاغات النساء ,ص١٤

١٣- بلاغات النساء ,ص١٤

١٤- المصدر نفسه,ص١٥

١٥- لسانيات النص,ص١٨

١٦- بلاغات النساء,ص١٤

١٧- لسانيات النص,ص١٩

١٨- بلاغات النساء,ص١٤،*النص مقتبس من قوله تعالى (ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون)،سورة فصلت، الاية ١٦

١٩- بلاغات النساء,ص١٥

٢٠- الإحالة في نحو النص,ص٢٨

٢١- بلاغات النساء,ص١٥

٢٢- ينظر لسانيات النص,ص١٩-٢٠

٢٣- بلاغات النساء,ص١٥

٢٤- ينظر لسانيات النص,ص٢٤-٢٥

٢٥- بلاغات النساء ,ص١٤

٢٦- لسانيات النص,ص٢٥
٢٧- بلاغات النساء,ص١٤
٢٨- لسانيات النص,ص٢٢-٢٣
٢٩- النظرية الشعرية,ص١٨٧
٣٠- بلاغات النساء ,ص١٥
٣١- ينظر لسانيات النص,ص٢٣
٣٢- بلاغات النساء,ص١٥
٣٣- ينظر لسانيات النص,ص٢٣
٣٤- بلاغات النساء ,ص١٥
٣٥- الانسجام والاتساق النصي المفهوم والإشكال ,ص١١٣
٣٦- القاموس المحيط للتداولية,ص٤٥٣-٤٥٤
٣٧- ينظر لسانيات النص,ص٤٢
٣٨- ينظر تحليل الخطاب,ص٩٠
٣٩- بلاغات النساء,ص١٥
٤٠- ينظر فعل القراءة نظرية في الاستجابة الجمالية,ص٣٣
٤١- ينظر لسانيات النص,ص٦١
٤٢- ينظر السيدة زينب عالمة غير معلمة,ص٣٢

المصادر والمراجع

- القران الكريم

١- الاحالة في ضوء لسانيات النص وعلم التفسير من خلال تفسير التحرير والتنوير,الزهراء تهامي ,رسالة ماجستير ,الجزائر,٢٠١١

٢- الإحالة في نحو النص ,احمد عفيفي ,القاهرة – كلية العلوم

٣- الاحالة النصية وأثرها في تحقيق تماسك النص القرآني دراسة تطبيقية على بعض الشواهد القرانية,عبد الحميد بوترعة ,مجلة الاثر عدد خاص حول اللسانيات والرواية ٢٠١٢/٢٣/٢٢

٤- الانسجام والاتساق الني المفهوم والاشكال ,د.حمودي السعيد\جامعة بالمسيلة\الجزائر,مجلة الاثر ,عدد خاص حول اللسانيات والرواية ٢٠١٢\٢٣\٢٢

٥- بلاغات النساء,ابن طيفور,

٦- تاج العروس من جواهر القاموس,محب الدين أبي فيض محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ,تح- علي شيري دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع وبيروت,مج١٤-٢٠٠٥

٧- تاريخ الطبري- تاريخ الرسل والملوك ,لابي جعفر محمد بن جريرالطبري٢٢٤-٣١٠هـ ,تح/ محمد ابو الفضل ابراهيم ,ط٢,دار المعارف مصر

٨- تحليل الخطاب,جليان براون,جورج يول ,ت محمد لطفي الزليطي ,فير التريكي, جامعة الملك سعود,١٩٩٧

٩- السيدة زينب عالمة غير معلمة السيد محمد الحسيني الشيرازي ,الناشر الانوار الاربعة عشر الثقافية,دارالمؤمل للطباعة والنشر ,بيروت لبنان,ط١-٢٠١٣

١٠- فعل القراءة نظرية في الاستجابة الجمالية,إيسر فلفجانج,ت عبد الوهاب علوي,المجلس الاعلى للثقافة ٢٠٠٠

١١- القاموس المحيط للتداولية,جاك موشلر وآن ريبول,ت- مجموعة من الاساتذة والباحثين ,دار اللسان سيناترا تونس -٢٠١٠

١٢- لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب ,محمد خطابي,المركز الثقافي العربي,١٩٨٨

١٣- المرأة في الاسلام من محاضرات الشيخ احمد الوائلي, اعداد - مصطفى مرهون,منشورات شركة دار المصطفى لاحياء التراث .

١٤- مناقب آل أبي طالب,محمد بن علي بن شهر اشوب المازندارني,طبعه الراشد بن علي المحلاتي الحايري سنة ١٣١٣ه

١٥- وفيات الآئمة ,تأليف مراجع من العلماء الاعلام ,دار البلاغة للطباعة والنشروالتوزيع ,ط ١-١٩٩١

١٦- النظرية الشعرية,جون كوين,ت-احمد درويش,١٩٨٩

الصلاة عماد الدين

التلقي النقدي العربي
للمدرسة السلافيّة في الأدب المقارن

Arabic Criticism Inclusion of the Slavonic School in Comparative Criticism

أ.م.د. علي مجيد البديري
جامعة البصرة/ كلية الآداب

By: Dr. Ali Majeed Al-Badari
College of Arts , University of Basra

ملخص البحث

شهدَ الأدبُ المقارن مساهمات جادة لتطويره من قبل مقارنين سوفييت في أقطار شرق أوربا الاشتراكية، أواخر خمسينيات القرن الماضي، حيث تجسد ذلك في التأليف المشترك للعديد من الكتب التي تتناول الأدب المقارن نظرياً وتطبيقياً، وقد أسهم ذلك في ظهور اتجاه مقارني جديد يركز على أهمية التشابهات النمطية بعيداً عن اشتراطات التأثير والتأثر، عرف بالمدرسة السلافية .

اعتنت هذه الدراسة المتواضعة بمعاينة بدايات تشكل هذه المدرسة ، وبيان أصول المنهج وملامحه ، ثم توقفت بشكل خاص عند التلقي العربي لرؤية هذه المدرسة في الأدب المقارن . وقد كان استقبال الأدب العربي المقارن لهذا الخطاب بطيئاً وضعيفاً، بسبب هيمنة المنهج الفرنسي على دراسات هذا الأدب، وقلة الدراسات المترجمة التي تعرض لمقولات هذه المدرسة وآرائها، نظرياً وتطبيقياً .

Abstract

Comparative literature has witnessed serious contributions given by the Soviet comparativists and represented by the Socialist East European countries in the late 1950s. That is reflected in the joint works of several books dealing with comparative literature whether on the level of theory and application. This development has contributed to the emergence of a new comparative direction focusing on the importance of typical similarities away from the requirements of cross- impact and influence, known as the Slavic school.

The present study previews the beginning of this school by tracing the origins of the approach and its features, and then it focuses on how Arabs have received the vision of this school in comparative literature. The finding is that the influence of this school on Arabic comparative criticism has been slow and weak, because of the dominance of French school in literature.

المقدمة

لقد أدى انتشار النظرية الماركسية في دول الإتحاد السوفيتي ودول أوربا الشرقية ـ بما تحمله من رؤى وتوجهات سياسية واقتصادية ـ إلى تشكل نسق ثقافي يرسخ سلطة الحراك الاجتماعي في المجالات المختلفة، وينظر إلى جوانب الحياة المتعددة عبره، فالاشتراكيون ينطلقون من الثورة على الإقطاع أو الطبقة البورجوازية من أجل إيجاد عالم بدون طبقات ؛ تختفي فيه الصراعات الناتجة عن الأطماع القومية أو الفردية، فالقومية ـ هنا ـ تذوب، وتفقد سلطتها، ويتم تجاهل الذات الفردية لتصبح العوامل الاجتماعية أو الظروف الاجتماعية هي المسؤولة عن صياغة الحياة، وتحديد نمط العيش، وانواع الفنون والآداب، بغض النظر عن القومية أو اللغة أو الجنس، ولذا عملوا على إذابة القوميات في إطار هذا النسق الثقافي، مع اعترافهم بالتنوع الذي يثبت أن الظروف الاجتماعية هي التي تصنع التاريخ.

عمدت هذه النظرية إلى تشخيص بنيتين محددتين يتجسد فيهما ومنهما واقعُ كلِّ مجتمع بشري، وهما البنية التحتية Base Structure وتمثلها قوى الإنتاج المادي ونمطه وعلاقاته السائدة في البنية الاقتصادية للمجتمع. والبنية الفوقية Super Structure، وتمثلها مجموع النظم الثقافية والاجتماعية والسياسية والفكرية.

تمارس البنية الأولى تأثيراً كبيراً على مكونات البنية الثانية؛ فأي تغيير ـ سلبياً كان أم إيجابياً ـ يحدث في وسائل الإنتاج وعلاقاته ينعكس بشكلٍ واضحٍ وحتمي على طبيعة العلاقات الاجتماعية، وأنماط الثقافة، ونظمها، وغيرها من مكونات البنية الفوقية. وبما أنَّ الأدبَ ـ بوصفه نشاطاً ثقافياً واجتماعياً ـ أحدُ مكونات البنية الفوقية، فإنَّه يتأثر بهذه التغيرات المشار إليها. وبذلك فإن التغيير الذي أحدثته النظرية الماركسية في ميدان التحليل النقدي هو النظر إلى الظواهر الأدبية على أنَّها جزءٌ من الظاهرة الثقافية، وقراءة هذه الظواهر في ضوء علاقتها بالتحولات والتغييرات الحاصلة في المجتمع.[١]

وقد أثرت هذه الرؤية في نظرة الباحثين الاشتراكيين إلى الأدب ونقده وتاريخه، وإلى مفهوم الأدب المقارن ووظيفته؛ إذ يقع الإبداع الفني من وجهة نظر الماركسية تحت تأثير الواقع الموضوعي ونفوذه، وينعكس الأخير في العمل الفني الذي يعيد إنتاجه ومعالجته على وفق منطقه الفني الداخلي. ولاتنفصل قوانين العمل الفني عن قوانين تطور الأدب بشكل عام والذي يكون بدوره مرتبطاً بقوانين التطور الاجتماعي, وعلى هذا فإن نظرية الأدب ينبغي أن تنطلق من التحولات والتغيرات الحاصلة في الواقع وفي مصائر أشكال الأدب وعناصره.[٢]

.

بداية تشكل المنهج

لقد شهد الأدب المقارن مساهمات جادة لتطويره من قبل مقارنين سوفييت في أقطار شرق أوربا الاشتراكية، أواخر خمسينيات القرن الماضي، إذ تجسد ذلك في التأليف المشترك للعديد من الكتب التي تتناول الأدب المقارن نظرياً وتطبيقياً، وكان لندوة بودابست عام ١٩٦٢، والمؤتمر الخامس للجمعية العالمية للأدب المقارن، في بلغراد ١٩٦٧ الدور الكبير في ظهور اتجاه مقارني جديد يركز على أهمية التشابهات النمطية بعيداً عن اشتراطات التأثير والتأثر.[٣]

من الملاحظ أن النسق الثقافي الذي يوجه اهتمامات أصحاب هذه الاتجاه يختلف عن السياق الثقافي الذي حدد اهتمامات المقارنين الفرنسيين مما سيؤدي إلى اختلاف مفهوم الأدب المقارن، وميادينه عن المفهوم الفرنسي القديم الذي اتجه إلى دراسة التأثير المشروط باختلاف اللغة بين أدبين قوميين، فمع أن الماركسية تلتقي مع الاتجاه الفرنسي في الميل إلى التاريخ، إلا أنها تختلف عنه في الأهداف والنتائج، فالاتجاه الفرنسي يستعين بالمنهج التاريخي لإثبات تأثير أو تأثر الأدب القومي بمعزل عن القوانين المتحكمة في تطوره، بينما يستخدم الماركسيون المنهج التاريخي لإثبات دور المجتمع والصراع الطبقي في تشكيل الأدب وظهور أجناسه، فإذا تشابهت عندهم الظروف الاجتماعية في عدد من البلدان، سيؤدي ذلك التشابه الاجتماعي إلى ظهور أدب أممي (نمطي) متشابه.

من هنا سميت هذه المدرسة بـ النمطية Typological ، وأصبحت الدراسات الأدبية المقارنة موجَّهة كغيرها من المجالات المعرفية، لإثبات مدى تحكم الظروف الاجتماعية، وتأثيرها، ولذلك ظل أصحاب هذا الاتجاه غير آبهين بمفهوم الأدب المقارن كما حدده الاتجاه الفرنسي، فلم يكن الأدب المقارن مجالاً معترفاً به حتى أواخر الخمسينيات من القرن العشرين؛ لأن الممارسة المقارنة كانت لديهم مبنية على فلسفة مختلفة، وتمارس في نظرية الأدب بشكل أكثر اتساعاً.

• وهكذا يتسع مفهوم الأدب المقارن تحت سلطة الحراك الاجتماعي متجاوزاً دراسة التأثير المبنية على الثنائية القومية، ليشمل دراسة التشابهات الناتجة عن تشابه الظروف الاجتماعية في عدد من القوميات، وهذا لا يعني أنهم يهملون دراسة التأثير، لكنهم يرون أنَّ ظهور تشابهٍ ما ـ كما يقول جيرمونسكي ـ في آداب لا صلات بينها يدل على أن التشابهات لا تكون دوماً ناتجة عن التأثر، وإنما تخضع لحاجة المجتمع وظروفه. ومن هنا فلا يكون التأثير إلا عندما يكون واقع الآداب المتأثرة بحاجة إلى المؤثرات الأجنبية، ولديها الاستعداد لتلقيها[٤]، فالتأثير والتشابه ينتجان عن تشابه الظروف الاجتماعية المحيطة بالآداب القومية. فإذا أضفنا أنَّ الحس الأممي هو أبرز منطلقاتهم الأيديولوجية يمكن أنْ نفهمَ توجهاتهم للإمساك بزمام دراسات التأثير والتأثر بإجراءٍ قصديٍ ودفعها باتجاه التوحد الثقافي العالمي، بدلاً من تركها عاملاً يقود إلى الكشف عن الفوارق بين أمةٍ وأخرى أكثر مما يهتم بالتشابهات بينها.

أصول المنهج وملامحه

تشتغل المدرسة السلافية بنهج يستند إلى مرتكزات تخالف مرتكزات كل من المدرستين الفرنسية والأمريكية في المنهج والموضوع المدروس دراسة مقارنة. فهي تعزو وجود المشابهات في الموضوعات والأفكار والظواهر والصور بين الآداب المختلفة إلى تشابه في البنى التحتية المؤثرة في إنتاج الأدب الذي يدخل في جملة مكونات البنى الفوقية للمجتمع.

لقد كان لأفكار النظرية الماركسية أثرٌ واضحٌ في رؤية فيكتور مكسيموفيتش جيرمونسكي V.M.Germounski - وهو من أبرز أعلام هذه المدرسة - فقد مثلت هذه الأفكار مكوناً وموجهاً رئيساً في أفق انتظاره، إذ قام بربط العلاقات مابين الآداب المختلفة والتشابهات الأدبية فيما بينها بطبيعة الواقع المادي وقواه الاقتصادية وعلاقاتها، أي ما يمثل البنية التحتية للمجتمع، وقد عدّ وحدة عملية التطور الاجتماعي/التاريخي للبشرية مقدمة أساسية لعلم الأدب المقارن.(٥)

نتيجة لهذه الوحدة سيكون التطور الأدبي متصفاً بالوحدة أيضاً، فالفن بوصفه «معرفة للواقع في صور» لابد أن يشف عن خصائص متماثلة في جميع البلدان التي يتشابه فيها وضع البنى التحتية، متمثلة بقوى الإنتاج وعلاقاته، من دون أن يعني ذلك نفي خصوصية التطور التاريخي القومي لأي بلد بمفرده. (٦) ومن هذا المنظور تصبح دراسة المتشابهات منفتحة على نسق جديد لا يهتم بوثائقية التأثير والتأثر بل يفتش عن أسباب خارجة عن نطاق مقولة التبادل، إذ تتجلى مقومات التشابه بشكل واضح في أصول البنى التحتية وتغدو كل المتشابهات مسكونة بعللها الممتدة في هذه البنى .

ويشير جيرمونسكي إلى أنَّ هذا التشابه الحاصل في المقدمات الاجتماعية التاريخية الواحدة أو في الواقع الاجتماعي أو الأيديولوجي لطبقات اجتماعية معينة لا يقتضي بشكلٍ حتمي ِوجود تأثيرٍ مباشرٍ بينها، ذلك أنَّ إمكانية حصول التأثير مشروطة ٌبتوفر الحاجة والتوجه المتماثل لدى أيديولوجية الطبقة الاجتماعية في البلد المستورد، أي أنْ تتوفر التوجهات الأولية لدى هؤلاء نحو تشكيل وإنماء النوع أو الشكل المستورد في الثقافة الخاصة، وبذلك يكون منطلق حصول التأثير والتأثر من قاعدة التشابه والاتساق بين التوجهات، وأنْ يكون أدب البلد المتأثر قد حدد على وفق قوانين تطوره الطبيعي حاجته إلى الاستيراد الأدبي، فليس التأثير أمراً يقع بالمصادفة أو نتيجة ولع بأنموذج أدبي أو اتجاه أدبي لدى الآخر. ويستدعي اشتراط وجود هذه التوجهات المشابهة ضرورة تحديد آلية فاعلة للتعامل مع الأنموذج المستورد أو المؤثر قائمة على تكييف الأثر على وفق ما تقتضيه حاجة وواقع الطبقة الاجتماعية المتأثرة، وفي عملية التحويل هذه يتجسد الاختلاف وتفرض خصوصية الأدب المتأثر نفسها كمسألة مهمة لا تقل أهميتها عن مسألة التشابه وضرورة وجوده.(٧) ونتيجة لهذه الرؤية، تختلف طبيعة المتن المدروس دراسة مقارنة؛ فالآداب القومية بأسرها

يجب أن تدرس في سياق تطور الأدب العالمي لأنها ـ على وفق مفهوم الأممية ـ أجزاءٌ في كلٍ يمثل سيرورة اجتماعية تاريخية واحدة في تطور البشرية.

لقد تخلت الدراسات المقارنة في الغرب عن النظر في آفاق تطور الأدب العالمي، وحصرت نفسها في ميدان البحث داخل الحدود القومية الضيقة أو في الأعمال الأوربية، والاعتناء بالآداب الحديثة، لذلك كان اشتغال المدرسة السلافية في منطقة غير مأهولة و مقصية عن قبل الاهتمام الغربي، فدرس باحثوها آداب العصور الوسطى في الآداب الشرقية والأوربية، وآداب أوربا الشرقية، من دون الانطلاق من مبدأ التفوق وحصر فعل المقارنة بين الآداب التي يمثل بعضها نداً لبعضها الآخر، كدراسات المقارنين الغربيين في القرن التاسع عشر، بحسب (جيرمونسكي)، وهكذا كانت الآداب الشعبية أيضاً، مادة للدرس والبحث في المدرسة السلافية بعد ان كانت مهملة، وبعيدة عن النظر النقدي المقارن.[٨]

ورأى إلكسندر ديما Alexandru Dima أنَّ أبرز تجلٍ لإفادة المدرسة السلافية من مبادئ الاشتراكية ـ ضمن سعيها لتجديد الأدب المقارن ـ كان في توسيع الحدود الزمانية والمكانية للمقارنة، إذ اقترح المقارنون الاشتراكيون عدم التوقف عند آداب ما بعد عصر النهضة ـ كما فعلت المناهج السابقة ـ ، والاهتمام بآداب القرون الوسطى اللاتينية، وعلاقاتها المتبادلة باللغات الإغريقية والصينية والفارسية والعربية وغيرها. وهكذا خرجت الدراسات المقارنة إلى ما وراء أطر الآداب القومية، نابذة المركزية التي عدتها من أبرز سلبيات المناهج السابقة، ومهتمة في مجال العلاقات الأدبية بإظهار بعض التشابهات الحتمية في الظواهر الأدبية فيما بين الآداب القومية التي يجمعها مشترك تاريخي وثقافي محدد من غير اشتراط مسبق بوجود صلة تاريخية أو تأثير فعلي فيما بينها، وتدرس أشكال هذه العلاقات ضمن إطار عملية أدبية متكاملة، يكون فيها الجانب الاجتماعي للمجتمعات الحاضنة لهذه الظواهر الأدبية حاضراً في البحث المقارن.[٩]

وحينما يناقش ديما محاولات توسيع مجال المقارنة من قبل بعض المقارنين الفرنسيين المتأخرين يقف عند مسألة إدخال بيشو وروسو تاريخ الأفكار والبناء الأدبي إلى مجال البحث في الأدب المقارن، ويرى أنَّ دراسة تاريخ الأفكار متواجدةٌ بشكلٍ ضمني في دراسة العلاقات الأدبية المتبادلة (التأثير والتأثر)، وفي دراسة التشابهات المتماثلة، وكذلك في الدراسة التي تتناول خصوصية الأدب. أما ما يخص دراسة البناء الأدبي بشكل تفصيلي، فيرى عدم ضرورة ذلك في البحث المقارن لأن معظم مسائل هذا الموضوع مطروقة أيضاً في أجزاء البحث.[١٠]

لا يبدو ـ هنا ـ اعتراض ديما مقنعاً، ذلك أنَّ هدف بيشو وروسو من تخصيص بحوثٍ مفصَّلةٍ لهذين المجالين في الأدب المقارن هو التأكيد على أهميتهما في البحث المقارن، وبالخصوص دراسة البناء الأدبي التي طالما أهملتها دراسات التأثير والتأثر. ولا شك في أن الدراسة التفصيلية لمفردة ما، هي غير التناول السريع والضمني لها في سياق

دراسة عامة؛ فالتوقف عند هجرة الأفكار وتتبع مسارها وتحولاتها، أو شيوع نمط منها في مكان أو زمان معينين من دون غيرهما له دورٌ مهمٌ وكبيرٌ في استخلاص صورة عقليةِ جيلٍ أو عصرٍ أو حضارةٍ ما. أما الكشف عن البناء الفني للنصوص فلا يُنكر دوره في التوصل إلى نتائجَ بحثيةٍ مهمةٍ في التأريخ للآداب على الصعيدين القومي والعالمي من خلال الكشف عن طبيعة التطورات الحاصلة في التقاليد الفنية للأنواع الأدبية المختلفة نتيجة تنقلات النصوص فيما بين الآداب المختلفة.

أما في مجال موقف المدرسة السلافية من دراسة التأثير والتأثر، فيشير ديما إلى ضرورة تفحص الجوهر الداخلي لمفهوم التأثير، فأصله ـ كما يرى ـ فلكيٌ قديمٌ، إذ كان يستخدم للإشارة إلى تأثير ظاهرة طبيعية على أخرى تأثيراً يختلف في طبيعته، فهو قد يكون ظاهراً ملحوظاً وقد يكون غامضاً. وقد تطور المفهوم كثيراً فيما يخص استمراريته ومداه، فظاهرة التأثير تأخذ شكلاً خاطفاً وتلقائياً وأحياناً تنطفئ بسرعة، ويكتنف الغموض دائماً أحد جوانبها، ولذلك يبقى في كل تغيرٍ للظاهرة هناك شيءٌ غامضٌ عصيٌ على التبيين.(١١)

بناءً على ذلك يرى ديما شدة حساسية دراسة التأثيرات، مما يستوجب على الباحث الحذر الشديد أمام أشكال التأثير التي تتنوع بين أنْ تكون محاكاة كاملة ومعتمدة للأثر الأصلي، وبين أن تكون نبضات خفية يصعب العثور عليها، ويختلف ديما مع رينيه ويلك الذي يرى في دراسة التأثيرات جهوداً ضائعة بلا هدف، وفي الوقت ذاته يختلف مع من يعد التأثير العمل الحاسم الوحيد في الإنتاج الأدبي.(١٢) ويقف ديما موقفاً وسطاً حذراً مؤكداً على عدم وجود أدبٍ خالٍ من ملامح التأثير مع عدم المغالاة في تضخيم دور المؤثر وإظهاره بشكل مبالغ فيه بمظهر القوي الذي يتسلط على الجهة المتلقية، ويعتقد ديما أنَّ الاقتصار على المقارنة اللغوية البسيطة للنصوص لا يفيد دراسة التأثير فمن الضروري دراسة النصوص في ضوء ارتباطها الوثيق بالحياة الاجتماعية، وتبيان التقاليد القومية الخاصة بالنسبة للأدب المتأثر عند استيعابه العناصر الأجنبي. ويجب في ذلك كله الانتباه إلى أهمية العامل الزمني في تحديد التأثير. كما ينبغي ألّا تقتصر دراسة التأثيرات على بيان فاعليتها وانتشارها من دون إظهار لدورها ومقدار فاعليتها، وبيان جوهر الظاهرة الأدبية.(١٣)

يحدد ديما متطلبات التحليل المقارن بما يمكن اختصاره في النقاط الآتية :

١ـ توفر عنصرين ينتسبان إلى أدبين مختلفين .

٢ـ تكون اللغة هي مقياس التفاضل بين الظواهر المقارنة ، إذ تدور المقارنة حول آداب من لغات مختلفة، ويمكن إضافة إلى ذلك أن تدرس ظواهر تنتمي إلى لغة واحدة، وتمتاز فيما بينها بالبيئة والتقاليد الأدبية المختلفة، كما أن من الجائز أن تدخل على حقل المقارنة آداب مختلفة اللغات ولكن تجمعها دولة واحدة ومبادئ وتقاليد واحدة.

٣ـ أما ما يخص مسألة توسعة ميادين البحث المقارن لتشمل مقارنة الأدب بجميع أشكال الثقافة والمعارف

والعلوم، على وفق ما اقترحته المدرسة الأمريكية، فإن ذلك من شأنه أن يحول الأدب المقارن إلى علم عام أو إلى ثقافة فلسفية مقارنة، وهو أمر سيضاعف من صعوبة البحث المقارن. غير أنه من الواجب الاهتمام بالظواهر الأدبية التي يكون لها علاقات تأثر أو تأثير مع بقية الفنون، من غير أن يكون ذلك مبرراً للخروج من دائرة المجال الأدبي .

٤ـ من الضروري فيما يخص الحدود الزمنية للمراحل المدروسة الالتفات إلى الآداب القديمة، بحسب المراحل الزمنية وعدم الاكتفاء بحقبة عصر النهضة.

أمّا ما يخص المؤشر المكاني فيجب نبذ التمحور الأوربي والاهتمام بآداب شرق أوربا ووسطها، وكذلك شرق العالم، والشرق الأقصى حتى اليابان لأجل الكشف عن ذخائر ما تمتلكه هذه الآداب. وهذه التوسعة تفرض عملاً جماعياً موحداً من شأنه أن يحقق الأهداف المشار إليها ويساعد على تقليل المصاعب وتجاوزها.(١٤)

ويرى ميهاي نوفيكوف Mihai Novicov ضرورة أنْ يولي الأدب المقارن اهتماماً خاصاً لدراسة العلاقة فيما بين الأدب والجمهور، وكيفية حدوث التناقض أو التطابق فيما بين الإنتاج الأدبي ـ الذي يحركه نزوع الأديب نحو التجديد والإبداع ـ وبين الحاجة الجمالية للفئات الاجتماعية، القائمة في مرحلة معينة. وستسهم بحوث الأدب المقارن من خلال ذلك في تحقيق معرفة أفضل للإطار الموضوعي العام للتطور الأدبي، وتفسير أسباب تبني بعض الأدباء لبعض التوجهات الفنية التي يفضلها الجمهور في مرحلة ما، ومن ثم سيهيئ ذلك مساحة واسعة ومهمة للتعاون فيما بين الأدب المقارن وعلم اجتماع الأدب. وتأتي أهمية المقارنة وضرورتها هنا من صلة الإنتاج الجماهيري الكبيرة بالفن، فالأخير يستجيب لحاجات اجتماعية ذات مستويات مختلفة، وتبعا لهذه المستويات، تتباين القيمة الفنية للنصوص الإبداعية وتختلف. وكلما استطاعت المقارنة أن تكشف عن تشابهات بين ظواهر متباعدة، كانت أكثر إيجابية وفائدة من غيرها.(١٥)

تعد آراء نوبيكوف توسيعاً لما وضعه جيرمونسكي من شروطٍ لحصول التأثير، تتعلق بالتماثل أو الاختلاف ما بين أيديولوجيا الطبقة الاجتماعية والعمل المؤثر، على أن هذه الآراء تمثل من زاوية أخرى محاولة لبيان نقاط الالتقاء بين ميداني الأدب المقارن وعلم اجتماع الأدب، وتوضيح إمكانية تفعيل هذه النقاط في إثراء البحث المقارن.

لم يمنع انطلاق الجهود التنظيرية للمقارنين الاشتراكيين من أسس فلسفية ماركسية من أن تتفق في بعض المواضع مع رؤية المدرسة الأمريكية،ومن ذلك قيام الباحث المقارن إيشتفان شبوتر بمعالجة مسألة انفتاح ميادين المقارنة لتشمل جميع أشكال الثقافة والتعبير الفني من منطلقات اشتراكية تبدأ بدراسة الأسس الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من جانب، والتناسب مع الفنون والتأثيرات المتبادلة فيما بينها من جانب آخر.(١٦)

ويسعى كيوركي ديموف G.Dimov إلى

خلق رؤيةٍ توافقيةٍ تفيد من المدرستين الفرنسية والأمريكية، فيرى إمكانية الخروج بنتائجَ مهمةٍ من الدراسة التاريخية المقارنة للآداب الاشتراكية المعاصرة تخص طبيعة الوعي الجمالي لدى الناس في حقبة معينة، كما يمكن لهذه الدراسة أن تشخص العناصر الجديدة التي من الممكن أنْ تغني الأدب العالمي. ويجب على الدراسة المقارنة ألّا تكتفي بمعاينة المظاهر الاجتماعية والإيديولوجية، المحيطة بالنصوص، مع أهمية ما تقدمه من فائدة معرفية للباحث، فينبغي مع ذلك أنْ تهتمَ الدراسة بالبحث عن الجوهر الجمالي للظواهر الفنية، وتكشف عن خصائصها الأدبية، ومدى ارتباطها أو انفصالها عن التقاليد الفنية القومية، أو تمثلها لمعطيات الظاهرة الأجنبية، وكيفية حدوث ذلك.[١٧]

ويتفق نينا فاصون Nina Fason مع ديموف في الرأي بضرورة الجمع ما بين البعدين الخارجي والداخلي للنصوص في البحث المقارن، فيرى فاصون عدم إمكانية النجاح في المقاربة الأسلوبية، في تاريخ الأدب المقارن، ((إلا إذا اعتبرت البنيات الأسلوبية، كدوال، تعادل البنيات الاجتماعية، الدينية أو الفلسفية، والتي تقود]من ثم [إلى مدلول واحد، هو الحضارة والثقافة التي تقترح دراستهما))[١٨]

من جانب مماثل لا يمكن لبحث علمي أصيل أن يمر دون دراسة عميقة للخط التقليدي للموضوع، ولما يربط بين النتاجات خلال القرون. كذلك لا يمكن أن يتوانى عن تبيان الخصوصية الأصلية لكل واحد من تلك النتاجات، مع الأخذ بنظر الاعتبار الظروف التاريخية التي ظهر فيها ذلك النتاج. وبعبارة أخرى يرتبط تطور الأفكار بالتطورات التي تحصل في الثقافات الوطنية إلى الدرجة التي يكون فيها قياس حركية الأفكار ممكناً عن طريق دراسة الأفكار الوطنية ومعاينة الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي قد يساند إيقاعها انتشار الأفكار أو يعيقها، وهو ما يعني أن التحولات الحادثة في الأفكار سلباً أو إيجاباً تأتي استجابة للشروط النوعية لحياة الشعوب والأفراد.[١٩]

تفيد هذه الآراء من مساحة الانفتاح النسبي الذي نراه في موقف المدرسة السلافية من الرؤية السابقة لمنهج المقارنة. ويتمثل هذا الانفتاح في القول بأنَّ التأثر لا يتمّ إلّا عندما تكون الثقافة المتأثرة بحاجة إلى المؤثرات الأجنبية، ومستعدة لتلقيها. فهو لم يكن السبب في ظهور الاتجاه الواقعي في آداب أوروبية وغير أوروبية مختلفة وفي أزمنة مختلفة، وإنما السبب هو أنّ الآداب التي ظهرت فيها الواقعية كانت قد بلغتْ درجات من التطور الاجتماعي جعلت ظهور أدب واقعي أمراً ضرورياً، وتكونت فيها بذور ذلك الأدب الواقعي. ثم جاء عامل التأثر والتأثير، أي الاستيراد الثقافي، ليسرّع ذلك التطور ويقويه. فلو لم تكن الحاجة قائمة في الأدب المتأثر، لما أثمرت عمليات التأثير والتأثر البتة.

إنّ الأساس في تلك العمليات هو حاجة الثقافة المستقبلة، لا حاجة الثقافة المرسلة. وعمليات الاستيراد الثقافي تخضع لحاجات الطرف المستقبل، وليس العكس. وبذلك تمكّن جيرمونسكي من استيعاب

قضية التأثير والتأثر، ومن وضعها في إطار أكبر، هو دور المؤثرات الخارجية في تطور الأدب. فللتأثير دور في ذلك التطور، ولكنّ ذلك الدور ليس أولياً ولا أساسياً. أما الدور الأساسي فهو للتطور الداخلي للأدب، ذلك التطور الذي يواكب تطور المجتمع. فعندما يتطور المجتمع، فإنّ تطوره يخلق الحاجة إلى تطور أدبي يواكبه، كظهور تيار أدبي، وتأخذ بذور هذا التطور بالظهور داخل الأدب. وإذا أضيفت إلى ذلك مؤثرات خارجية، فإنها تسرّع ذلك التطور، وتكون كبذرة سقطت في أرض ملائمة خصبة. أمّا إذا لم يتوافر الشرطان: الاجتماعي والأدبي اللذان يولّدان الحاجة إلى المؤثرات الأدبية الخارجية، فإنّ عمليات التأثير والتأثر لا تجدي نفعاً، وتبقى ظاهرة معزولة لا جذور لها. وبذلك قدّم فيكتور جيرمونسكي مساهمة قيّمة في تفسير ظاهرة التطور والتبادل الأدبيين. لقد وضع الأمور في نصابها، منسجماً في ذلك مع المقولة الماركسية التي ترى أنّ الدور الحاسم في التطور الأدبي يكون للعوامل الداخلية، أمّا العوامل الخارجية فهي عوامل ثانوية وغير حاسمة، تتوقف فاعليتها على توافر الشروط الداخلية للأدب. وبذلك خيّب جيرمونسكي آمال دعاة الهيمنة والتوسع الثقافيين، الذين يريدون نشر ثقافاتهم في العالم، وفرضها على الشعوب بأيّ ثمن، دون مراعاة مستويات التطور الاجتماعي والحاجات الثقافية لتلك الشعوب.

إلا أنَّ ذلك لا يمنع من تأشير بعض الملاحظات حول رؤية المقارنين الماركسيين، من ذلك خطأ اعتقادهم أنَّ الفكر الماركسي يقدم مفتاح الحلول لكل المعضلات التي تواجههم، وأنهم يستطيعون تطويع نظريات ـ نشأت وتطورت في حقبة ومكان محددين ـ لفكرهم المجرد. ويجمع النقاد على أن المقارنين الماركسيين لم ينجحوا في مهمتهم ولهذا بدت جهودهم تسير تارة في الإتجاه الفرنسي وتارة أخرى في الإتجاه الأمريكي، على الرغم من أنَّ المؤتمرات العالمية للأدب المقارن قد أتاحت لأنصار المدرسة السلافية بكل مكوناتها الوطنية وتنوعات فضاءاتها وخصب تداخلاتها، إبراز تميز صوتها، عبر اعتقادها بالماديةَ الجدلية التاريخية. ومع ذلك فإن المدرسة السلافية بقيت تدور في فلك المدرستين الفرنسية والأمريكية. فهي لم تستطع أن تخرج من دائرة المفهوم الفرنسي في التأثير والتأثر، وإن كانت قد لونت ذلك بلونها الخاص.

وهكذا فإنَّ اعتماد القول بتأثير البنى التحتية، الاجتماعية / الاقتصادية المشتركة بين بلدان معينة في تفسير التشابهات في مجال الظواهر الأدبية، هو في حقيقته تفسير جزئي، ذلك أنَّ هذه البنى المشتركة تفرز ظواهر متماثلة، وليست متشابهة، إذ يفترض تشكل التشابه اختلافاً في البنية التحتية ناتج عن خصوصية الانتماء الوطني واللغة والتاريخ لكل بلد. ويقودنا ذلك إلى القول بضرورة ملاحظة وقوع التشابه في بعديه الزمنيين (التزامني والتعاقبي) لكي تتحدد ملامح الأسلوب الخاص لكل كاتب أو عصر يراد دراسته.[٢٠]

التلقي النقدي العربي لرؤية المدرسة السلافية

يتأطر التلقي العربي لرؤية المدرسة السلافية في الأدب المقارن في مستوى متواضع جداً، إذ تأخذ القراءات فيه شكل الدفاع عن وجود رؤية ثالثة في نظرية المقارنة، مغيبة، ومهملة، وهي تناهض المركزية الغربية التي سعت الدراسات الغربية المقارنة إلى تكريسها وتنميطها. وقد كان استقبال الأدب العربي المقارن لهذا الخطاب بطيئاً وضعيفاً، بسبب هيمنة المنهج الفرنسي على دراسات هذا الأدب، وقلة الدراسات المترجمة التي تعرض لمقولات هذه المدرسة وآرائها، نظرياً وتطبيقياً .

يمكن تحديد قراءة د. سعيد علّوش كأول تلقٍ عربي مستوعب لهذه المدرسة، فقد خصص لعرض آراء بعض أعلامها فصلاً من كتابه (مدارس الأدب المقارن، دراسة منهجية) معتمداً على الأفكار التي طرحتها الأعمال المشاركة للباحثين من هذه المدرسة في المؤتمر الخامس للجمعية العالمية للأدب المقارن في بلغراد ١٩٦٧، والندوة العالمية للأدب المقارن في بوخاريست ١٩٧٤. وقد أتاحت هذه المؤتمرات فرصة بيان رؤيتها وتوجهاتها في النظر إلى حياة الأدب في المجتمعات المختلفة، والدعوة إلى إعادة تقويم التقاليد الثقافية السائدة، كما جاء في إعلان (نيهنا غيورغي) الذي قدمه باسم اللجنة الوطنية للأدب المقارن في رومانيا إلى ندوة بوخارست عام ١٩٦٤. وينقل منه د. علوش ما يوضح توجُّه اهتمام هذه المدرسة إلى البحث في مجالات الفن والأدب والفولكلور ومناقشة إشكالية العلاقة بين الأدب المقارن والعلوم الاجتماعية المعاصرة، جاعلاً ـ برأيه ـ هذا التقديم ((إعلاناً تاريخياً عن المبادئ الأساسية التي قامت واستمرت عليها المدرسة السلافية))[٢١]. ثم تأتي طروحات (ن.ي.بالاشوف) و (أو.تروستشكو) و(ناركيريير) منسجمة مع الطروحات الأيديولوجية والمادية للمدرسة السلافية، في تأكيدها على ضرورة ربط الدراسة المقارنة بالمكون الاجتماعي للآداب.

على أنَّ ما يمثل تلخيصاً وافياً لموقف المدرسة السلافية من المدرستين الفرنسية والأمريكية باعتقاد د. علّوش هو مقالة (إلكسندر ديما) في هذه الندوة، وفيها قسّم الدرس المقارن إلى ثلاثة ميادين، هي:[٢٢]

١ـ العلاقات المباشرة بين الآداب، ذات المناخ الوطني، بعناصرها المحددة، ومشاكل التأثيرات والمصادر.

٢ـ دراسة الموازنات، خارج العلاقات والتأثيرات والمصادر.

٣ـ دراسة الطوابع الخاصة، لمختلف الآداب، كموضوع للمقارنة.

على الرغم مما تتسم به هذه الآراء من وضوح في الرؤية، إلا إن د. علّوش يرى عدم وجود «مدرسة سلافية» تتميز بانسجام آراء أعلامها، وتمتلك خصوصيتها الواضحة، وأنَّ حقيقتها ما هي إلا إنتاج يعود إلى مرجعيات فكرية وسوسيولوجية محددة.[٢٣] غير أنه يذكر في موضع آخر، يقارن فيه منجز المدرسة السلافية بمنجز (المدرسة) العربية ما يناقض موقفه هذا، إذ يقول: ((ويمكن القول بأنَّ

المدرسة السلافية ـ على عكس المدرسة العربية ـ استطاعت أنْ ترسخ تقاليد درس مقارن، لا هو فرنسي ولا هو أمريكي، ولكنَّه الدرس الذي يستجيب للفضاء الزماني الاشتراكي العلمي، بعيداً عن التشبه والنمطية، وهي مكاسب ما كان في الإمكان تحقيقها، لولا توافر الإرادة والعلم))[٢٤]

الواقع أنَّ هذا النوع من التلقي العربي يندرج في سياق المطابقة أيضاً بالرغم من محاولته الانفتاح على التنوع والتطور الحاصل في خطاب المقارنة عبر مدارسها المتعددة، ذلك أنَّ هذا التلقي لم يكن استجابة لمتطلب ثقافي عربي ملح، وإنَّما جاء تذييلاً لتلقٍ آخر سابق، ولكي تتضح صورة ما نقوله أكثر، فإنَّنا نحيل إلى ترجمة كتاب إلكسندر ديما (مبادئ علم الأدب المقارن) والذي لم يكن قد ترجم إلى العربية بعد، حينما وضع د. سعيد علوش كتابه. فقد صدر هذا الكتاب في بوخارست عام ١٩٦٩، وطبع ثانية عام ١٩٧٢، وترجم إلى الروسية عن طبعته الثانية عام ١٩٧٧، وفي ١٩٨٧ قام د.محمد يونس بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية عن الطبعة الروسية المذكورة .[٢٥]

ويعكس ذلك وجهاً من وجوه إخفاق التلقي العربي في قراءة أصول المدرسة السلافية، ولعل مما يعزز من صحة هذا الرأي اعتماد د. علّوش في عرضه لمبادئ هذه المدرسة على باحثين رومانيين، من دون التوقف طويلاً عند المنجز الروسي وإسهاماته الكبيرة في وضع مبادئ هذه المدرسة، كآراء فيسيلوفسكي وجيرمونسكي على الرغم من ذكره لهما بشكل سريع.

وإذا ما انتقلنا إلى صور التلقيات اللاحقة لقراءة علوش فإننا نجد الإخفاق ذاته من دون أنْ يكون للتحولات الكبيرة والمهمة التي حصلت في ميدان الترجمة والمثاقفة مع الآخر أثر في ذلك. فمع الأهمية البالغة لورقة د. فؤاد مرعي المقدمة إلى المؤتمر الثاني للرابطة العربية للأدب المقارن المنعقد في دمشق عام ١٩٨٦[٢٦]، والتي عرض فيها المبادئ النظرية للمدرسة السلافية بشكلٍ مفصلٍ ودقيقٍ، إلا أن هذه الدراسة لم تخرج عن حدود المطابقة والمماثلة مع الأصول، دون مناقشة أو معالجة لأي رأي يذكر، معتمداً في عرضه على آراء جيرمونسكي (من غير أن يذكره صراحة) في وحدة قوانين التطور الأدبي وعدها أساس علم الأدب المقارن .

إلا أنَّه من الجدير بالذكر تسجيل بعض القراءات المتأخرة تطوراً في عروضها الشاملة لطروحات المدرسة السلافية. ويمكن أنْ نذكر مثالاً على ذلك قراءة د. عبده عبود في كتابه (الأدب المقارن ، مشكلات وآفاق)، إذ يعرض المؤلف للأصول الفلسفية التي تستند إليها المدرسة السلافية في مقاربتها الأدب المقارن ومدى اختلافها مع المدرسة الفرنسية المستندة إلى الفلسفة الوضعية. ثم يبين آراء الباحثين وأهمهم جيرمونسكي في التشابهات النمطية، مؤصِّلا ًلذلك بآراء الماركسي المَجَري (جورج لوكاتش) في دراسته للرواية، ووضعه نظرية (التنميط) بالنسبة للبطل الروائي الواقعي.[٢٧] وكذلك قراءة د. جميل نصيف التكريتي، إذ يطرح في أكثر من موضوع من فصول كتابه (الأدب المقارن) رأي المدرسة

السلافية، منها علاقة الأدب المقارن بكل من الأدب القومي والأدب العام، و نشأة الأدب المقارن وتطوره في العالم وغيرها، وقد اعتمد في ذلك على كتاب (إلكسندر ديما) أكثر من غيره، ورأى في ظهور هذه المدرسة عاملاً ساعد في تقارب المدارس المتعارضة بعضها من بعض .[٢٨]

لقد أهدر التلقي العربي لرؤية المدرسة السلافية في الأدب المقارن، خصوصيته الثقافية حينما عمد، في معظمه إلى انتهاج نمطٍ واحدٍ متواترٍ من التعامل مع خطاب المقارنة الوافد، وبطريقة تذكرنا بما فعله النقاد مع المدرسة الفرنسية الرائدة حينما عمدوا إلى مضاعفة قيمة الريادة النظرية لنص د. محمد غنيمي هلال المعنون بـ (الأدب المقارن)، واتخاذه أنموذجاً تمثلتْ خطواتِه معظمُ الكتب المؤلفة التي تلته، على الرغم من توفر النصوص النظرية لمنظري المدرسة الفرنسية مترجمةً فيما بعد. غير أن ما يجدر تسجيله هو أن التلقي النقدي العربي للمدرسة السلافية جاء أقل تطابقاً مع الأصل الوافد ، وقد جسَّد تلقيها شكلاً من أشكال الرغبة في الخروج عن هيمنةِ الرؤيةِ الفرنسية على الدراسات المقارنة.

الهوامش

١. لمزيد من التفصيل حول ذلك ينظر: سوسيولوجيا الأدب : روبير اسكاربت، تر: آمال عرموني، دار عويدات ـ بيروت ،ط٢ ،١٩٨٣.

٢. ينظر : نظرية الأدب . النزعة التاريخية والنزعة المعاصرة : يو. ب. بوريف ، يا. أي. إيلسبيرغ ، ضمن كتاب : موسوعة نظرية الأدب :مشترك ، تر: د. جميل نصيف التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ، ١٩٩٢ :١٣، ٣٥

٣. ينظر تفصيل ذلك في : مبادئ علم الأدب المقارن : ٤٦ـ٤٧ ، مفاهيم نقدية :٣٥١ ، مدارس الأدب المقارن ، دراسة منهجية :١٢٨، وقد سميت هذه المدرسة بـ (السلافية) نسبة إلى لغات معظم منظّريها الذين ينتمون إلى بلدان المعسكر الاشتراكي الناطقة باللغات السلافونية .

٤. ينظر : علم الأدب المقارن: شرق وغرب: فيكتور مكسيموفيتش جيرمونسكي، ترجمة وتقديم د. غسان مرتضى، حمص ـ سوريا ، ط١، ٢٠٠٤: ٢٦٥.

٥. ينظر: المصدر السابق :١١

٦. ينظر : المصدر السابق، الموضع نفسه .

٧. ينظر: علم الأدب المقارن: شرق وغرب: ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .

٨. ينظر: المصدر السابق : ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

٩. ينظر : مبادئ علم الأدب المقارن : إلكسندر ديما ، تر: د. محمد يونس ، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ، ١٩٨٧: ٤٨

١٠. ينظر : المصدر السابق:٦١ ـ٦٢

١١. ينظر: مبادئ علم الأدب المقارن: ١٢٢

١٢. ينظر : المصدر السابق : ١٢٢

١٣. ينظر : المصدر السابق : ١٢٦ـ ١٢٨

١٤. ينظر : مبادئ علم الأدب المقارن: ٦٣ـ٦٦

١٥. ينظر : الأدب المقارن وتاريخ الأفكار: ميهاي نوبيكوف ، تر: سعيد علوش ، ضمن كتاب: مدارس الأدب المقارن، دراسة منهجية : ١٤٧ـ ١٤٩

١٦. ينظر : مبادئ الأدب المقارن : ٦٤

١٧. ينظر : مدارس الأدب المقارن ، دراسة منهجية: ١٣٩

١٨. المصدر السابق : ١٤٢

١٩. ينظر: الأدب المقارن وتاريخ الأفكار: زيو دوميتريسكو، تر: سعيد علوش ، ضمن كتاب : مدارس الأدب المقارن: ١٥٠

٢٠. ينظر: ما الأدب المقارن : ٧٨ـ ٧٩

٢١. مدارس الأدب المقارن ، دراسة منهجية : ١٣٠ .

٢٢. المصدر السابق :١٣٣ .

٢٣. ينظر : المصدر السابق :١٢٧ .

٢٤. المصدر السابق : ١٣٨.

٢٥. ينظر: مبادئ علم الأدب المقارن : إلكسندر ديما، تر: د. محمد يونس ، مراجعة: د. عباس خلف، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ، ط١٩٨٧،١، ص:٣ من كلمة المترجم

٢٦. ينظر : في نظرية الأدب المقارن: د. فؤاد مرعي، مجلة (المعرفة) السورية، ع ٢٩٥، أيلول ـ ١٩٨٦: ١٤٩ـ ١٧٦

٢٧. ينظر: الأدب المقارن مشكلات وآفاق: د. عبده عبود، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٩ :٤٠ ـ ٤٧

٢٨. ينظر: الأدب المقارن: د. جميل نصيف التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ، ط١، ٢٠٠٥: ٩٧ ـ ١٠٠، وأيضاً ١٧٧ـ ١٨٠

المصادر والمراجع

١- الأدب المقارن مشكلات وآفاق: د. عبده عبود، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٩

٢- الأدب المقارن: د. جميل نصيف التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ، ط١، ٢٠٠٥

٣- سوسيولوجيا الأدب : روبير اسكاربت، تر: آمال عرموني، دار عويدات ـ بيروت ،ط٢، ١٩٨٣.

٤- علم الأدب المقارن: شرق وغرب: فيكتور مكسيموفيتش جيرمونسكي، ترجمة وتقديم د. غسان مرتضى، حمص ـ سوريا ، ط١، ٢٠٠٤

٥- ما الأدب المقارن: بييربرونيل . كلودبيشو ، تر: د. غسان السيد، منشورات دار علاء الدين ـ دمشق، ط١، ١٩٩٦.

٦- مبادئ علم الأدب المقارن : إلكسندر ديما ، تر: د. محمد يونس ، مراجعة : د. عباس خلف. دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧ .

٧- مدارس الأدب المقارن ، دراسة منهجية : د. سعيد علوش ، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٨٧

٨- مفاهيم نقدية : رينيه ويلك ، تر: محمد عصفور ، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت، (سلسلة عالم المعرفة رقم: ١١٠) ، شباط /١٩٨٧ .

٩-موسوعةنظريةالأدب:مشترك،تر:د.جميلنصيف التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ، ١٩٩٢

المقالات

١- في نظرية الأدب المقارن: د. فؤاد مرعي، مجلة (المعرفة) السورية، ع ٢٩٥، أيلول ـ ١٩٨٦

صورُ التأصيلِ القرآنيِّ للرثاء الحسيني
دراسة دلالية

Quranic Images of Rooting the Husseini Lament: a Semantic Study

م.د حيدر عودة كاطع الدراجي
كلية الإمام الكاظم(ع) للدراسات الإسلامية
ميسان

By: Dr.Haider Oda Qadh' Al-Daraji ,
Imam Kadhim (a.s) College for Islamic Studies in Misan

ملخص البحث

يتوخّى البحث اعتماد التأصيل القرآني -بوصفه الأصل الأول والأكبر للتشريع الديني-، وما تضمنته آياته الشريفة من قصص رثاء وحزن وبكاء وندبة، لكي تكون هذه الأحداث والقصص الرثائية بمثابة المسوغ الشرعي والعقلي لما ينقل من قصص الرثاء الحسيني وما تنطوي عليه أحداثها من جوانب وأبعاد ذات افق مأساوي أليم مما قلَّ نظيرها في التاريخ البشري، ومن هنا حاول البحث الخوض في مسألتين متداخلتين: الأولى انطواء بعض القصص القرآني على محفِّز الرثاء العاطفي بكل ما يحمل من الشحن العاطفي النفسي المراد إثارته عند المتلقي كي يعيش السامع الحزن والغصة والألم حين يكون وجهاً لوجه مع حدث القصة القرآنية بتأثيريها العاطفي والعقلي، والأمر الآخر هو الإفادة من التوظيف القرآني في نقل المأساة الحسينية ومراثيها إلى العالم انطلاقاً من المسوغ القرآني، بعد دراسة بعض القصص القرآني والخوص في مداليلها السياقية التركيبية داخل النص القرآني بغية الوصول إلى الوسائل التوظيفية –سياقياً ودلالياً- كعناصر تعبوية لعملية الإثارة العاطفية في المتلقي.

Abstract

The research investigates the images in the Quran that root Husseini lament, which is considered as the first and biggest basis of religious legislation.It focuses on what the Quran contains of noble Ayats that show lament , sorrow and weeping. These events and stories represent a legitimate mental justification to the Husseini lamentation stories and what it conveys of tragically painful events , unprecedented in human history.The present research attempts to explain two overlapping matters.The first is that some Quranic stories stimulate the emotional self-pity and what it contains of emotional and psychological charge to be raised in the recipient, so that he lives in sadness and pain. The second matter is the utilization of Quran in transferring Husseini tragedy and its elegies to the world on the basis of the Quranic justification.

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله الطيبين الطاهرين...وبعد.

يتوخّى البحث اعتماد التأصيل القرآني -بوصفه أصلاً للتشريع الديني- وما تضمنته آياته الشريفة من قصص رثاء وحزن وبكاء وندبة، لكي تكون هذه الأحداث والقصص الرثائية بمثابة المسوغ الشرعي والعقلي لما ينقل من قصص الرثاء الحسيني وما تنطوي عليه أحداثها من جوانب وأبعاد ذات وقع مأساوي أليم مما قلَّ نظيرها في التاريخ البشري، ومن هنا حاول البحث الخوض في مسألتين متداخلتين: الأولى انطواء بعض القصص القرآني على محفِّز الرثاء[1] العاطفي بكل ما يحمل من الشحن العاطفي النفسي المراد إثارته عند المتلقي كي يعيش السامع الحزن والغصة والألم حين يكون وجهاً لوجه مع حدث القصة القرآنية بتأثيريها العاطفي والعقلي، والأمر الآخر هو الإفادة من التوظيف القرآني في نقل المأساة الحسينية ومراثيها إلى العالم انطلاقاً من المسوغ القرآني، بعد دراسة بعض القصص القرآني والخوض في مداليلها السياقية التركيبية داخل النص القرآني بغية الوصول إلى الوسائل التوظيفية –سياقياً ودلالياً- كعناصر تعبوية لعملية الإثارة العاطفية في المتلقي.

فالبحث محاولة لمزاوجة بين الرثاءين القرآني والحسيني لكي تنطلق مراثينا الحسينية التي تلقى على المنابر من منطلق قرآني سواء في الإثارة العاطفية أم في طول أمدها، فيكون لنا مرتكز قرآني تأصيلي يؤسس لهذا الرثاء ويثبته على طول الخط الحسيني منذ شهادة الحسين عليه السلام إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله تعالى من الزمان، لا سيما أنَّ الحسين عليه السلام وقضيته انطلقت من القرآن حين ارتدى ثوب الإصلاح ليرأب به صدع الأمة الخانعة، ولذا لم يكن تحرك الحسين عليه السلام نتيجة ردة فعل معينة بل كان خروجه بغية أنْ يخلق في الأمة ردود الفعل المناسبة[٢]، أي كان تحركه بمنهج إصلاحي قرآني، فحري بنا أن يكون رثاؤنا إياه وندبته وبكاؤه من رحم القرآن الكريم.

وهنا أود الإشارة إلى أن مقتضى البحث الكمي والنوعي هو ما أجبرني على الاكتفاء بهذه الصور الثلاث ولا مسوغ آخر وسأحاول أن أدرس الصور القرآنية- بعد الاستقراء التام لها- تفصيلاً في كتاب وذلك في قابل أيامي ما مكّنني ربي لذلك.

الصورة الأولى

قصة هابيل و قابيل

قال تعالى:﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ،لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾[٣]

تصور الآية الشريفة حدثاً تاريخياً وقع في غابر الأزمنة بين ابني نبي من أنبياء الله تعالى هو آدم عليه السلام، وينطوي هذا الحدث على جريمة قتل حين أقدم قابيل ابن النبي على قتل أخيه هابيل بعدما وقع تحت تأثير الحسد المميت حين قبلت السماء قربان أخيه دون قربانه، و(القُرْبانُ بالضم:ما قُرِّبَ إلى الله، عزّ وجل وتَقَرَّبْتَ به، تقول منه:قَرَّبْتُ لله قُرْباناً)[٤]، ولذا تمثل القصة بتفاصيلها المثال الجلي والواضح للصراع الدائر في البشرية بين أهل الصلاح والهدى وبين أهل الانحراف والضلال.

اعتمد الخطاب القرآني في هذه القصة التاريخية على إثارة المنبه العاطفي لدى المتلقي بعد توفير أكبر كمية من الشحن العاطفي يتجلى ذلك في سرد تفاصيل القصة من دون الوقوف على حيثية الجريمة فحسب، أي جمعت الآية بين السبب والنتيجة، وهي طريقة لا يراعيها القرآن الكريم كثيراً، لأنه يذكر بعض الأحيان النتيجة النهائية للموت ويذكر أحياناً المعركة وأداة الجريمة[٥]مما يثير مكامن الحزن عند المتلقين وهذا ما تبتغيه الآية الشريفة، هي أن تضع المتلقي في صورة الحدث المأساوي لغرض ربطه بالمبادئ والأهداف التي يرسمها القرآن بوصفه أدباً فريداً من آداب الحوار وهو من أفضل أنواع الأدب القرآني[٦]، مع الإشارة إلى إنّ القصة بجانبها النوعي تركز على المحفز الكمي لدى سامعيها، أقول:سامعيها لأنّ الآية توخت التركيز في نشر أبعاد الجريمة من خلال النغم الصوتي كوسيلة للتعبير المسموع، أي معتمدة على الآية المقروءة، ولذا قالت:(وَاتْلُ) ، والتلاوة تعني القراءة لا الكتابة، ولذا يقول الخليل(ت١٧٥هـ):(تلا فلان القرآن يتلو تلاوة)[٧]، وذهب الفيروزآبادي(ت٨١٧هـ) المذهب نفسه بقوله:(القرآنَ أو كلَّ كلامٍ تِلاَوَةً، كَكِتَابةٍ :قَرَأتُهُ)[٨]، فأصبح عامل التأثير العاطفي المتوخّى من الآية يركز الآية بوصفها منطوقة مسموعة لا مكتوبة مقروءة.

أما المحفز الكمي لآية القصة فيمكن فهمه بعد استنطاق الضمير المتصل الذي جاء في محل جر بحرف الجر وهو الضمير(هم) المجرور بحرف الجر(على)في قوله تعالى:(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ)، فضمير الهاء المجرور لا يتضمن

طائفة بعينها ولا ملة بذاتها بل هو ضمير يدل على العاقل، ودلالة العاقل فيه ليست حكراً على المسلمين فحسب وليست خاصة بزمان دون آخر لأن عالمية القرآن تقتضي أن يكون الحدث القصصي صادحاً ومسمعاً كل من يأتي من العاقلين ما دامت الحياة، وبما أنَّ النص القرآني مطلقاً فلا تقييد في المقام لأن التقييد يحتاج إلى مؤونة زائدة على الأصل السياقي وهو ما يعرف بالدليل أو القرينة السياقية الصارفة كي تعمل على صرف اللفظ من الإطلاق إلى التقييد، ولمّا جاء النص خاليا من التقييد فيبقى الإطلاق على إطلاقه في إرادة عموم العاقلين لا فئة بعينها وهذا هو مراد الأصوليين في المطلب[٩].

وذكرت الآية الشريفة أن هذه القصة هي من القصص الحق من خلال إيرادها الجار والمجرور (بالحق)، إذ أن شبه الجملة جيء به لرفع الشبهات عن الحدث التاريخي وما أضيف إليه من خرافات وبدع كي يضع القرآن بين يدي المتلقي القصة الحقيقية بلا شوب أو لبس، وقد ذهب الزمخشري(ت٥٣٨هـ) إلى بيان متعلق الجار والمجرور مذاهب أربعة:

١- الجار والمجرور متعلق بالتلاوة أي أن القصة التي ستتلوها عليهم متلبسة بالحق والصحة.

٢- إنه متعلق بالنبأ الذي تضمنته القصة وهو نبأ منطوٍ على الصدق وموافق لما جاء في كتب الأولين.

٣- متعلق بالغرض الصحيح الذي كان علّة لهذه الجريمة وهو تقبيح الحسد ذلك لأن المشركين كانوا يحسدون النبي الأكرم

٤- متعلق بالفاعل المستتر وجوباً في فعل الأمر (اتلُ) أي هو متعلق بالنبي الأكرم بوصفه المخاطب فيه فيكون التقدير (اتلُ عليهم وأنت محق صادق)[١٠]،

وتأتي الوظيفة الصوتية من خلال الأصوات اللغوية التي اعتمدها النص الكريم كونها عملية استثمار سياقية تسهم في رفد أجواء الحدث والتي يعبر عنها ابن جني(ت٣٩٢هـ) أنها(أصوات الحروف التي تأتي على سمت الأحداث المعبر عنها)[١١] كي تخلق الجو المنسجم مع حدث القصة الرثائي المشوب بأول جريمة في التاريخ البشري، ليدل صوت القاف على طبيعة الانسجام الصوتي بين السياق والحدث كي يرسم صورة القتل المهولة، لأن السياق يستمد دلالته من القوة التي تأتي عليها المفردات الصوتية لتأدية المعاني المتوخاة [١٢]، فقد استعمل صوت القاف عشر مرات في الآية الأولى وذلك في الكلمات الآتية على التوالي:بالحق، قرّبا، قرباناً، فتُقُبِّل، يُتقبَّل،قال ،لأقتلنّك، قال،يتقبّل، المتقين، ويتميز صوت القاف كما يرى سيبويه(ت١٨٠هـ):بأنه صوت مجهور شديد يمتنع الصوت فيه أن يجري[١٣]، وأن مخرجه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى[١٤]، ولذلك يسمى في الدرس اللغوي الحديث بالصوت الانفجاري[١٥] لأن خروجه من المجرى الصوتي يتم بعد أن يتصل اللسان بأدنى الحلق بما فيها اللهاة مما يجعله يخرج فجأة فيؤدي بخروجه صوتاً انفجارياً شديداً، ولعل هذه الطبيعة المخرجية لصوت القاف مما تنسجم صوتياً مع طبيعة الحدث القرآني، وقد أفاد صوت القاف من صوت اللام الذي شاركه في التزاوج الصوتي المكرر لمرونته وسهولته في عملية النطق كونه صوتاً -وإن كان مجهوراً كما يراه سيبويه - ليس من الأصوات الشديدة التي يحتبس بها الصوت حال الخروج غير أنه صوت منحرف لأن اللسان ينحرف فيه مع النطق[١٦]، فانفجارية صوت القاف متعكّزاً على مرونة صوت اللام أسهمت في رسم اللوحة الرثائية للقصة القرآنية ، لا سيما في الآية الأولى لأنها اشتملت على القرار النهائي الذي عزم قابيل على فعله وهو القتل الذي لا بد منه،

فصوت القاف وتكراره في الآية الأولى يوحي للسامع كيف حيكت خيوط الجريمة الأولى في تاريخ البشرية، وهذا الأسلوب القرآني الفريد في توظيفه كافة المعطيات اللازمة لرسم اللوحة الفنية بجوّها الرثائي كي تقع في طريق التأثير المنشود، كون المقام الحالي للقصة يعتمد البلاغة الصوتية كواحد من مرتكزات التأثير العاطفي لدى المتلقي.

وهنا أودُّ أنْ أشير إلى حال القاتل والمقتول وكيف تعاطيا مع الموقف المصيري، فلم يكن لهابيل علاقة خاصة ذاتية في قبول القربان وعدم قبوله لأنَّ النّار السماوية هي ما اختار قربانه بأمر من بارئها، ولذا فهو لم يرسم حتفه بيده بل أراد أنْ يحيا، بيد أنه كان ضحية حبِّ الله تعالى له فهو يمثل البراءة المحضة الصادقة، في حين أن أخاه لم يجد له تفسيراً غير الفتك بأخيه، ولذا كان ردُّ قابيل على موقف القربان هو قوله:(لأقتلنَّك) وهو موقف محتوم توفرت أسبابه الشيطانية في رأسه بدلالة تضمين الفعل المضارع الواحد توكيدين، توكيد اللام المشعرة بالقسم ونون التوكيد الثقيلة، كي يعبر الفعل المضارع المشبع بالتوكيد -بضميمة الانسجام الصوتي -على أن لا مناص من القتل، فالآية واضحة معالمها حين صوَّرت سرعة اتّخاذ القرار الجريء، وأنَّ هذا القرار هو القتل لا غير، مما يكشف أنَّ الحسد قد استولى على قلبه الحقود فلم يمنّيه بالفرصة الكافية للحل البديل، أما رد هابيل البريء فكان﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ليكشف عن براءته الصادقة حيال قبول القربان، فيقول له: إن التقوى هي معيار ذلك القبول الإلهي ولستُ أنا، فعلّة القتل هي القبول وليس هابيل، مع أن هابيل كان أقوى وأشجع من قابيل لكنه تحرج واستسلم مخافة من الله تعالى[١٧].

ويستمر حديث الأخ البريء ليعبر عن خصاله الطاهرة الخالية من أمراض النفس الذميمة، وهي أنه لا يقدم على قتل أخيه حتى لو أقدم أخوه قابيل على ذلك لأن خوف الله تعالى يمنعه كما يصورها القرآن في قوله:﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، وهنا دلالات ثلاث أود الوقوف عندها:

١- جاء فعل الشرط في الجملة الشرطية فعلاً ماضياً هو الفعل(بسطتَ) في حين أنَّ جواب الشرط جاء صفةً اشتقاقيةً هي اسم الفاعل(باسط)، وذلك (ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع، ولذلك أكده بالباء المؤكدة للنفي)[١٨]، خاصة أنَّ اسم الفاعل من الصفات التي تدل على الدوام والثبوت، على خلاف الأفعال التي تدل على الحدوث والتجدد والتغير بتغير الأزمان والأحوال، أي أنّ اسم الفاعل صفة لا تنفكُّ عن موصوفها، ولذلك يسميّه الكوفيون بالفعل الدائم[١٩]، أي تدل على ثبوت معناها من صاحبها ثبوتاً دالاً على الدوام، وقد دعا هابيل إلى العدول من الفعل إلى الاسم كونه لم يرد أنْ يكون القتل متصلاً به وواقعاً منه بل أنَّ القتل واقع من قابيل لا غير[٢٠].

٢-وقع تقديم وتأخير سياقي مقصود بين شبه الجملة(إليك) وكلمة(يد)، ففي جملة فعل الشرط قدّم الجار والمجرور على اليد حين قال:﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ﴾، بينما قال في جواب الشرط: ﴿ مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ ﴾، مع أنَّ (يد) في السياقين وقعت معمولةً كونها مفعولاً به في كلا السياقين، للفعل الماضي في الجملة الأولى، ولاسم الفاعل في الجملة الثانية، لكنها فُصلت عن عاملها في الأولى بالجار والمجرور، وضامّت عاملها في الثانية، كي تدل على أنَّ هابيل كان سخياً وعطوفاً على أخيه القاتل حتى في طريقة الخطاب والمحاورة بينهما، فلأنه رأى أخاه حريصاً وممعناً وعازماً على الاعتداء عليه، لذا قدم كلمة(إلي) وأخّر آلة البطش وهي

اليد، ولمّا كان هابيل غير حريص ولا عازما على الفتك بأخيه أو الاعتداء عليه نافياً ذلك عن نفسه، لذلك قدم آلة الاعتداء وهي اليد على شبه الجملة[٢١].

٣- ورد اسم الفاعل (باسط) عاملاً في السياق القرآني بعدما توفّر شرطا عمله، وهما مجيئه معتمداً على نفي أو استفهام أو يأتي خبراً أو صفةً أو حالاً أو منادى، أي أن عمله يعتمد الدلالة النحوية السياقية لا الصرفية الوضعية بعدما يضامّ الكلمات الأخرى، وهنا جاء اسم الفاعل خبراً لـ(ما) الحجازية النافية العاملة عمل الفعل (ليس)، أي توفّر واحد من شرطي عمله، لاسيّما أنَّ خبر (ما) الحجازية جاء مجروراً بحرف الباء الزائد وهذا النوع من الجر يختص بالدخول على خبر الفعل (ليس) وأخواته، يضاف إلى هذا أنَّ من لوازم عمل اسم الفاعل دلالته على الزمن الحالي والاستقبالي وإلّا فلا يكون عاملاً على رأي البصريين[٢٢]، وهنا يتأكد أنَّ هابيل كان يريد نفي صفة القتل عنه تجاه أخيه القاتل على كل حال وفي زمني الحال والاستقبال لأن صفتي البراءة والكرم اللتين يتحلى بهما ليستا صنيعة الظرف الحالي، وهذا النفي ليس نوعاً من الخضوع والتذلل لدفع القتل عنه، لأنه صار مقتنعاً أنّ أخاه لا يحيد عن عزمه، لذلك أراد أن ينفي عن نفسه مد يده لأخيه كونه يحمل في قلبه الخوف من الله تعالى، ذلك الخوف الدائم بدوام الحياة لشخص هابيل، ولذا هذا المعنى مما يتناسب-قطعاً- مع استعمال اسم الفاعل الدال على الثبوت والدوام.

ولعل من المناسب لهذا المعنى أنَّ جواب الشرط ﴿مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ﴾ جاء خالياً من فاء الجزاء ليدل على معنى الدوام التي يتحلى بها هابيل في كونه لا يتصف بصفة بسط اليد لقتل أخيه، حين يوحي للسامع أن جواب الشرط ليس معلولاً لفعل قابيل في قتله إياه فحسب بل هو صفة لا تنفك عنه، أي أن الآية اشتملت على حذف فاء الجزاء[٢٣].

بدا واضحاً بعد مناقشة البعد الدلالي للآيتين الشريفتين أن الرثاء من مبتنيات الثقافة القرآنية فهي ليست مباحة كما يتضح بل هي مطلوبة لأن القرآن الكريم يرى أن الرثاء إنما هو سنة كونية إلهية ، بدلالة قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾[٢٤] ، حيث يُفهم من الآية الشريفة أن عدم بكاء السماء على شخص معين هو توهين وتحقير له، بدليل أن الآية جاءت في سياق الحديث عن هلاك فرعون وجنوده وما آلت إليه أحوالهم بعد غرقهم، فلم تكترث السماء لمهلكهم، في حين أن الطبري(ت٣١٠هـ) في تفسيره للآية الشريفة نفسها يقول:إن السماء بكت على الحسين عليه السلام وبكاؤها هي حمرتها[٢٥]، وأن ابن عساكر(ت٥٧١هـ) ذكر أن السماء بكت دماً على الحسين واستمر المطر الأحمر سبعة أيام ينزل على البيوت والجدر[٢٦]، وأن السماء اسودت بعد مقتله وظهرت الكواكب نهاراً حتى شوهدت الجوزاء عند العصر، وصارت السماء سبعة أيام بلياليها كأنها العلقة، وما رفع حجر إلاّ ووجد تحته دم أحمر[٢٧] ، فوجود الرثاء في الجو القرآني أسلوب يهدف إلى التضامن مع المظلوم والتنديد بالظلم والظالمين[٢٨]، ولا علاقة له من قريب أو بعيد بالشحن الطائفي البغيض، لأن التأصيل القرآني للمراثي الحسينية والتأكيد عليها بوصفها من شعائر الله تعالى يضع المبرر العقلي لتشريعيها بل والحث عليه لأن بكاء السماء على الحسين عبارة عن حدث تكويني يستبطن دعوة عالمية للبكاء عليه ورثاءه ولعن قاتليه، خاصة أن جريمة قتل الحسين أشنع بكثير من جريمة قتل هابيل التي ذكرتها الآية الشريفة، مع كون كل من الحسين وهابيل من أولاد الأنبياء.

فنحن مدعوون –إذاً-أن نتلو الظلامة على السامعين مهما كانوا وأينما كانوا، مع اعتماد الأساليب التي تفضي

إلى استدرار عواطف السامعين بتوفير الشحن العاطفي عند الخطاب، كما هو حال القرآن الكريم في قصصه.

وإليك هذه الصورة الرثائية الحسينية البريئة التي تنسجم مع قصة هابيل الحزينة يجسدها قول الإمام الحسين عليه السلام التاريخي مخاطباً قاتليه:يا ويلكم أتقتلونني على سُنة بدلتها؟ أم على شريعة غيرتها؟ أم على جرم فعلته؟ أم على حق تركته؟. فقالوا له: إنا نقتلك بغضاً لأبيك[٢٩].

وهي براءة صادقة طاهرة سجلها الحسين عليه السلام في كربلاء حين خاطبهم بهذا الخطاب الصادق يكشف فيها بأنه مقتول لا محالة حين ابتدأ كلامه بتعنيفهم وتقريعهم معقباً بالفعل المضارع الدال على حتمية القتل بقوله(أتقتلونني) وفيه دلالة التصميم الواضح منهم على قتله لذلك لم يسألهم عليه السلام إن كانوا سيقتلونه أم لا بعدما رآهم قد أحكموا عليه الخناق فلم يتركوا له منفذاً غير قتله ومن معه، ولكنه صار يسأل عن سبب قتله، بعدما آمن أنه مقتول لا محالة شأنه شأن البراءة التي انطوى عليها صدر هابيل حين آمن بمقتله غير عالم بالسبب، ومن هنا صار الحسين يستنطقهم عن سبب قتله، ليشعرهم بصدق نيته المسالمة وأنه ليس نداً أو خصماً لهم، فجاء جوابهم الجازم بما هم عازمون عليه بأننا (نقتلك) بغضاً لأبيك، أي أن القرار اتخذ وانتهى الأمر كقرار قابيل في قوله (لأقتلنّك)، ولكنّ قتله عليه السلام ليس للأسباب الأربعة التي ذكرها لهم أي المتعلقة بشخص الحسين عليه السلام بل هم قاتلوه لجريرة بغضهم لأبيه لا لجريرة أبيه، ويبدو أنّ البغض لعلي عليه السلام لم يكن منشأه علي عليه السلام نفسه بل منشؤه المبغضون له بدلالة قولهم نقتلك بغضاً لأبيك، فليس لعلي عليه السلام جريرة تقتضي البغض سوى البغض نفسه وإلاّ لذكروها، أي هم يكشفون عن قلوبهم الحاقدة بقولهم هذا فبغضهم لعلي عليه السلام هي الضريبة التي يدفعها الحسين من نحره الشريف.

وللحظة تأمل في قول هابيل : ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ ﴾، نجدها توصل لمنع الحسين عليه السلام مسلم بن عوسجة حين رام أن يرمي شمراً، مخاطباً إياه بقوله:لا ترمه فإني أكره أن أبدأهم بقتال[٣٠]، فلأنه عليه السلام ذو منهج إصلاحي فهو يكره أن يبدأ قتالاً لأنه لم يأت من أجله بل من أجل الإصلاح، بدليل أنه يكره أن يبدأ بمطلق القتال مهما تنوعت أبعاده ومشاربه يستدل على هذا الإطلاق تنكيره للفظ القتال ليكشف عن الإطلاق من خلال التنكير، مما ينسجم تماماً مع قول هابيل: ﴿ مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ ﴾.

الصورة الثانية

حزن يعقوب عليه السلام

تتمحور قصة نبي الله يوسف عليه السلام في إطار القصص التامة السرد لاشتمالها على تفاصيل الأحداث المنطوية عليها القصة تاريخياً فلم تقف عند مأساوية الرثاء القصصي كجوٍّ قرآني خاص، بل راحت تسرد حيثيات ومجريات ما آلت إليه حياة يوسف النبي بعدما كاد أن يذهب ضحية الحسد البغيض على يد إخوته لأبيه، وهو ما سأحاول توظيفه فقط مكتفياً به من دون الخوض في بقية مجريات القصة لما سيفي غرضاً كمعطى توظيفي للرثاء الحسيني فيما بعد، حين يتجلى فيها الصراع الدائر بين الحقد والبراءة كي يكون درساً للأجيال لفهمه واحتذائه، وهذا ما أرادت القصة أن تؤسس له بعدما ختمت الآيات بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾[٣١]، وأي درسٍ أكثر تأثيراً وعبرةً من أن يجتمع مجموعة من الأفراد لإهلاك أخيهم الضعيف البريء بدافع الحسد، لا لشيء سوى حب أبيه له، فليس له دخل في ذلك الحب، لكن الحسد أعمى بصر

أخوته وبصيرتهم، بيد أن الضحية الحقيقة لهذا الصراع لم تكن داخلة فيه إنّما هو الأب الشيخ الكبير العاشق لولده المغيّب عنه قسراً، فغيّب أبناؤه عنه حبيبه الصغير ليكون الأب ضحية هذا الغياب المرير، فيأتي القرآن الكريم ليصفه بأسلوب رثائي حزين بقوله:﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ، قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ، قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[٣٢].

إذ يتلخّص مغزى الآيات السابقة أنَّ ألماً جديداً مني به نبي الله يعقوب عليه السلام حين غُيِّب عنه الابن الآخر (بنيامين) وصار بعيداً بعدما أُخذ بجريرة وتهمة دبّرها أخوه يوسف عليه السلام له ليستبقيه عنده، وما صاحب هذا الاستبقاء هو قرار أحد أبنائه -الذي هو الابن الأكبر- أنْ لا يعود إلى الديار حتى يأذن له أبوه، لأنه كان يشعر بالندم حيال أخذ بنيامين بعدما آتوا أباهم موثقاً وعهداً على أن يرجعوا أخاهم الأصغر معهم، ومن هنا صار هذا الحدث جرحاً جديداً يضاف إلى مصابه بفراق يوسف عليه السلام، لا سيما أنَّ بنيامين كان الأخ الشقيق ليوسف عليه السلام من أمه وأبيه وكان نبي الله يعقوب عليه السلام يجد فيه السلوى والعزاء عن أخيه يوسف عليه السلام، ولذلك لما وصله خبر استبقاء بنيامين لدى عزيز مصر، من قبل أخوته العائدين قرر أنْ يتولّى عنهم، أي يتركهم ويهجرهم، يُستدل على هجرانه إياهم أن الفعل (تولّى)- كما يقول الراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ)-(إذا عُدِّيَ بنفسه اقتضى معنى الوَلَايَةِ، وحصوله في أقرب المواضع منه يقال:وَلَّيْتُ سمعي كذا...وإذا عُدِّيَ بعن لفظاً أو تقديراً، اقتضى معنى الإعراض وترك قربه)[٣٣]، فتولى عنهم تركهم وهجرهم بعدما فتق هذا الحدث الجديد جرحه القديم بفقده لولده الذي غيبه أخوته العشرة، فهم وإن كانوا أولاده لكن جريرتهم صيّرتهم عنده ظالمين.

ومن هنا يمكن أنْ يعطي هذا الموقف القيمة المثلى -فيما بعد- كي لا يُداهن من يتسبب في ظلم الآخرين مهما كانت مكانته الاجتماعية أو قرابته أو منزلته ففاعل الظلم ظالم ويجب التنديد بفعله المشين وإن كان يحكم المسلمين كيزيد بن معاوية، لأن القرآن أمرنا أن نهجر ونشنّع أفعال الظالمين حتى لو كانوا من أبناء الأنبياء، بدلالة الموقف الذي اتّخذه نبي الله يعقوب عليه السلام إزاء ظلم أولاده لأخيهم حين تولّى عنهم، وقصة يعقوب عليه السلام من الدروس التي أمرنا القرآن الكريم أن نحتذيها ونسير في تعقل معانيها وتفهّمها ذلك أنَّه لم يأت بها جزافاً.

وهنا زاد النبي على هجرهم أنْ استذكر ولده يوسف بقوله:﴿ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ ﴾، كاشفاً عن وجده الشديد بهذا النظم السياقي الممتلئ حزناً وحسرة، فقد ضامَّ تركيباً بين مفردتين تحملان النغم الصوتي نفسه وهما:(الأسف، يوسف)، مجانساً بينهما مقترباً بهما إلى الجناس البلاغي لكنّهما اختلفا معنى وكتابة لذا لا يدخلان تحت عنوان الجناس-وإن تقارب مخرجهما الصوتي- بل يدخلان تحت ما يسميه الزركشي (ت٧٩٤هـ) بالاقتضاب، وهو كون الكلمتين لهما أصل واحد في اللغة[٣٤]، لأن مفردتي (الأسف ويوسف) تنتميان إلى جذر أو مادة اشتقاقية واحدة هي مادة(أسف)، الدالة معجمياً على شدة المبالغة في الحزن والأسى[٣٥]، المعتمل في صدر نبي الله عليه السلام، فالمجانسة حاصلة في المقام لكنها من نوع الاشتقاقية[٣٦].

ولشدة وجده وحزنه أضاف الأسف إلى نفسه بعدما ألحق الكلمة بياء المتكلم، لكن السياق القرآني حذف الياء مبدلاً إياها ألفاً مفتوحا ما قبلها، حيث أجاز النحاة هذا الحذف في النداء، ومن هنا يقول المبرد (ت٢٨٥ هـ):(كُلُّ

مضاف إلى يائك في النداءِ يجوز فيه قلْبُ هذه الياء ألفاً لأنَّه لا لبْسَ فيه وهو أخفُّ، وباب النداءِ باب تغيير)[٣٧].

ولعل اللافت للنظر هو كون الآية ذكرت أنَّ يعقوب النبيعليه السلام تأسّف وتحرّق وتألّم على يوسفعليه السلام مع أنَّ الحدث كان متعلقاً ببنيامين وأخيه الآخر لا بيوسفعليه السلام، فكان الأولى به أنْ يتأسف ويتألم على فراقهما لأنهما فُقدا للتو لا على يوسفعليه السلام الذي مرَّ على غيابه زمن طويل، والحق أنَّ نبي الله يعقوبعليه السلام أراد أنْ يشعر السامع أنَّ نار حزنه ووجده التي اكتوى بها قديماً على غياب يوسفعليه السلام قد أشعلت في صدره مجدداً، مع ألم الفراق الجديد، لأنه نكأ القرح القديم الذي لمّا يندمل، أو أنه أراد أن يفهمهم أن رزية يوسفعليه السلام هي أم الرزايا وأصلها، فكل رزية ما هي إلا دونها في المصاب بوصفها فرعاً من تلكم الرزية العظيمة[٣٨].

وهذا المستوى من التوجيه الدلالي لرزية يعقوب بيوسفعليه السلام بوصفه توظيفاً في الإطار التأصيلي للحزن والبكاء يعطي البعد التشريعي والتكويني لمشروعية البكاء بوصفه واحداً من آليات التعبير عن الحزن المعتمل في الصدور على سيد الشهداءعليه السلام، بل أكثر من ذلك حيث تحاول هذا القصة أنْ تركِّز استمرارية الحزن والبكاء على الحسينعليه السلام حين صار حزن يعقوب على يوسفعليه السلام لا يؤمن بالزمن ولا بمقتضى الحال ولا بأي داعٍ آخر، فالقصة ندبة –إذاً- للأجيال اللاحقة كي تستثمر معطياتها في الاتجاه الحسيني ما دامت الحياة، لا سيما أنَّنا مندوبون إلى تلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار، وهذا يعني أنَّ المسوِّغ الشرعي للبكاء والحزن والجزع على الحسينعليه السلام ليس له حد زمني ولا انقطاع، فهو دائم بدوام التلاوة القرآنية لهذه القصص الرثائية.

وفوق كل ذلك يمكن استثمار وتوظيف مصيبة الحسين عليه السلام بكل ما تحمل من حرارة حزن كي تكون الأصل المهيمن على كل مصائب أهل البيت، فكل فاجعة تمرُّ عليهم تعيد في الأذهان كربلاء وما جرى على الحسين وآل الحسينعليه السلام وصحبه فيها تمشياً مع المعطى القرآني الذي جعل مصيبة فقد يوسفعليه السلام عن يعقوبعليه السلام هي أم الأرزاء إذ ينفتح باب حزنها عند كل رزية، فكلُّ رزية تمرُّ على يعقوبعليه السلام إلا وهي دونها في الحزن، ولهذا أثرت فيه التأثير الذي أذهب بصره تفجعاً وحزناً وبكاءً على غائبه، ووصلت حاله إلى ما وصفه القرآن الكريم بقوله:﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾، أي ذهب سواد عينيه، وهي كناية عن العمى الذي أصاب عينيه نتيجة ذلك الحزن، إذ أن دلالة حرف الجر(من) في النص هي دلالة بيان العلة التي عميت بها عيناه، فـ(من) الجارة –إذاً- أفادت معنى التعليل هنا، وهو من المعاني التي قد يخرج إليها هذا الحرف أحياناً، ليوضِّح مع مجروره الداخل عليه علّة بياض عينيه وأن هذه العلة هو الحزن، إلّا أنَّ الحزن لا يكون العلّة الحقيقية لذهاب بصر الحزين لأنَّ الحزن حالة نفسية يمر بها الإنسان لا تكون إلا سبباً لغمه وبكائه لما يثيره في الصدر من لواعج وشجون واكتئاب، ولمّا كان البكاء هو ما يكون علّة مباشرة لنزول الدموع من العينين ومن ثم إلى بياضهما مع كثرة البكاء فيكون الحزن –والحال هذه- علّة العلة لبياض العينين وليس العلة المباشرة لبياض العينين، ولكن القرآن الكريم تجاوز هذا التسلسل العللي في الحدث من خلال الاعتماد على طبيعة النفس البشرية إزاء حالة الحزن وما تؤول إليه من بكاء يفضيه ذلك الحزن، لأن النتيجة واحدة في نهاية الأمر.

ومع ما كان يذرفه النبي يعقوبعليه السلام من دموع على ما جرى عليه لكنَّه كان(كظيما) يحبس حزنه ولواعجه وأحزانه في صدره فلا يبثها إلا بواسطة الدموع المالحة، لتعبِّر الصفة عن ثبات في موقفه الحزين تجاه الآخرين

كونه لا يُظهر حزنه لغيره إلا بدموع عينيه، لأنه كظيم، وهذه الصفة من حيث الصيغة الصرفية تحمل مدلولاً سياقياً نحوياً، هي صفة الثبوت والدوام وأنها لا تنفك عن يعقوب عليه السلام، ولذا ذهب فيها المفسرون إلى أنها صيغة (فعيل) لكنها تحمل دلالة اسم الفاعل، أي هم كظيم بمعنى كاظم، أو أنّها تحمل دلالة اسم المفعول فتأتي بمعنى مكظوم[٣٩]، إذ لا يمكن أنْ تحمل الصيغة دلالة الصفة المشبهة -كما يُستشم منها- لأنَ الصفة المشبهة تشتق من الفعل اللازم لا المتعدي والحال أنَّ الفعل (كَظَمَ) من الأفعال المتعدية، وأمّا الفرق بين الدلالتين هو فرق بين الفاعلية والمفعولية، فلو كانت الصيغة تدل وتحمل معنى اسم الفاعل(كاظم) فهذا يعني أنَّ كظمه لحزنه كان بقصدٍ منه واختيار لصدور الكظم منه شخصياً، فهو كاظم على حزنه لنفسه فلا يظهره لغيره، وهذا المعنى مما يناسب حال النبي يعقوب عليه السلام لنبوته، وأما إذا كان المعنى بدلالة اسم المفعول فهو يدل على أن صدره ممتلئ بالحزن والهم بل والحنق على أولاده بعدما تذكر فعلتهم بأخيهم الأصغر يوسف عليه السلام.

ويحاول بعض أهل بيته ممن قبل مجالستهم أن يُظهر شيئاً من العطف والرفق بحال يعقوب عليه السلام مصحوباً بشيء من الندامة على حاله الحزينة، فيصور القرآن الكريم حال رفقهم بأبيهم بقوله: ﴿قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾، وقولهم:(تفتأ) أي (لا تفتأ) يريدون أنَّك لا تنسى ولا تزال تذكر يوسف عليه السلام، حيث أنَّ الفعل (تفتأ) من الأفعال الناقصة المصاحب للنفي دائماً ومما يعمل –نحوياً- عمل الفعل (كان)، لكنه يكثر فيه التخلّي عن نفيه حين يقع جواباً للقسم[٤٠] ويأتي مثبتاً دالاً على معنى النفي، لأن دلالته تتغيَّر حين يقع مثبتاً فلذلك يأتي في جواب القسم مثبتاً على نية النفي كما هو الحال في الآية الشريفة، ويتجلّى معه دور الأداء الصوتي للتمتمة التائية الكاشفة عن استعطافهم واسترحامهم للشيخ الكبير الذي أنهكه فرط البكاء، ذلك الاستعطاف المحفوف بالندم على ما جرى عليه يتبين بواسطة التكرار الصوتي لحرف التاء ذي المخرج اللساني الأسناني[٤١]، فمخرجه قريب من الشفة ليصور حال الحزين المكظوم [٤٢]، وهذا التناغم الصوتي بين اللفظين يُعرف عند أرباب البلاغة بـ(ائتلاف اللفظ مع اللفظ) وهو كون ألفاظ العبارة على وتيرة واحدة من الغرابة والتأمل، إذ أنه (لَمّا أتى بالتاء التي هي أغربُ حروف القسم، أتى بـ﴿تَفْتَأُ﴾ التي هي أغربُ أفعال الاستمرار)[٤٣]، فتكرار صوت التاء في هذا التركيب تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ تكرارا ملحوظا مشعرا بوجل وخوف على حال أبيهم، بدلالة قولهم:﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً﴾، إذ يخشون عليه أن يكون حرضاً أي مشارفاً على الموت بسبب البكاء، أو تكون نهايته الهلاك وهذا ما لا يتوخونه لأبيهم الحزين، لكنه خاطبهم -بغير اكتراث لعطفهم عليه- بقوله:﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾، موضحاً لهم أن الذي يعتلج في صدره ليس حزناً فحسب بل هو همٌّ لا يطيقه سواه، ولذا عبر عنه بالبث، ومن هنا صار غياب يوسف المتطاول عنه شريكاً بين صدره الكظيم وعينيه الدامعتين ولسانه الشاكي إلى الله تعالى.

ولعل حالة العمى التي آلت إليها حال نبي الله يعقوب عليه السلام وخشية ذويه عليه من الهلاك تعد مسوغاً شرعياً -بتأصيل قرآني- لأجل إطالة أمد الحزن والبكاء على الحسين عليه السلام، ولا مانع – كما يبدو من القصة- في إذهاب البصر بكاءً وحسرة وتفجعاً عليه، خاصةً أنَّ بصر يعقوب عليه السلام ذهب على ولده الحي الذي لم يمت ولم يذبح مع أهل بيته وصحبه، وعلى هذا يكون الحزن على الحسين عليه السلام بالأولوية القطعية لأن فاجعته ليس لها نظير

في التاريخ البشري، فالبكاء على الحسين عليه السلام قضية جوهرية نابعة من صميم الإسلام وهو من مصاديق قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾[٤٤][٤٥]، لاسيما إذا استمعنا إلى كلام ولده الإمام زين العابدين عليه السلام حين عوتب -من أحد أصحابه- على طول الحزن والبكاء على أبيه ، فأجابه الإمام بقوله:(ويحك إنَّ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام كان نبياً ابن نبي كان له اثنا عشر ابناً فغيَّب الله سبحانه واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم، وذهب بصره من البكاء وابنه حي في دار الدنيا، وأنا فقدت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي)[٤٦]، فقد وظَّف الإمام الأصل القرآني المتضمن قصة يعقوب عليه السلام ليعطي للسائل الدليل القرآني على أصل هذا البكاء في الحسين عليه السلام، فتجد أنه أفاد من القصة القرآنية لكي يعطي البعد التشريعي غير المانع من طول فترة الحزن والبكاء على الحسين عليه السلام وإدامتهما، لأن وجود القصة في القرآن الكريم يعني أنها مطلوب انتهاجها والإقتداء بها وتوظيفها لما يناسبها على طول الخط البشري، ومن هنا اعتمدها الإمام عليه السلام في مقام الرد على معاتبيه في كثرة بكائه، وجعلها وثيقة تشريع لحزنه المتطاول، وقد أفاد أحياناً حتى من الكلمات التي تضمّنتها آيات القصة كي يقتبس منها النصوص التي تناسب حزنه على أبيه، فقد خاطبه مولى له مشفقاً عليه بقوله:(جعلت فداك يا بن رسول الله، إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين. ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة)[٤٧]، فلم يوظِّف القصة القرآنية لحزنه وبكائه فحسب، بل اقتبس النص القرآني المناغم لما هو عليه، خاصة أنَّ الإمام زين العابدين ونبي الله يعقوب كانا ضحية الصراع الدائر بين البراءة والانحراف أو الفضيلة والرذيلة، وكانا أبرز مكتوٍ بنار ذلك الصراع لأنّهما تحمّلا أعباء حزن طويل على رمزي الخير اللذين سيقا إلى مذبح الطاعة، على اختلاف بين نهاية يوسف عليه السلام السعيدة ونهاية الحسين عليه السلام الدامية.

الصورة الثالثة

قصة أصحاب الأخدود

﴿وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ، وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ، وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ، قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[٤٨].

تفتتح سورة البروج المباركة آياتها الشريفة بقسم قرآني متكرر يعطي دلالة الاهتمام بالموضوع المقصود، فتبتدئ السورة سياقها النصي بسلسلة من المقسمات دون الولوج في الغرض الأساسي لتجعل هذا القسم الرباعي المكرر النافذة التي يُطل بها على الغرض الأساس، كي يعيش القارئ والسامع حالة الترقب السياقي إزاء جواب القسم الذي سيُفتح له بدافع تشويقي طالما ألفناه في التراكيب القرآنية، كي يكون القسم موطئاً للمطلب المقصود، ليكشف السياق في النص الكريم عن كون صدر النص- وبالتحديد في الآيات الثلاث الإوَل- هو المقسم به، أي هو فعل القسم المقدَّر المدلول عليه- سياقياً- من خلال واو القسم والجر، فيقسم القرآن الكريم بمجموعة من المخلوقات المتباينة من حيث الشكل فهو يقسم-تارةً- بالسماء ذات الكواكب أو ذات النجوم المتلألئة، أو ذات المنازل الفلكية -تشبيهاً لها بالقصور- وهو المدلول اللغوي لمعنى البروج، ويقسم –تارةً أخرى- باليوم الموعود الذي هو يوم القيامة، ويقسم

بالشاهد والمشهود الذي ذهب فيه المفسرون مذاهب شتى حتى ذكروا أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة[٤٩].

ومهما يكن من أمر فسياق النص أعني سياق القسم –تحديداً-جاء على شكل نسق بلاغي بديعي سماه الباقلاني(ت٤٠٣هـ) بالموازنة [٥٠]، إذ يتساوى عنده الوزن في الفاصلتين دون القافية، فقد اتسق نسق الآيات الثلاث في صدر السورة من حيث الوزن، من دون مراعاة لتساوي الفاصلة القرآنية التي تسمى –شعراً- بالقافية، فتختلف فاصلة الآية الأولى عن فاصلة الآيتين اللاحقتين كما يتضح في الآيات ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ، وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ، وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾، فمع دور القلقلة الصوتية –كما يسميها علماء التلاوة-لصوتي الجيم والدال والمشابهة الصوتية لهما من حيث الشدة والجهر فهما يختلفان في طبيعة المستوى اللفظي والدلالي.

تنتقل الآيات الشريفة بعد ذلك إلى الغرض الأساس الذي سيق القسم من أجله أي تشرع في مقاصد النص الحقيقية بعدما تنتهي من التوطئة له بالقسم، كي تضع القارئ والسامع وجهاً لوجه إزاء الموضوع الرئيس وذلك في قوله تعالى:﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ الذي هو جواب القسم أو العلّة التي جيء بالقسم من أجلها.

وهنا أودُّ الوقوف على بعض الدلالات التي تفضي إليها الآيات الشريفة بما تحمله من الشحن الرثائي العاطفي لتوظيفها بعد ذلك في الرثاء الحسيني، وهذه الدلالات هي:

١- جواب القسم جاء فعلاً ماضياً دالاً على الدعاء أي هو جملة خبرية وردت في سياق إنشائي[٥١]، لأن الآية تضمنت دعاءً بالقتل على أصحاب الأخدود، فكأن السياق يقول: اقتلْ أصحاب الأخدود، فهو خروج دلالي عن مقتضى السياق القرآني وذلك بتوظيف الجملة الخبرية –الذي هو الفعل الماضي- لتدل على معنى الدعاء الإنشائي، كما ورد ذلك في قوله تعالى:﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾[٥٢]، وقوله تعالى:﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾[٥٣].

إذ يستفاد من دلالة الدعاء عليهم أن أصحاب الأخدود هم المحرِقون لا المحرَقون، كما يستفاد - أيضاً - أن فوراناً حصل في الغضب الإلهي حتى صار يدعو عليهم بالقتل، مما يعطي تصوراً واضحاً عن بشاعة ما جرى في ساحة الأخدود المأساوية بحق أناس مؤمنين عزّل، وكيف وقفت السماء متعاطفة معهم حين نقلت صورة قتلهم إلى الأجيال كي تُقرأ آناء الليل وأطراف النهار.

وهذا الأسلوب القرآني -المتعلق بتغيير دلالة الخبر إلى الإنشاء للدعاء على الظالمين- كان له حضور واضح في كلمات الحسين عليه السلام في بعض مواقف عاشورائه الدموية، منها حينما وقف على جسد ولده علي الأكبر ووجده دامياً ومعفراً بالتراب ومقطّع الأعضاء، قال عليه السلام حينها:قتل الله قوماً قتلوك يا بني، ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول، وانهملت عيناه بالدموع ثم قال:على الدنيا بعدك العفاء[٥٤]، وهو ما يعطي المعنى نفسه الذي دلت عليه الآية الشريفة في حجم الألم والرزية والمصيبة التي انطوى عليها قلب الحسين عليه السلام الرحيم حتى صار يدعو عليهم بالقتل، كيف لا وهو يرثي ويبكي أشبه الناس خَلقاً وخُلُقاً ومنطقا بالنبي الأكرم .

٢- صُدِّرت جملة جواب القسم بفعل ماض مبني للمجهول صيّرت فيه المفعول به نائباً عن الفاعل الذي هو قاتل القتلة، فتركت السياق هو الذي يختار الفاعل

الذي يريد معتمداً على القرائن السياقية المفضية إليه، ومع هذا يمكن توظيف دعاء الإمام الحسين عليه السلام المذكور بوصفه قرينة خارجية على الفاعل المحذوف حين نسب القتل إلى الله تعالى، في قوله عليه السلام: قتل الله قوماً قتلوك، وما أقساه من قتل حين يكون الخالق هو القاتل نفسه، فكأن الآية قالت: قتل الله أصحاب الأخدود.

٣- جواب القسم جاء خالياً من فاء الجزاء الدالة عليه، فيمكن التعرف على جواب القسم بقرينة السياق الكاشفة عن اهتمام النص القرآني بالحدث المسوق، ولذا يرى الزركشي أنَّ حذفاً وقع هنا هو فاء الجزاء ولام القسم، فكأن النص أراد أن يقول: لقد قُتل أصحاب الأخدود[٥٥].

٤- تأتي الظاهرة الصوتية في هذا النص القرآني لتسجل وجوداً خاصاً وحضوراً متميزاً يتزاوج كثيراً مع الحدث المأساوي للقصة، تتجلى هذه الظاهرة بصوت الدال المجهور الشديد الذي يحبس عنده المجرى الصوتي حال النطق به فلا يجري فيه الهواء، ولذلك يعد صوت الدال من حروف القلقلة في الدراسات القرآنية، والقلقلة هي حبس الصوت ثم إطلاقه[٥٦]، ويتميز هذا الوضوح الصوتي لظاهرة القلقلة في الصوت عند الوقوف عليه، وهذا ما أفاد منه النص القرآني لهذه الصورة الأليمة حين جاءت فواصلها القرآنية منتهية بحرف الدال الشديد كي تتناغم شدته مع بشاعة الصورة التي أراد النص أن يرسمها للسامع والقارئ، وذلك في كل من الكلمات الآتية: الأخدود، الوقود، قعود، شهود، مستفيداً من بلاغة المد الصوتية التي يولدها صوت المد السابق لصوت الدال وهو الواو لكي تكتمل لوحة التهويل المأساوي.

٥- مفردة (النار) –هنا- وقعت بدل اشتمال من الأخدود، ولذا جيء بها مجرورة بتبعية جرِّ المبدل منه في السياق، وبدل اشتمال يعني أنَّ النار ليست هي كل ما في الأخدود، فالأخدود قد تضمّن الوقود الذي هو موصوف النار، وهذا الوصف المخيف يعطي فهماً واضحاً عن كمية الوقود أو الحطب الذي كان يحتويه الأخدود، ولذلك ليس من شأن النار أن توصف بأنها ذات وقود، بل توصف بأنها ذات حرارة أو ذات إحراق، أما وصفها بأنها ذات وقود فهو دال على عظمة الإيقاد المعد لهذه النار إلى درجة أن صار الوقود موصوفاً لهذه النار، وقد يعطي مدلولاً آخر هو أنَّ الوقود المسبب للاشتعال ليس الحطب وحده، وإنَّما هي الأجساد التي ألقيت في النار لأن الأعداد كانت كبيرة جداً تصل إلى اثني عشر ألفاً وقيل سبعون ألفاً من المؤمنين[٥٧]، فتكون هذه الأجساد سبباً آخر يضاف إلى الحطب يسهم في ضخامة النار المشتعلة، بدليل أن القرآن الكريم أشار في سياق قرآني آخر أن الناس تكون لوقود جهنم في قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾[٥٨].

٦- لما كان الفعل المضارع من الأفعال الدالة على زمني الحال والاستقبال فهو كذلك في هذا السياق القرآني، فقد استعمل الفعل(يفعلون) في النص ﴿ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ ليدل على الزمنين، ومن هنا يمكن القول أنَّ حدث إحراق المؤمنين بالأخدود لم يقع مرة واحدة بل تكرَّر منهم مراراً للدلالة السياقية التي جاء بها الفعل المضارع (يفعلون)، خاصة أن الفعل بما هو فعل يدل على الحدوث والتجدد وهاتان الدلالتان مما تنسجم مع زمني الحال والاستقبال.

٧- (إذ) هو الظرف الزمني الذي حدث فيه قعود أصحاب الأخدود لمشاهدة عملية الإحراق، لذلك هو معمول ظرفي للفعل(قُتل).

فالقصة-إذاً- تتحدث عن مجموعة من المؤمنين ثبتوا على دينهم ولم يرضخوا لإرادة ملوكهم فكان عقابهم أنْ حُفر لهم شق كبير بطول أربعين ذراعاً وبعرض

اثني عشر ذراعاً[٥٩]، وتم ملؤه بالحطب ومن ثم أشعلوا النار فيه ثم جيء بالمؤمنين فأجلسوهم على مقربة من الأخدود ترهيباً لهم ولكي يتخلوا عن عقيدتهم، ولذا كان نصيب الثابتين على عقيدتهم الإلقاء في الأخدود لكي تلتهمه النار فيكون وقوداً لها.

ويبدو من سياق الآيات الشريفة وبعد الإمعان في قراءتها قراءة متأنية يستبطن السياق النصي ويذكر لنا أطرافاً ثلاثة اشتمل عليه هذا الحدث التاريخي البشع، وهذه الأطراف هم:

١- أصحاب الأخدود: وهو الطرف المشرف على أحداث الإحراق، وهم الذين قعدوا للمشاهدة والمعاينة والإشراف على أحداث حرق المؤمنين، ولما كان هؤلاء هم المشرفين على حيثيات الجريمة، فقد نزّلتهم الآية الشريفة تنزيل الفاعل حين قالت: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾، وأن توصيفهم بأصحاب الأخدود من خلال جعل الأخدود مضافاً إليهم يصور بشاعتهم إذ يعطي هذا الوصف بشاعة القتل الذي مورس بحق المؤمنين، والحال أنهم لم يباشروا حدث الإحراق بأنفسهم ولم يحتطبوا للنار بأيديهم، ولم يكونوا سوى مشاهدين لعملية الإحراق، ومع ذلك فقد أدينوا نتيجة ذلك، شأنهم في ذلك شأن قوم نبي الله صالح عليه السلام في حادثة عقر الناقة، فمع أن عاقر الناقة كان واحداً ولكن العذاب الإلهي طال الجميع، بعد أن نسب الله تعالى عقر الناقة للمجموع لا للفاعل فقط، لأنهم رضوا بفعل العاقر كما يصوره القرآن الكريم بقوله:

﴿ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا، فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴾[٦٠]، فالغضب السماوي لا يستثني أحداً لأن الشهود في حدث الجريمة لا يخرج الشاهد عن كونه ظالماً في نواميس الشريعة الإلهية لأن الراضي بفعل الظالم ظالم، والدليل على ذلك أنَّ هؤلاء الظلمة صاروا ظلمة لأنهم كانوا شهوداً على فعل الظلمة، ولذا لم يرض الحسين عليه السلام لأحد أن يسمع واعيته ولم ينصره مخافة أن يطاله الغضب الإلهي إنْ كان ميالاً إلى الراحة والدعة، ولذا قال -مخاطباً رجلاً أبى نصرته-:فوالذي نفس حسين بيده لا يشهد قتلنا اليوم رجل إلا دخل جهنم[٦١]، مما يتناسب تماماً مع نص الآية الشريفة ﴿ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾، ولذلك ورد في الزيارة (لعن الله أمة قتلتك ولعن الله أمة ظلمتك ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به)، إشارة إلى وحدة الهدف والمضمون في هذه الأصناف الثلاثة.

٢-الطرف الثاني هم الفاعلون والمباشرون لعمل الإحراق والذين عبَّرت عنهم الآية: ﴿ يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾، فالواو هو الضمير المتصل الذي يقع في محل رفع فاعل، ليدل على هذا الطرف والذي يتضمنه الفعل المضارع (يفعلون)، أي هم المنفذ المباشر وهم ظالمون كذلك لأنهم يقتلون المؤمنين بالحرق ولا مناص من شمولهم بالعذاب الإلهي ما دامت الجريمة تتعلق بدماء المؤمنين.

٣- الطرف الثالث هم المؤمنون الذين وقع عليهم الحيف والقتل لا لشيء سوى أنهم كانوا يؤمنون بالله والذين عبرت عنهم الآية الشريفة بقولها: ﴿ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾، لتعطي معنى البراءة للصفوة المؤمنة، كما أنها تجسد فوران الشفقة الإلهية على حرمة دماء المؤمنين[٦٢]

فهي كما يبدو لوحة وصورة فنية متكاملة الأبعاد بكل تفاصيلها تنقل السامع والقارئ إلى هذا المشهد المريب الحزين، بعدما وضحت فيه مسرح الجريمة الذي هو الأخدود المستعر بنار ذات وقود لا ذات لهب، حتى يُتعرف على بشاعة الصورة المؤثرة للمشهد الإحراقي حين يبين النص القرآني أن الطرف المشاهد جاء يتفرج

على ما يجري على المؤمنين الأبرياء، وكأنه حاضر في حدث ترفيهي تستطيبه النفوس وتستسيغه العقول، وليس مشهداً دموياً يقتل فيه الآلاف من أناسٍ أبرياء بلا جريرة لهم سوى الإيمان بالله تعالى العزيز، وهذا أيضاً تصعيد لعنصر الرثاء والحزن والعاطفة حين تسمع بأناس يتفرجون على آخرين يحترقون في النار، لكي يعطي للسامع المسوغ الشرعي والعقلي للحنق على الظالمين ولعنهم والتنديد بفعلهم لأن مأساوية القصة بهذا الرسم القرآني المثير لم ترد التركيز على مظلومية المظلوم فحسب، بل أرادت أن تصور بشاعة الظالمين حتى يشجبوا ويلعنوا على فعلهم هذا ولا ضير من لعنهم ما دام القرآن الكريم صار يدعو عليهم بالقتل مما يعطينا دليلاً على أنَّ التنديد بالظالمين مقدم على ذكر مظلومية المظلوم ولهذا قدم النص القرآني في صورة الأخدود الدعاء لقتل الظالمين على ذكر ما جرى على المؤمنين، ولا شكَّ أنَّ هذا التقديم لم يكن عفو الخاطر، فحدث الأخدود بكل ما يحمل في جنباته من صورة أليمة سيقت بهذا التنوع الرثائي الحزين هو عبارة عن عاشوراء مصغرة[٦٣]، تستثير في السامع والقارئ مكامن الحزن والبكاء على طول الوجود القرآني كي يكون وجودها دافعاً لنا للبكاء على مصيبة الحسين ورثائه لأنها تحمل من معاني البشاعة والقسوة على الحسين وأهل بيته ما يعجز العقل عن إدراكها حتى أن الراوي يقول في وصف قتلة الحسين:حتى كأن الله لم يجعل في قلب أحدهم من الرحمة شيئاً[٦٤].

الخاتمة

في ضوء الدراسة والتحليل في قصص الرثاء القرآني يمكن التوصل إلى النتائج الآتية:

١- يعتمد السياق القرآني على النص القرآني المسموع لا المقروء، ولذا جاء النص الخطابي في قصة هابيل وقابيل بقوله:﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾، فيكون هذا بمثابة المسّوغ الشرعي والعقلي التوظيفي للتأكيد على تلاوة المصيبة الحسينية على مدى الدهور.

٢- استثمار تولّي يعقوب عليه السلام عن أولاده نتيجة إقدامهم على ما فعلوه بأخيهم الأصغر في هجر ونبذ أفعال الظالمين كقتلة الحسين مهما كانت منزلتهم ما داموا ظالمين.

٣- توظيف بكاء يعقوب عليه السلام على ولده يوسف عليه السلام في إطار الشحن العاطفي للمأساة الحسينية من خلال الاعتماد على الأصول القرآنية.

٤- توظيف طول فترة بكاء يعقوب عليه السلام على يوسف عليه السلام لإطالة أمد البكاء والندبة على الحسين عليه السلام.

٥- الجو الرثائي في النص القصة القرآنية يمثل وازعاً للآخرين كي يخلقوا أجواء رثائية مماثلة في العزاء الحسيني.

الهوامش

١. ما أعنيه بالرثاء في طيات هذا البحث هو الرثاء بمعناه الواسع المتوفر على كل دواعي الحزن والشجن ولا أعني به الشعر الرثائي فحسب.

٢. أئمة أهل البيت ودورهم في تحصين الرسالة الإسلامية/السيد محمد باقر الصدر:٣٤٥.

٣. سورة المائدة:٢٧-٢٩.

٤. لسان العرب/ابن منظور:١: ٦٦٤(قرب).

٥. ينظر:الحداثة العولمة الإرهاب في ميزان النهضة الحسينية/الشيخ محمد السند:١١٢.

٦. ينظر:المصدر نفسه:١١٢.

٧. العين:٨: ١٣٤(تلو).

٨. القاموس المحيط:١١٦٤(تلو).

٩. ينظر:دروس في علم الأصول/السيد محمد باقر الصدر:١: ٢٥٦.

١٠. الكشّاف:٢: ٢٢٤.

١١. الخصائص:٢: ١٥٧.

١٢. ينظر:البلاغة الصوتية في القرآن الكريم/د.محمد إبراهيم شادي:٢٨.

١٣. ينظر:الكتاب:٤: ٤٣٤.

١٤. ينظر: المصدر نفسه:٤: ٤٣٣.

١٥. ينظر:دراسة الصوت اللغوي/د.أحمد مختار عمر:٣٢٢، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني/د. حسام سعيد النعيمي:٣٠٥.

١٦. ينظر:الكتاب:٤: ٤٣٤.

١٧. ينظر:الكشاف:٢: ٢٥٢.

١٨. الكشاف:٢: ٢٢٦.

١٩. ينظر:الجمل في النحو/أحمد بن الحسن بن شقير النحوي البغدادي:٢٢٨.

٢٠. ينظر:من أسرار النظم القرآني/د.محمد عبد الله سعادة:٢٦.

٢١. ينظر: المصدر نفسه:٢٦.

٢٢. ينظر:المقتضب/المبرد:٤: ١٤٩،وشرح المفصل/ابن يعيش:٤: ٩٩.

٢٣. ينظر:من طرق القرآن الكريم(بحث)/د.تمّام حسّان،مجلة مجمع اللغة العربية،القاهرة،ج٤٩، سنة١٩٨٢،ص١٧٦.

٢٤. سورة الدخان:٢٥.

٢٥. ينظر:جامع البيان عن تأويل آي القرآن:٢٥: ١٦٠.

٢٦. ينظر:تاريخ مدينة دمشق:١٤: ٢٢٥، ٢٢٩.

٢٧. ينظر:المصدر نفسه:١٤: ٢٢٦.

٢٨. ينظر:الحداثة العولمة الإرهاب في ميزان النهضة الحسينية:١٢٢.

٢٩. ينظر: ينابيع المودة لذوي القربى/ القندوزي:٣ : ٨٠.
٣٠. ينظر:بحار الأنوار/العلامة المجلسي:٤٥: ٥.
٣١. سورة يوسف:١١١.
٣٢. سورة يوسف:٨٤- ٨٦.
٣٣. مفردات الراغب الأصفهاني:٧٧٥(ولي).
٣٤. ينظر:البرهان في علوم القرآن:٣: ٤٥١ -٤٥٢.
٣٥. ينظر:لسان العرب:٩: ٥(أسف).
٣٦. ينظر:إعجاز القرآن/ الباقلاني:١٢٧.
٣٧. المقتضب:٤: ٢٥٢.
٣٨. ينظر:مفاتيح الغيب/الفخر الرازي:١٨: ١٩٦-١٩٧.
٣٩. ينظر:روح المعاني/الآلوسي:١٣: ٤١.
٤٠. ينظر:شرح الرضي على الكافية:٤: ١٩٦.
٤١. ينظر:الكتاب:٤: ٤٣٣.
٤٢. ينظر:البلاغة الصوتية في القرآن الكريم:٣٥.
٤٣. جواهر البلاغة/أحمد الهاشمي:٣٦٨.
٤٤. سورة الشورى:٢٣.
٤٥. ينظر:التحريف في السيرة الحسينية(بحث)/الشيخ محمد صحتي السردوردي:٣٣٧-٣٣٨.
٤٦. بحار الأنوار/العلامة المجلسي:٤٥: ١٤٩.
٤٧. الأمالي/ الشيخ الصدوق:٢٠٤.
٤٨. سورة البروج:١-٨.
٤٩. ينظر:الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان/القرطبي:٢٢: ١٨٠ .
٥٠. ينظر:إعجاز القرآن:١٣٤.
٥١. ينظر:الكشّاف:٦: ٣٤٧.
٥٢. سورة الذاريات:١٠ .
٥٣. سورة عبس:١٧ .
٥٤. ينظر:الإرشاد/الشيخ المفيد:٢: ١٠٦ .
٥٥. ينظر:البرهان في علوم القرآن:٣: ٤٥ .
٥٦. ينظر:الدراسات الصوتية عند علماء التجويد/د.غانم قدّوري الحمد:٢٧٥ .
٥٧. ينظر:مفاتيح الغيب:٣١: ١١٨ .
٥٨. سورة التحريم:٦ .
٥٩. ينظر:مفاتيح الغيب:٣١: ١١٨ .

٦٠. سورة الشمس:١٢-١٤.
٦١. تاريخ مدينة دمشق:١٤: ٢٢٢.
٦٢. ينظر:الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد:/الشيخ محمد السند١: ٤٠٦.
٦٣. ينظر:الحداثة العولمة الإرهاب في ميزان النهضة الحسينية:١١٣.
٦٤. ينظر:بحار الأنوار:٤٥: ٥٧.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- أئمة أهل البيت ودورهم في تحصين الرسالة الإسلامية، السيد محمد باقر الصدر(ت١٤٠٠هـ)، ط١، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر،قم- إيران،١٤٢٥ه،

٢- الإرشاد في معرفة الحجج على العباد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي(المفيد) (ت٤١٣هـ)، تحـ:مؤسسة أهل البيت (ع) لتحقيق التراث، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان،١٤١٤ه-١٩٩٣م.

٣-إعجاز القرآن،أبوبكر الباقلاني(ت٤٠٣ه)،تح:أحمد صقر،(د.ط)، دار المعارف، مصر،(د.ت).

٤- الأمالي، أبو جعفر محمد بن الحسين بن بابويه القمي(الصدوق)(ت٣٨١هـ)،تحـ:قسم الدراسات الإسلامية، ط١، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة،قم-إيران، ١٤١٧ه.

٥- بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي(ت١١١١هـ)،تحـ:الشيخ عبد الزهراء العلوي،(د.ط)،دار الرضا، بيروت-لبنان،١٤٠٣ه-١٩٨٣م.

٦- البرهان في علوم القرآن،بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي(ت٧٩٤هـ)،(د.ط)،تحـ:محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة،(د.ت).

٧- البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، الدكتور محمد إبراهيم شادي، ط١، الرسالة، القاهرة، ١٤٠٩ه-١٩٨٨م.

٨- تاريخ مدينة دمشق، الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي(ابن عساكر)(ت٥٧١هـ)، دراسة وتحقيق:علي شيري،(د.ط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، ١٤١٥ه-١٩٩٥م.

٩- التحريف في السيرة الحسينية،الشيخ محمد صحتي السردوردي، بحث منشور ضمن كتاب جدل ومواقف في الشعائر الحسينية، إعداد حيدر حب الله، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان،١٤٣٠ه-٢٠٠٩م.

١٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ)، حقّقه وخرّج أحاديثه:محمود محمد شاكر، راجع أحاديثه:أحمد محمد شاكر،ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة،(د.ت).

١١- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي(ت٦٧١هـ)، تحـ:الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، شارك في التحقيق محمد رضوان عرقسوسوي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ١٤٢٧ه-٢٠٠٦م.

١٢- الجمل في النحو لأبي بكر أحمد بن الحسن بن شقير النحوي البغدادي المتوفى ٣١٧ه، تحقيقاً ودراسةً، علي بن سلطان بن علي الحكمي،(رسالة ماجستير)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز،(د.ت).

١٣-جواهر البلاغة،السيد أحمد الهاشمي(ت١٣٦٢ه)، علّق عليه ودقّقه سليمان الصالح، ط٤، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ١٤٣٤ه-٢٠١٣م.

١٤- الحداثة العولمة الإرهاب في ميزان النهضة الحسينية، محاضرات الشيخ محمد السند، الشيخ علي الأسدي، ط٢، مطبعة وفا، نشر الباقيات، قم-إيران، ١٤٣٢ه-٢٠١١م.
١٥- خزانة الأدب، البغدادي(١٠٩٣هـ)، تحـ:محمد محمد نبيل طريفي،أميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٨٨م.
١٦- الخصائص، عثمان بن جني (ت٣٩٢ هـ)، تحـ : محمد علي النجار، (د.ط)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
١٧-الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، الدكتور غانم قدّوري الحمد، ط٢، عمّان-الأردن، ١٤٢٨ه-٢٠٠٧م.
١٨- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، الدكتور حسام سعيد النعيمي،(د.ط)، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٠م.
١٩- دراسة الصوت اللغوي، الدكتور أحمد مختار عمر،(د.ط)، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٨ه-١٩٩٧م.
٢٠- دروس في علم الأصول،السيد محمد باقر الصدر(ت١٤٠٠هـ)، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، السيد محمود الآلوسي البغدادي(ت١٢٧٠هـ)، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان،(د.ت).
٢٢-شرح كافية ابن الحاجب، محمد بن أحمد الاستراباذي (ت٦٨٦هـ)،تصحيح وتعليق:يوسف حسن عمر، ط١، مؤسسة الصادق ،طهران،١٣٩٨ه-١٩٧٨م.
٢٣- شرح المفصل، يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت٦٤٣هـ)، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،١٤٢٢ه-٢٠٠١م.
٢٤- الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، محاضرات الشيخ محمد السند، رياض الموسوي، ط١، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ١٤٣٢ه-٢٠١١م.
٢٥- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحـ: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي،ط٢،مؤسسة دار الهجرة،إيران،١٤٠٩هـ.
٢٦- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(ت٨١٧هـ)، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان،١٤٢٤ه-٢٠٠٣م.
٢٧- كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحـ:عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٨- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(ت٥٣٨هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد عوض ،ط١، مكتبة العبيكان،الرياض-السعودية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٢٩- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١ هـ)، (د.ط)، نشر أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ.

٣٠- مفاتيح الغيب، محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر(ت٦٠٤هـ)، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ١٤١٠ه-١٩٨١م.

٣١- مفردات الراغب الأصفهاني مع ملاحظات العاملي،أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ)،(د.ط)، دار المعروف للطباعة والشر،بيروت-لبنان،(د.ت).

٣٢- المقتضب، محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ)، تحـ:محمد عبد الخالق عظيمة،(د.ط)، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٣٣- من أسرار النظم القرآني آيات وعبر، الدكتور محمد عبد الله سعادة،(د.ط)، مكتبة مبارك العامة، مصر،(د.ت).

٣٤- من طرق القرآن الكريم(بحث)/د.تمّام حسّان،مجلة مجمع اللغة العربية،القاهرة،ج٤٩، سنة١٩٨٢.

٣٥- ينابيع المودة لذوي القربى، الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي(ت١٢٢٠هـ)، تحـ:سيد علي جمال أشرف الحسيني،ط١، دار الأسوة للطباعة والنشر،١٤١٦هـ.

مصادرُ القوةِ والضعف في حياة اللغة العربية

Strengths and weaknesses of Arabic language

أ.م.د. ميثم مهدي الحمامي و أ.م.د. عباس علي الفحام

جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية

Dr. Maitham Mehdi Al-Hamami and Dr. Abbas Ali Al-Faham ,

University of Kufa,College of Basic Education

ملخص البحث

سلطَ البحث الضوء على مكامن القوة والضعف في اللغة العربية مع تشخيصها فحدد مصادر القوة بالمرونة الاشتقاقية وبخصوصيتها الإعرابية وتعريبها للألفاظ الأجنبية وباتساعها المجازي أما مصادر قوتها فقد تمثلت بلغة النص المقدس – القرآن الكريم – وبالتراث الأدبي والعلمي الضخم . فيما أوجز مصادر الضعف في اللغة العربية بـ اللهجات المحلية وتحديات العصر الراهن المتمثلة بشبكات التواصل الاجتماعي وبالإعلام وبالثراء العلمي المعرفي المعاصر فيما أكد البحث على ضرورة تدارك مكامن الضعف في اللغة العربية فضلا عن الإسراع في رسم البرامج اللازمة للقضاء على الأمية اللغوية ومعالجة الأمراض اللغوية التي انتشرت أيما انتشار في جسد العالم العربي في العقود السابقة .

Abstract

The present research highlights the strengths and weaknesses of Arabic.It unveils the strong sources of this language , such as the flexible power of derivations, parsing peculiarity ,i.e. the rules for forming words and combining them into sentences, Arabicization of foreign words , extensive figurative use , the sacred text — the Qur’an — and the huge scientific and literary heritage.In addition, the research outlines the sources of weaknesses in this language , represented by local dialects , the challenges of the social media and the richness of contemporary scientific knowledge.

The researchers have emphasized the need to remedy the weaknesses in Arabic as well as to set a program that can eliminate illiteracy.

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين وأتم الصلاة والتسليم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

وبعد ، فقد كانت اللغة العربية شغل الكثير من أبنائها العلماء الغيورين على الحرص عليها من كل شائبة ، فاجتهدوا وجمعوها وقعدوا لها القواعد وفسروا الغريب فيها فكانت العلوم العربية المختلفة من نحو وصرف وبلاغة ونقد ، وذلك كله من أجل خدمة التفسير القرآني وفهم النص المقدس ، إذ كان من نعمة الله على لغتنا أن اتخذ القرآن الكريم لغتنا معجزة له. وهذه الدراسة تأتي في ظل اشتداد الصراع بين اللغة العربية المعاصرة واللغات العالمية محاولة للكشف عن أصول قوتها للعمل على ديمومتها وتعزيزها ، ومن أجل تحديد مصادر ضعفها لتطويقها والعمل على إضعافها والقضاء عليها. لذلك تحدد عنوان البحث بـ(مصادر القوة والضعف في حياة اللغة العربية)، وتضمنت الدراسة الخطة المفصلة الآتية من المبحثين الموسومين:

الأول : مصادر القوة : وحددها بمصدرين هما: الأول:المصادر الذاتية النابعة من اللغة وهي : الاشتقاق، والمجاز ، والتعريب ، والإعراب . أما الثاني فهي المصادر الخارجية وتحددت بالقرآن الكريم ، وبالتراث القديم الضخم لها. أما المبحث الثاني فقد درس مصادر الضعف وحددها بمصدرين هما: الأول تمثل باللهجات المحلية ، وأما الثاني فسميناها بتحديات العصر الحديث :واشتملت على أخطر التحديات المباشرة وهي : شبكات التواصل الاجتماعي ، والإعلام ، والمعارف الحديثة. ويبدو واضحا من مضامين البحث أن مصادره تنوعت بين اللغوية والتاريخية والمعاصرة , راجين تذليل الصعاب فيما يقف بوجه لغتنا الحبيبة والإسهام في انتشارها عالميا أكثر ، والله ولي التوفيق .

المبحث الأول

مصادر القوة

تمتلك العربية كثيرا من مصادر القوة التي جعلت منها لغة طويلة البقاء ، وتؤهلها هذه المصادر لديمومتها وبقائها ، وها هي إلى اليوم اللغة الرسمية والأدبية والدينية ، وبالرغم من التحديات والصعاب التي تعصف بها بقيت ثابتة قوية ، وهذا المبحث هو التفاتة إلى تلك الجوانب الوضاءة للغتنا الكريمة، وسنحاول حصر مصادر القوة من جانبين هما : الأول داخلي ذاتي والآخر خارجي موضوعي ، ولكل منهما تقسيماته التي سنقف عند أظهرها.

أولا: المصادر الذاتية الداخلية : ومنها

١- الاشتقاق

تسلك اللغات الإنسانية طرقا ثلاثة في تعاملها مع الألفاظ لتنمية ألفاظها ، هي إما لغات فاصلة (Isolating) : وهي اللغات التي تحافظ فيها اللفظة المفردة على شكل واحد لا تتعداه ، بقطع النظر عن وظيفتها في الجملة ، فالضمير العربي (أنــا) يصبح في أكلت (ت) وفي أحبني (ي) وفي كتابه (ه) عند الغائب ، أما الصيني فلا يغير هذا الضمير فيقول : (أكل أنا) ، (أحب أنا) . فهو لا يغير الضمير ، بل يحافظ على شكل واحد في التركيب ، ووظيفته في الجملة تعرب عنه .

ولغات لاصقة (Agglutinative) ، وهي التي يضاف فيها إلى أول الجذر أو الكلمة الأصلية ، سابقة أو تخلفه بآخرى لاحقة ، من دون أن يطرأ تغيير ما في بنية الجذر ، واحتفظت الانكليزية ببعض صفات هذه الفئة من اللغات ، فهي تضيف السوابق (re،con ،in ، per،de) وغيرها ، إلى الجذر (Form) ، فتغير المعنى الأول تبعا لمعنى السابقة ، غير أن الجذر لا يتغير ، وكذا يمكن إلحاق اللواحق (Tion، al، ly، ness، ism) فيتغير المعنى دون أن يطرأ تغيير على الجذر ، ومثال هذه اللغات التركية .

والفئة الثالثة هي اللغات المتصرفة (Inflectional) ، وهي اللغات التي تتصرف كلماتها ، ويشتق بعضها من بعض ، كما هو الحال في اللغات الهندو أوربية والسامية ، التي تمثل أرقى اللغات[١].

فالاشتقاق إذن وسيلة من وسائل نماء اللغات ، امتازت بها اللغات السامية من سائر فصائل اللغات الأخرى ، وقد فاقت العربية شقيقاتها في هذه الظاهرة ، إذ عرفت العربية بسعة هذه الظاهرة المهمة لتعبر بها عن مختلف المعاني وأدقها [٢] ، وهذه الخصيصة سبب من أسباب اختيارها لغة للتنزيل ، وهي كذلك من أسباب ديمومتها وتجانسها في كل العصور .

لقد استقر مفهوم الاشتقاق - كما ذكر الدكتور إبراهيم أنيس - عند العلماء العرب في منتصف القرن الرابع الهجري على انه استخراج لفظ من آخر متفق معه في المعنى والحروف الأصيلة ، فإن بقي ترتيب الحروف على ما هو عليه في المشتق والمشتق منه كان ذلك اشتقاقا أصغر (عاما)[٣] ، وان اختلف شيء من ترتيب المادة كان كبيرا وإن اختلف احد الأصول كان أكبر[٤].

ويقول السيوطي في مورد بيان الحكمة من الاشتقاق وذكر أهميته في اللغة : « فخصوا كل تركيب بنوع منها ، ليفيدوا بالتراكيب والهيئات أنواعا كثيرة ، ولو اقتصروا على تغاير الموارد ، حتى لا يدلوا على معنى الإكرام والتعظيم إلا بما ليس فيه من حروف الإيلام والضرب ، لمنافاتها لهما ، لضاق الأمر جداً ، ولاحتاجوا إلى ألوف الحروف لا يجدونها » [٥]

وقد تناول علماء الغرب الاشتقاق في لغاتهم ، ولكن بمفهوم آخر ، إذ يرون أنه أحد فروع علم اللغة التي تدرس المفردات وينحصر مجاله في « أخذ ألفاظ القاموس كلمة كلمة وتزويد كل واحد منها بما يشبه أن تكون بطاقة شخصية يذكر فيها من أين جاءت ومتى وكيف صيغت والتقلبات التي مرت بها . فهو إذن علم تاريخي يحدد صيغة كل كلمة في أقدم عصر تسمح المعلومات التاريخية بالوصول إليه ويدرس الطريق الذي مرت به الكلمة مع التغيرات التي أصابتها من جهة المعنى أو من جهة الاستعمال »[٦]، وعلى هذا فهو علم نظري يعني بتاريخ الكلمة ، ويتتبع حياتها عبر العصور .

ويرى جمهور علماء العرب أن الاشتقاق لا يصح القيام به إلا عندما يكون له سند من نصوص اللغة ، يؤيد أن العرب هم أصحاب هذه اللغة قد جاؤوا بمثله أو نظيره وأن هذا النظير كثير الورود في كلامهم المروى عنهم[٧].

وبعد فالعرب قد اشتقت في كلامها ، وأخذت صيغة من أخرى ، وكلمات من غيرها سبيلهم في ذلك القياس ، وهذا ما يؤيد ذهاب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن القياس هو النظرية ، والاشتقاق هو التطبيق له[٨] ، واللغويون أيضا اشتقوا طائفة من الصيغ ليس لها وجود في نص صريح من نصوص اللغة ، إذ ليس من اللازم أن يكون لكل فعل مصدر مثلا ، أو وصف كاسم الفاعل أو المفعول أو الصفة المشبهة ، فقد تظل اللغة قرونا وليس بها إلا الفعل ، أو المصدر وحده ، حتى تدعو الحاجة إلى ما يشتق منها[٩]

ومما يؤيد الزعم المتقدم اشتقاق الأعشى جمعا لكلمة (مرهصة)[١٠] في قـــــولـــــــــــــه[١١]) :

رمى بكَ في أخراهمُ تركُكَ العلى
وَفَضَّلَ أقْواماً عَلَيْكَ مَرَاهِصَا

إذ لم يسمع هذا الجمع إلا منه ، « فقد اشتقه الأعشى ولم يجئ في شعر غيره »[١٢] ، فهو مما ورد في الجموع على مفاعل جمعا لمفعلة ، مثل مسألة مسائل ، ومرتبة مراتب [١٣] .

كما اشتق الشعراء المحدثون صيغا جديدة لم يستعملها من سبقهم ، فمن ذلك اشتقاق بشار[١٤] لصيغة (الوجلى) في قـــولـــه[١٥]:

فالآنَ أَقْصَرَ عن سُمَيَّةَ باطِلي
وأشار بالوَجْلَى عليّ مُشِيرُ

وصيغة (الغزلى) في قوله[١٦] :

على الغَزَلى مِنّي السَّلامُ فربَّما
لَهَوْتُ بها في ظِلِّ مَرْؤُومَةٍ زُهْر

ونقل صاحب الوساطة[١٧] ، إن المتنبي اشتق اسم فاعل من الفعل (جـــاد) على غير ما سمع من

العرب ، إذ لم يسمع عن العرب غير (جواد) كما زعم ، ولكن الشاعر قال جـــائد وذلك في قوله[١٨] :

فِدًى مَنْ على الغَبراءِ أوّلُهُمْ أنَا لهذا الأبيّ المَاجِدِ الجائِدِ القَرْمِ

وبهذا ندرك أن الاشتقاق كان مصدرا مهما في تصرف العرب واتساعهم في لغتهم ، وهو اليوم يمثل السبيل الذي يمكننا من إيجاد الكلمات التي تناسب المعاني الجديدة بما يضمن الحفاظ على جوهر اللغة وكيانها ، وهو الوسيلة الأنجع لحل مشاكل اللغة ومجابهة التحديات التي تعصف بها .

٢- المجاز

إن أقدم إشارة إلى المجاز نجدها عند أرسطو في تقسيماته للاسم ، إذ ذكر أن الاسم إما « أصيل أو لغة أو استعارة أو زينة أو موضوع أو ممدود أو مقصور أو مغير »[١٩] ، وقال في الاستعارة : إنها « نقل اسم شيء إلى شيء آخر ، فإما أن ينقل من جنس إلى نوع أو من النوع إلى الجنس ، أو من نوع إلى نوع ، أو ينقل بطريق المناسبة»[٢٠] . وقد مثل أرسطو لكل نوع من هذه الأنواع .

وقد نشط البحث في قضية المجاز عند العلماء العرب المسلمين ، لأسباب دينيه عقدية قبل كل شيء ، وقسموه على نوعين ، لغوي وعقلي ، والمجاز اللغوي هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي[٢١]. ويسمى بالمجاز المفرد[٢٢] ، أما المجاز العقلي فهو « الكلام المراد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه ضرب من التأويل إفادة للخلاف لا بواسطة الوضع »[٢٣] ، وأول من ابتدع هذا التقسيم العالم الشهير عبد القاهر الجرجاني ، وسار عليه جل البلاغيين من بعده[٢٤] .

والمجاز كما قال شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني إنه « مفعل من جاز الشيء يجوز إذا تعداه ، وإذا عدل اللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصفه بأنه مجاز على معنى أنهم جاوزوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولا »[٢٥] ، وقال عنه أيضا إنه « كل كلمة أريد بها غير ما وضعت له في موضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول »[٢٦] .

إن المجاز نوع من أنواع الوضع الخاص بالمعاني ، إذ اللفظ موجود بعينه ، ولا يمسه أي تغيير ، إنما يحدث في اللغة أن يستعمل اللفظ في غير ما وضع له ، لمناسبة رابطة بين المعنيين ، وهو مشروط بالقرينة والسياق ، ولهذا يعد المجاز سببا من أهم أسباب نشوء ظاهرة الترادف[٢٧] والأضداد[٢٨] والمشترك اللغوي [٢٩] ، حتى قيل إنه سبب في حدوث أية ظاهرة لغوية [٣٠]، لذلك اهتم به اللغويون اهتماما بالغا ، حتى قال عنه ابن جني : «اعلم أن أكثر اللغة مع تأملته مجاز لا[٣١] حقيقة » ، في حين نجد من يرغب عن الحديث عنه مع سائر الظواهر اللغوية ، معتذرا بالقول إنه إلى البلاغة أقرب منه إلى اللغة [٣٢] ، وهو اعتذار لا مسوغ له ، وقول في غير محله .

واختلف العلماء بشأن قياسية المجاز ، فبعضهم بالغ في تضييق دائرته ، فلم يبح استعمال لفظ في معنى مجازي إلا إذا كانت العرب قد استعملته في هذا المعنى ، فقد قبل الجاحظ ما سوغته العرب قبله ،

ورفض ما دون ذلك ، قال : « وليس هذا مما يطرد أن نقيسه وإنما نقدم على ما أقدموا ونحجم عما أحجموا وننتهي حيث انتهوا» [٣٣] ، فالعرب « يسمون الرجل ثورا ولا يسمون المرأة بقرة ، ويسمون الرجل حمارا ولا يسمون المرأة أتانا . ويسمون المرأة نعجة ولا يسمونها شاة «[٣٤] .ولا يخفى ما في هذا الاتجاه من تعنت ، فيما يترتب على الأخذ به من صد لروح نماء اللغة ، وغلق لأبواب البيان فيها إن كان هذا القول مطلقا لا محددا .

إن معظم العلماء يقر بقياسية المجاز ، فقد أباحوا استعمال اللفظ في غير ما وضع له على طريق المجاز ، فنقلوا ألفاظا كثيرة من أصل وضعها إلى معان اصطلاحية لتحقق العلاقة المشروطة بينهما ، سائرين على ما أقره علماء البيان وما جرت عليه عادة العرب[٣٥] .وقد أكد هذا الرأي بعض العلماء المحدثين[٣٦] ،مشيرين إلى أن مما يزيد تأكيد هذا ، ما سلكه أئمة اللغة فيما جمعوه من المعجمات ، فإنهم قصروا كتبهم لبيان المعاني الحقيقية ، فلو كان استعمال المجاز موقوفا على النقل لدعاهم إلى أن يلتزموا بذكر المعاني التي استعملها العرب مجازا ، وما فعلوا ذلك ،فالزمخشري لا يقصد في أساسه قصر المعاني المجازية على تلك الألفاظ أو أن يحجر على الناس ذلك ، وإنما قصد التنبيه على جانب عظيم من أساليب البلغاء وتصرفاتهم في المعاني ليقتدي بهم الناشئون .وأكد هذا الأمر الدكتور علي عبد الواحد وافي عندما ذكر أن هذا المنهج قد سار عليه القدامى من العلماء والأدباء ، وتابعهم المحدثون في مختلف العصور ، فبفضل المجاز اتسع فن البيان وأحرزت اللغة ثروة كبيرة ، استطاعت بذلك أن تساير العلوم المستجدة والفنون ومستحضرات الحياة الأخرى[٣٧] .كما ذكر وافي أن للمجاز أثرا كبيرا في نمو اللغة واتساعها وقدراتها على التعبير عن المعقولات المحضة والأفكار المعقدة ، فبظل المجاز « اتسعت اللغة العربية للعلوم والفنون على اختلاف أنواعها وللحضارة على كثرة مظاهرها ، فنهضت بالعلوم الشرعية واللغوية والطبيعية والرياضية وعلم النفس والاجتماع ، وصارت لسان الفلسفة والسياسة والقصص والصناعة والفن ضروب المعاملات . وبالجملة لم تقف أمام أي مظهر من مظاهر العلم أو الحضارة وقفة المتعثر الحائر ، بل خاضت في مختلف مناحي القول ، وقويت على التعبير عن شتى مظاهر التفكير «[٣٨] .وقد عد الأستاذ مصطفى الرافعي الإيجاز سبيلا من نماء اللغة ، وأشار إلى أهميته في اتساع اللغة ، حتى استطاعت التعبير عن مختلف المعاني ، « وتهيأ فيها من أنواع الوضع وطرق التعبير ما يعد في اللغات ميراثا خالداً تستغل منه المعاني في كل جيل ، ويضمن للغة الثروة وإن أفلس أهلها[٣٩] .

وذكر أحمد بك عيسى ، إن المجاز سبيل لوضع الكلمة ، إذا لم يتم التوفيق عند النقل إلى إيجاد لفظ تترجم به الكلمة ، أو عجزنا عن اشتقاق كلمة لها[٤٠]، فقال : « وبذلك دفع كثيرا من الحرج في اللغة عن النقلة والمترجمين ، وعلى هذا النسق وضع المعاصرون في أيامنا اسم الدارعة أو المدرعة للسفينة الملومة

وغواصة كذلك وطيارة وسيارة للاوتوموبيل وحافلة للامنيسيوس الـــخ «[٤١] .ويرى فندريس أن المجاز هو السبب في خلق العديد من المعاني للفظة الواحدة في اللغة ، إلا انه سريعا ما ينسى فيصبح المعنى الجديد الذي دخل اللفظ من طريق المجاز لا يقل في حقيقته عن المعنى الأول الذي كان له ، فيفهم منه انه مقر موجود وأثره في اللغة ، لا يحتكر على فئة دون أخرى[٤٢] .وذكر الدكتور أنيس فريحة أن العربية عبر المجاز استطاعت أن ترتفع بالذات إلى مرتبة المعنى ، وأطلق على هذه الظاهرة (خاصية التصعيد) – رادا على من اتهم الشعوب السامية في أن لغاتها صورية مادية لا تصلح للتعبير عن المعاني ، وقد برز الدكتور اتهامهم بأنهم نظروا إلى المعجمات فبرزت لهم الصور المادية للمعاني ، فرمونا بهذه التهمة[٤٣] .

وأشار الغلاييني إلى أهمية المجاز في تلبية احتياجات اللغة ، فإن دعتنا الحاجة إلى استعمال بعض الألفاظ في معان جديدة ، فلا محيص من قبولها ، وكل ما وافق أصول اللغة مجازا كان أم غيره من السبل ، وكان مقبولا عن أهل الذوق ، والحاجة ملحة إليه ، فهو من كلام العرب[٤٤] . وعد إستيفن أولمان إضافة معان جديدة إلى كلمات موجودة بالفعل أهم طريق في مسايرة اللغة لكل ما يستجد من أفكار ، فقال : « ومن المؤكد أن ابتكار المفردات وصوغها وافتراضها من استعمال إلى آخر تستطيع بالتعاون فيما بينها أن تسد نقصا كبيرا في الثروة اللفظية ، ولكن من المشكوك فيه أن تستطيع اللغة مقابلة ما تفرضه عليها حاجات الحياة الحديثة مطردة النمو بصورة فعالة ، ما لم تكن لديها طريقة أخرى أكثر مرونة، ودقة هذه الطريقة التي نعنيها هي إضافة معان جديدة إلى الكلمات الموجودة بالفعل » [٤٥] وما هذه الطريقة إلا المجاز.

وذهب الدكتور أحمد الجبوري إلى أن المجاز هو أحد وسائل نمو اللغة ، وهو طريق من طرق الاتساع في الكلام وفي التعبير عن حاجات المجتمع والحضارة ، وان العرب قد اتسعت في لغتها وتفننت في أساليب القول[٤٦] .

وبعد كل هذا نخلص إلى أن المجاز طريق مهم من طرق نماء اللغة يلجأ إليه عند الحاجة إلى سد النقص الحاصل في اللغات نتيجة لاستحداث معان أو ظهور مخترعات أو غير ذلك .والمحدثون يجمعون على ما للمجاز من أثر وأهمية ، ويعدونه عاملا فعالا في تنمية اللغة وتجددها وتطورها ، وهكذا فان الوضع اللغوي على سبيل المجاز إنما يكون في المعنى دون اللفظ ، فاللفظ موجود أصلا ، ولكن المعنى هو الذي يتغير ، وإنما يكون ذلك الانتقال والتغير من خلال وجود علاقة بين المعنى الأول والمعنى الجديد .

التعريب :

وهو قدرة العربية على هضم المفردات الأجنبية . وقد يعجز الناطق بلغة ما عن إيجاد لفظ مناسب للتعبير عما يريد التعبير عنه في لغته فيستعير لفظة من لغة أخرى لتؤدي له ما يريد ، وقد يستعار من دون حاجة إليه ، وهي ظاهرة عرفتها اللغات عامة قديما وحديثا فليست هناك لغة إلا واستعارت من أخرى

نتيجة للاحتكاك الحاصل بينها ، وقد دلت الملاحظة على أن اللغات منذ القدم يستعين بعضها بألفاظ بعض ، حدث هذا بين اللغات القديمة وما زال يحدث بين اللغات الحديثة[٤٧] ، وانّه من المتعذر أن تظل لغة ما بمأمن من الاحتكاك بلغة أخرى «[٤٨] ، وإن « تطور اللغة المستمر بمعزل عن كل تأثير خارجي يعد أمرا مثاليا ، لا يكاد يتحقق في أية لغة، بل على العكس من ذلك، فإن الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثير ما تكون له أهمية في التطور اللغوي ، ذلك لان احتكاك اللغات ضرورة تاريخية واحتكاك اللغات يؤدى حتما إلى تداخلها « [٤٩]وقد عد الاقتراض سببا من أسباب حدوث الترادف في اللغة إذ يحدث أن تستعير اللغة لفظا مع موجود مرادف له لأسباب ، فينشأ الترادف[٥٠] ، وقل مثل هذا عن المشترك اللفظي[٥١] .ولاشك في أن ظاهرة اقتباس المفردات من لغة أخرى أثر من آثار التقاء تلك اللغات واحتكاكها بسبب من العوامل السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية[٥٢] ، فاللغات الإنسانية في تفاعل مستمر ، تأخذ وتعطي ويؤثر بعضها في بعض ، غالبة كانت أو مغلوبة قوية أو ضعيفة ، وقد لحظ علماء اللغات أن أهم ناحية يظهر فيها التأثر ، هي الناحية المتعلقة بالمفردات ، ففي هذه الناحية على الأخص تنشط حركة التبادل بين اللغات ويكثر اقتباس بعضها من بعض[٥٣] .

وقد أخذت العربية – كغيرها من اللغات – ألفاظا من لغات أجنبية عبر تاريخها الطويل وذلك سبب من عوامل الاحتكاك اللغوي المشار إليها ، وقد أخضعتها العربية لقواعدها الصوتية وطوعتها في الغالب لأوزانها وأبنيتها وشذبتها حتى صارت هذه المفردات جزءا لا يتجزأ من كيانها الخاص ، ولهذا نجد ألفاظا أعجمية في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث الشريف ، وهذا واضح في مقدمة الجواليقي لكتابه (المعرب) إذ يقول : « هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي ، ونطق به القرآن المجيد ، وورد في أخبار الرسول (صلى الله عليه (واله) وسلم) ، والصحابة والتابعين - رضوان الله عليهم أجمعين – وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها ، ليعرف الدخيل من الصريح «[٥٤] ، وقد نبه عليه اللغويون في مصنفاتهم ، وافرد له جماعة منهم مصنفات خاصة لحصره والتنبيه عليه ، وأشهر هذه المؤلفات كتاب « المعرب» للجواليقي وكتاب « شفاء الغليل فيما من كلام العرب من دخيل « لشهاب الدين الخفاجي[٥٥] .

وتلكم الظاهرة اصطلح عليها القدامى بالمعرب والدخيل ، وسماها المحدثون من اللغويين بالقرض اللغوي أو الاستعارة اللغوية [٥٦] ، وان تسمية المحدثين أكثر انطباقا على هذه الظاهرة العامة ، فهي لا تخص العربية وحدها في حين أن تسمية القدامى بـ (المعرّب) تخص العربية دون غيرها ، كما أن لفظة اقتراض ، أكثر صدقا وأدق دلالة من غيرها لمن يضع لفظة على سبيل الاقتراض، وإن كان حديثنا هاهنا عن العربية لا عن اللغات كافة .

وقد تفاوتت نظرة اللغويين القدامى إلى هذه الظاهرة وشروطها لديهم ضيقا واتساعا فمنهم من لم يشترط

في الألفاظ الأعجمية سوى الاستعمال ، فمتى دار بها الاستعمال صارت معربة ، سواء ألحقوها بأوزان كلماتهم أم لم يلحقوها ، وهذا ما يفهم من عبارة سيبويه إذ يقول : « اعلم أنهم مما يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة ، فربما ألحقوه ببناء كلامهم وربما لم يلحقوه « [٥٧] ، وقد سمى هذه الحالة إعرابا ، وكان يطلق على اللفظ المعرب (الدخيل) – كما ذكر السيوطي[٥٨] – وذكر أبو حيان أن الأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام ،قسم غيرته العرب وألحقته بكلامها كـ « درهم ، بهرج « ، وقسم غيرته ولم تلحقه بأبنية كلامها كـ « آجر» وقسم تركوه غير مغير[٥٩] .ولكن علماءنا العرب الأجلاء قد تشددوا في هذا الدخيل ، ونظروا إليه نظرة بين القبول والرفض ، إذ إنهم قد نبهوا على كل لفظ غير عربي ، وأشاروا إلى أعجميته ، وإنما يشيرون لكي يعرف عدم عروبته « ليعرف الدخيل من الصريح « ، ولو رحبوا به ما أشاروا إليه ونبهوا عليه ووضعوا له كثيرا من العلامات لتمييزه ، وقد صرح الشهاب الخفاجي بسماعيت[٦٠]، أضف إلى ذلك حصرهم – لاسيما المتأخرين منهم – لهذه الألفاظ يدل على ما تقدم ، وان تشدد عدد من العلماء في قبول أشعار الشعراء الذين كانوا يتصلون بالأمم الأخرى دليل على تشددهم في هذا الدخيل ، فقد رفض أبو عمرو بن العلاء شعر الطرماح واتهمه باستعماله للنبطية[٦١] ، وكذلك ذهب الأصمعي إلى مثل هذا ، ومثل هذا يقال في شعر الأعشى وأمية بن أبي الصلت . ولا يدعي الباحث أن التعريب أو الاقتراض غير قياسي ، فقد اقترض العرب الفصحاء وغيرهم ألفاظا كثيرة من لغات أخرى لحاجة أو لغير حاجة ، إلا أن ما ذكرناه من موقف العلماء ، يشعرنا بتشددهم في قبول هذه الألفاظ وأرى أن السبب يكمن في طبيعة اللغة العربية ومنزلتها القدسية ، تلك اللغة التي اختارها الله لسان كتابه وترجمان وحيه ، أرادوها نقية بعيدة عن أية لغة أخرى ، لذلك دفعهم التحمس الشديد لها إلى أن ينكروا وجود ألفاظ دخيلة في القرآن أو العربية عموما ، وحاولوا أن يجدوا لها اشتقاقات من لغتهم ، وقد حذرهم أبو بكر بن السراج في رسالته الشريفة (الاشتقاق) من هذا الأمر[٦٢] .

ويكاد علماء اللغات المحدثون يتفقون على جواز اقتراض اللغات بعضها من بعض ، فجوزيف فندريس يرى أن للاقتراض أثرا مهما في التطور اللغوي ، وهو ضرورة تاريخية وأمر حتمي فلا يمكن للغة أن تتطور من دون أن تستعير من لغة أخرى[٦٣] ، وعد ستيفن أولمان الاقتراض أسهل الطرق وأقربها مثالا للمتكلم في سد حاجاته اللغوية ، فيعمد المتكلم إلى اقتراض الكلمات من لغات أخرى بدلا من أن يلجأ إلى بذل مجهود لغوي إبداعي ليحصل على غايته[٦٤] ، وقد كان الانكليز يطلقون على معجماتهم «مجموع لغات»[٦٥] .أما آراء اللغويين المحدثين من العرب بخصوص دخول اللفظ الأجنبي، فهي ذات أقطاب ثلاثة ، الأول : يبيح الاقتراض ويفتح الباب أمام السيل العارم من الألفاظ الأجنبية ، والثاني : يقيد هذا الأمر بالضرورة والحاجة ، والثالث : يتشدد ويتعصب فيه، ولا يتسامح في دخول اللفظ الأجنبي ويفرض على كل

معنى أن يجد البديل العربي المناسب لكل لفظ أجنبي ، وان قصرت اللغة – ومحال ذلك على العربية في نظرهم – نلجأ إلى هذه الوسيلة مضطرين – . هذه الطوائف الثلاثة تمثلت في أقوال العلماء والهيئات العلمية والمجامع اللغوية .

٣- الإعراب

وهو سمة من سمات العربية التي تشير إلى خصائصها ، وتبوح بعبقرية أهلها «الذين استطاعوا ، بلسانهم التغلب على المكان والزمان ملخصين تجاربهم ،معبرين عن حاجاتهم المادية والمعنوية ، ناقلين نظرتهم إلى أنفسهم وإلى العالم والكون من حولهم «[٦٦] .

وهو معلم من معالم اللغة العربية وخصيصة من خصائصها ، والإعراب هو الإفصاح عما في النفس ، وإظهار المعاني المقصودة بوضوح ، و قيل قديماً « الإعراب فرع المعنى ، والمعنى سبب للإعراب « والإعراب – لفظاً – مصدر معناه الإبانة عن المعاني بالألفاظ . أعربت عن الشيء : إذا أوضحت عنه،وفلان معرب عما في نفسه، أي مبين له وموضح عنه[٦٧] وجاء في الحديث «الثيب تعرب عن نفسها».

وفي الاصطلاح : أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمة[٦٨] ،و اتفق علماء العربية وجميع النحويين إلا من شذ منهم ، على أهمية الإعراب ، وإنَّ لعلاماته دلالات معينة ، وأغراضا معنوية ، كالخليل ، وسيبويه ، وابن جني ، والمبرد ، وابن السراج ، والسيوطي ، وغيرهم كثر . ولقد عبروا عن هذه الظاهرة بأساليب متنوعة تنطق جميعا بحقيقة واحدة . ولعل أوفى خلاصة لتلك الآراء قول ابن فارس : « فأما الإعراب فبه تميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين . وذلك أن قائلاً لو قال « ما أحسنْ زيدْ « غير معرب أو « ضرب عمرْ زيدْ « غير معرب ، لم يوقف على مراده فإذا قال» ما أحسنَ زيداً « أو « ما أحسنُ زيدٍ « أو « ما أحسنَ زيدٌ « أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده»[٦٩] . وقد نزل القرآن على لغتهم ووضعت قوانين النحو محاكاة لكلامهم ؛ فما بالك بالذين يقللون من أهمية الإعراب والنحو في هذا العصر بدعوى الصعوبة والتعقيد . ويزعمون أن تقويم الألسن ، يأتي عن طريق المحاكاة والمران المتواصل فقط ، ويقيسون ذلك بشعراء الجاهلية الذين لم يعرفوا الإعراب ولا النحو . فالقياس هنا لا يتسم بالموضوعية ؛ لأن الإنسان العربي في هذا العصر الحاضر ، لا يتاح له سماع اللغة الفصحى من أهلها كما في السابق ؛ وذلك لانتشار العامية وشيوع اللحن من جهة . والتحديات الكبيرة التي تواجه الأمة من جهة أخرى كالغزو الثقافي والفكري عن طريق الفضائيات وغيرها من وسائل الاتصال الحديثة .

يقول الدكتور : صبحي الصالح : « ولما أصابت العربية حظاً من التطور أضحى الإعراب أقوى عناصرها ، وأبرز خصائصها ، بل سر جمالها ، وأمست قوانينه وضوابطه هي العاصمة من الزلل ، المعوضة عن السليقة ، لأن الناس أدركوا حين بدأ اختلاطهم بالأعاجم أنهم لولا خلاطهم لهم لما لحنوا في نطق ، ولا شذوا في تعبير «[٧٠] .

وهكذا لم يوضع الإعراب لتحسين الكلام ولا لزخرفته وتلميعه ، بل وضع لتمييز المعاني المختلفة وإيضاحها والدلالة المعنوية عليها.

وبعد أن صار الإعراب فنا نشأ مع علم النحو، استعان به المفسرون في توضيح الآيات في كتبهم المفسرة ، ولذلك كان تعلم الضبط الإعرابي، وقواعد النحو أمرًا ضروريًا في فهم القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف ، والتراث العربي من شعر ومثل وحكمة ؛ لأنه إذا اختلف الضبط الصحيح فسد المعنى .ومن هنا حفظ الإعراب العربية فكان سمة تضاف إلى سماتها الكثيرة التي جعلت منها لغة قادرة على الدوام على الرغم من التحديات التي تعصف بها ، فبالرغم من صعوبة الإعراب التي يقر بها أهلها قد أضاف سعة جديدة إلى المعاني بتعدد دلالات المفردة بتعدد موقعها في الكلام ، وبالحفاظ على النظام التركيبي الذي يجعل مساحة الاشتراك بين المتكلم والمتلقي أوسع وأرحب ، وهذا من مبادئ الدراسات اللغوية الحديثة التي نظرت إلى اللغة على أنها ظاهرة اجتماعية .

ثانيا: المصادر الخارجية الموضوعية : ومنها

١- القرآن الكريم

للقرآن الكريم الأثر الكبير في الحفاظ على العربية وتعزيز مكامن القوة فيها ، فهو قد أعطاها أولا ذلك الرباط المقدس بينها وبينه لأنه المعجزة الخالدة والدستور الذي يتفق عليه المسلمون وإن تعددت مذاهبهم أو تلونت مشاربهم ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن القرآن قد لفت الأنظار إلى إمكانات اللغة والطاقات التعبيرية التي تكمن في أسلوب نظم الكلمات في الجمل والنصوص وما ينتج عنها من معان تستطيع أن تعبر عن كل الأغراض والمفاهيم بدقة عالية ، فضلا على أن هذا النص قد حافظ على لون زاه من ألون العربية ، وفي مرحلة من مراحلها العمرية تعد الأفضل والأنقى ، ولهذا حفظها في ذروة التطور وفي قمة النهوض اللغوي ، ولعل هذا ما يفسر بقاء العربية خالدة إلى يومنا هذا .

وقد لفت القرآن الكريم أذهان العرب إلى هذه اللغة التي كانت موضع تفاخر العرب واعتنائهم بتلك الإبداعات اللغوية التي انتظمت لآلئ ودررا بأسلوب فني وإبداعي فهب العرب المسلمون لدراسته ودراسة لغته ، ومن هنا بدأت أولى مراحل الاعتناء باللغة وجمع مفرداتها في الكتب وتدارس إمكاناتها ، وبدأت مراحل التأسيس للنظريات اللغوية في ذلك الحين ، فانبثق تراث ضخم يحفظ للعربية مكانها ويعلي من شأنها ويؤسس لها طريق الخلود والاستمرار.

وحين نشير إلى أن القرآن لفت إلى الطاقة الإبداعية الكامنة للغة العربية تلك الطاقة التي وصلت بها حد الإعجاز فإننا نشير إلى زخم حياتي جديد للغة العربية لم تعهدها من قبل وكانت سببا مباشرا في بقائها حية بين أخواتها من اللغات السامية القديمة .

فلم تكن الألفاظ في القرآن الكريم في مجملها مما لم يسمعه العرب ، إلا أن تناسقها كان غاية في الإبداع في السياق الجملي ، وهي قريبة التداول بعيدة المعنى ملكت من أسباب البقاء ما أتيح لها أن تنسلخ من ضيق لغة القبيلة الواحدة والبداوة المنغلقة إلى أفق أرحب

بكثير يعد بداية انطلاقة لحضارة جديدة تستوعب المستقبل بكل تطلعاته . وعلى الرغم مما وصل إليه الأدب العربي قبل الإسلام من الرفعة والرقي يبقى في لغة القرآن شيء متميز في الصنعة والصياغة حتى لو كان اللفظ نفسه ، فعملية التركيب وضم اللفظة إلى أختها ، والكلمة إلى ما يناسبها ، جعلها في مناخ جديد ، أثر في حياة الألفاظ . والقرآن ليس معجما لمفردات اللغة يضم كل ما استعمله العرب من ألفاظ ، بل هو طريقة استعمال لهذه المفردات ، وليس الذي اعجز العرب عن الإتيان بمثل آياته الشريفة فيما تضمن من ألفاظ اللغة بقدر الطريقة التي جاءت بها هذه الألفاظ، لذلك أخذ القرآن من ألفاظ اللغة ما هو أقدر على الإحاطة بالمعنى وأبلغ في تقديمه. وهنا تتجلى القيمة الإعجازية للقرآن الكريم ، فهو الوحيد في تاريخ معجزات الأنبياء الذي رفع من شان لغات البشر فاتخذها وسيلة إعجاز وبرهنة على رسالة السماء ، قال ابن الأثير(ت٧٣٨هـ) : « وإذا نظرنا إلى كتاب الله تعالى الذي هو أفصح الكلام وجدناه سهلا سلسا، وما تضمنه من الكلمات الغريبة يسير جدا هذا وقد انزل في زمن العرب العرباء وألفاظه كلها من أسهل الألفاظ وأقربها استعمالا، وكفى به قدوة في هذا الباب قال النبي « وما انزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني « يريد بذلك فاتحة الكتاب «[٧١] .لذلك خلت ألفاظ القرآن من كل تعقيد سواء أكان ذلك التعقيد مبعثه تنافر حروف اللفظة الواحدة أم كان من عدم انسجامها مع قريناتها داخل البناء الجملي وخلت مما تمجه الأسماع من غرابة استعمال أو زيادات في مبنى اللفظة تكون على حساب ذائقة السمع الاختيار- إذن - إحدى أظهر السمات القرآنية في استعمال الألفاظ العربية ، فهناك ألفاظ عدل القرآن الكريم عن استعمالها لابتذالها مثل لفظة (آجر) مستعيضا عنها تركيبا في غاية الأناقة في قوله تعالى:﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً ﴾[٧٢] ، فعبر عن « الأجر بالوقود على الطين «[٧٣] .وعدل القرآن عن استعمال صيغة الفعل الماضي (ودع) لأنها غير مستحسنة بهذه الصيغة كقول أبي العتاهية[٧٤] :

(المضارع)

وكان ما قدموا لأنفسهم

أعظم نفعا من الذي ودعوا

وبهذا يكون القرآن الكريم قد وهب الألفاظ العربية زخما كبيرا من الحياة بتخطي المدلول الجاهلي للفظة وإضافة مدلولات جديدة استوجبتها المرحلة الفكرية الجديدة للغة الإسلام ، الأمر الذي جعلها تبدو وكأنها جديدة على الرغم من أن لها جذورا ومعاني استعملت في العصر الجاهلي ، كألفاظ القرآن والعقيدة والإيمان والتقوى والمعاد .

إن المسيرة التاريخية الحافلة بكثرة ماوضع من مصنفات في إعجاز القران البياني بدءا من الجاحظ(ت٢٥٥هـ) والرماني(ت٣٨٦هـ) والباقلاني(ت٤٠٣هـ) والشريف الرضي(ت٤٠٦هـ) والسيد المرتضى(ت٤٣٦هـ) حتى عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) الذي أضاء بعض طريق الباحثين في دراسة نظم القرآن وحدد مجال الإعجاز

البياني في بناء الجمل وطرائق نظمها بأنظمة العلاقات التي تنتظم عناصر التركيب الواحد ، أي طريقة في إقامة العلاقات بين عناصر الجملة بالاستغلال الأمثل لمعاني النحو، أقول ، إن هذه المسيرة العلمية قد كشفت أن للقرآن أسلوبه في تفجير كل مستويات اللغة التركيبية واستغلال طاقتها في إقامة علاقات غير متوقعة بين العناصر التي تتشكل منها الجمل . ولعل أظهر إعجاز يمكن وضع اليد عليه لهذا الأسلوب هو دقته وخلوه من أي خلل تركيبي قد يضعف بناءه .

٢- التراث القديم الضخم

تستند اللغة العربية بسبب قدمها إلى تراث ضخم من الأدب والتاريخ والمعارف الأخرى ، كتبت بلغة ناصعة فصيحة ، ما زالت إلى هذا اليوم معينا يستقي منه الدارسون وينهل من عذبه الشعراء والأدباء كلما ابتغوا الإجادة في صورهم الشعرية والتراكيب اللغوية . فالشعر ديوان العرب ولا تداني مكانته من جهة القدم والجودة أمة من أمم الأرض أو لغة على هذه المعمورة . ولا ريب في إن ضخامة تراثها وسعته وامتداده رسغ مهم يمدها بالحياة ويجددها كلما أخلق الزمن . وظل الخلفاء والأمراء على امتداد التاريخ يحتكمون إلى هذا التراث كلما أشكل عليهم مشكل ما ، وهم بذلك يعيدون إنتاجها ويحيون مآثرها ، فمما نذكر إشكال الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور على تفسير قوله تعالى ((طلعها كأنه رؤوس الشياطين))[٧٥] بهذه الصورة التخييلية ، إذ من عادة العرب تشبيه الموهوم بالمحسوس لا تشبيهه بموهوم آخر، ففسره العالم اللغوي أبو عبيد بجواز ذلك، لشيوع الصورة في أذهان الناس حتى كأنها حاضرة محسوسة مستندا إلى تراث عربي زاخر بقول الشاعر الجاهلي امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي

ومسنونة زرق كأنياب أغوال

ومثل ذلك حين أشكل على المأمون العباسي قراءته للحديث النبوي الشريف ملحونا ((إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز)) بفتح السين في لفظ (سداد) فصححه له جليسه النضر بن شميل بكسر السين، إذ يرويها هو نفسه بقوله: ((وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا .. فقال: ما الفرق بينهما قلت السداد القصد في السبيل والسداد في البلغة وكلما سددت به شيئا فهو سداد[٧٦] ، قال أفتعرف العرب ذلك؟ قلت: نعم. هذا العرجي[٧٧] ،من ولد عثمان بن عفان، يقول:

أضاعُوني وأيَّ فَتىً أضاعوا

ليومِ كريهةٍ وسدادِ ثَغـرِ

فأطرق المأمون مليا ثم قال قبح الله من لا أدب له))[٧٨] .

وما زالت اللغة إلى هذا اليوم مصدرا مهما لتفسير الصيغ القانونية والفقهية والشواهد على ذلك كثيرة . وهي بعد محل اعتزاز لدى أبنائها المثقفين بشكل خاص والعالم بصورة عامة لعمق امتدادها التاريخي وحضورها في عالم اليوم وهي لذلك تعد مورد قوة لها.

المبحث الثاني

مصادر الضعف

ويمكن تشخيص مصادر الضعف التي تقف عائقا كبيرا أمام حياة اللغة العربية وسيادتها بمصدرين مهمين من أشكال الضعف هما: اللهجات المحلية ، وتحديات العصر الحديث ، ولكل منهما تفريعات سنحاول تفصيل الكلام فيها.

أولا: اللهجات المحلية

يمثل ظهور اللهجات العامية انكفاء حادا للغة العربية الفصيحة التي وحدت اللهجات قبل أكثر من ألف وخمسمائة عام ، وتدهورا رهيبا في سلم تطورها فهي بمثابة الابن غير الشرعي بالنسبة للغة الفصيحة الأم ، ونموها المطرد سيشكل تهديدا جادا لبقاء اللغة العربية وسيرورتها ناهيك عن انحسار سيادتها واقتصارها على المتخصصين بها فقط. ولا ريب في أن من أكثر التحديات التي تواجه سيادة اللغة العربية اليوم هي مجافاة أهلها لها وإحلال اللهجات العامية المحلية بديلا عنها، مما يعني استبدال خصائص بخصائص وصورة بصورة ، الأمر الذي ينتهي إلى التخلي عن الهوية الجامعة للعرب .

للعربية سماتها التي أهلتها لأن تكون القالب الإعجازي للقرآن الكريم ، ولو لم تكن فيها تلك الطاقة لما اتخذ الله - جل وعلا- منها مادة إعجاز لنبوة محمد (ص) ، فهي اللغة الوحيدة من بين لغات البشر لفتت النظر إلى ما كمن فيها من تركيب عجيب ومرونة في الأداء وقدرة على الاستيعاب، واستبدال اللهجة المحلية بها يعني التخلي عن تلك السمات الإبداعية كلها .

إن التخلي عن اللغة العربية لغة في الحوار اليومي بكل تفاصيل الحياة المعاصرة ابتعاد عن الذوق الرفيع والطراز الأصيل الذي تشكله خصيصة الإعراب وعمق الاشتقاقات وتنوعها فيها . ومن المعلوم أن حياة اللغات بحياة المتكلمين بها وكثرتهم ، ولو عرضنا صدود الشارع العربي في حواره اليومي وتجافي الإعلام الرسمي في وسائل الاتصال الحديثة عن ممارسة اللغة العربية لأيقنا بفداحة الحيف الذي لحق بلغتنا وحجم الخسران لمجافاة عمق ألفاظها وقدرتها على الإحاطة بالمعنى ، في الوقت الذي يمكن أن تكون وسائل الإعلام والدعاية المرئية في عالم اليوم اسهامة عملية للترويج للغة العربية ، لكن بدلا من ذلك نجد أبناءها نأوا بأنفسهم عنها إلى بدائل من الألفاظ والتراكيب لا تمت إليها بصلة في كثير من الأحيان ، حقا إن الخطر يتهدد اللغة من داخلها. ومن هنا منشأ جدية الخطر المحدق بلغتنا العربية ، فأبناؤها استساغوا عقوقها واستعاضوا عنها بأم أخرى هجين، وبقاء هذا الحال يعني انحسار مستقبلها على ثلة من المتخصصين بها أو المتعلمين على سبيل النجاة، من أجل قراءة القرآن وقراءة سورة الفاتحة في الصلوات الخمس .ولعل من أخطر ما حاولت هذه الدراسة رصده هو تشخيص هذا الداء العضال الذي ينخر في جسد اللغة العربية المتمثل بلي ألفاظه الفصيحة لما يناسب القالب المحلي تصريفا ودلالة ، إنها أشبه بعملية سطو وإغارة على الألفاظ الأصيلة

وإعادة صياغتها على وفق اللسان الدخيل الذي لم تعتده أصوات العربية الأصيلة التي كان الصوت القرآني منها يعد أرقى نماذج الصوت الإنساني عامة والعربي بشكل خاص .

مختصر المعالجة:

ومهما قيل عن أسباب تدهور اللغة العربية وألفاظها فإن أهم ما يمكن القيام به الآن من معالجة لإيقاف هذا التدهور هو:

١- وضع حد لزحف اللهجات العامية عليها.

٢- إيجاد السبل الكفيلة لتحبيب أبنائنا ونشئنا الجديد باللغة، بعبارة ثانية تقوية الجبهة الداخلية للغتنا ثم إظهارها بعد ذلك لغة موحدة تليق بعالميتها.

ولست اشك في أن هذا الهم من أكبر التحديات التي تستعصي على سيادة اللغة، وأقول تستعصي لأن حياة قوة هذه التحديات وضعفها في أيدي أبناء هذه اللغة، فإذا استطاعوا وقف معاول اللهجات المحلية وهدها لأسوار لغتهم الفصيحة وألفاظها فلاشك بعد ذلك في ديمومتها حية غضة طرية .

ماذا تصنع اللهجات المحلية ؟

أصبح الصراع واقع حال خطير بين العربية الأم واللهجات المحلية ، غير أن خطورة هذا الصراع يكمن في اعتياش اللهجات المحلية على جسد اللغة العربية الفصيحة وروحها ، فاللهجة المحلية تعمل على التشويه الداخلي للغة والعبث بألفاظها من محورين خطيرين هما : التغيير الصرفي والتحول الدلالي. وسنقف على كل منهما بتكثيف الفكرة .

المحور الأول: التغيير الصرفي

إن مشكلة اللهجات العامية في عموم البلاد العربية أنها سماعية في تشكيل المفردة والتركيب ، لذلك انبنى نظامها من هذه العشوائية التي تشير إلى بدائية نشوء أي لغة تتخذ من الشفوية أساسا لها . وعلى أساس هذا السماع ستتشكل المفردة تشكيلا مغايرا لأصلها الصرفي ، وقد حصرت الدراسة ثلاث صيغ من هذه التغييرات الصرفية التي تمس الألفاظ الفصيحة هي الإبدال والقلب والحذف وسنحاول توضيح ذلك بالأمثلة من اللهجة التي تخص الباحث وهي العراقية أنموذجا يمكن القياس عليه لباقي اللهجات المحلية العربية.

١- الإبدال :

والإبدال في اللهجات المحلية واحد من أشكال هذه الشفوية، وهو وإن كان ظاهرة لغوية طبيعية في اللغة العربية يقصد به تفضيل بعض حروف الكلمة على بعض ، إلا أن خطورته في اللهجات المحلية لأنه يرتكز إلى استلاب اللفظة الفصيحة خصائصها وإسباغ سمة جديدة عليها ليست من بنيتها ، بعبارة ثانية نسيان الشكل الأصلي للفظة بالاعتياد على الشكل الجديد الذي فرضه الاستعمال المحلي لها ، وهذا النمط يكثر في أغلب الألفاظ التي تتقارب مخارج حروفها إذ تفضل اللهجة العامية نطق الحرف في اللفظ بدءا من مقدم الفم وانتهاء بالحلق. ويمكن توضيح ذلك بالجدول البياني لبعض المفردات الفصيحة التي مسها التحريف واللي .

جدول بالتغييرات الصرفية لأشكال الألفاظ الفصيحة (الإبدال)

اللفظ الصحيح	معناه	اللفظة المحلية	التغيير الصرفي
جأر	رفع الصوت بتضرع واستغاثة	جعر	ابدال الهمزة عيناً
رأبل	الميلان في المشي وتطلق على الذئب	امرعبل	ابدال الهمزة عيناً
دربأ	تدربأ الشيء تدهدى	دربيته	ابدال الهمزة ياءً
مرآة	واضحة المعنى	امراية	ابدال الهمزة ياءً
أذن	رفع الصوت بالأذان	وذن	ابدال الهمزة واواً
أين	اسم استفهام	وين	ابدال الهمزة واواً
أداه	فعل ماضي	وداه	ابدال الهمزة واواً
أججت	اشتعلت	وجت	ابدال الهمزة واواً
الماظ	البريق واللمعان	الماز او الماس	ابدال الهمزة الى الزاي او السين
ياليت	حرف تمني	ياريت	ابدال اللام راءً
جبريل		جبرين	ابدال اللام نوناً
سرط		زلط	ابدال السين زاياً
حندس	الليلة المظلمة	هندس	ابدال الحاء الى الهاء
عندب	اللحمة الصلبة حول الحلقوم	غندب	ابدال العين غيناً
عكمس	قطيع الإبل أو الليل المظلم	عكمش	الثوب المجعد او الوجه الغاضب
طازج		تازة	إبدال الطاء الى التاء
طنبل	الرجل البليد	تنبل	إبدال الطاء الى التاء

جدول بالتغييرات الصرفية لأشكال الألفاظ الفصيحة (الإبدال) ونلحظ من الجدول التنبيهات الآتية :

١- الهمزة من أكثر الحروف في الألفاظ الفصيحة التي تعرضت إلى التشويه والإبدال واللي.

٢- الهمزة والعين حرفان حلقيان متقاربان في نطق صوتيهما[٧٩]لذلك وقع في اللسان العربي إبدال الهمزة عينا وتسمى هذه الظاهرة اللغوية العنعنة ولاسيما في لغة تميم وقيس وأسد ، ونقل ابن منظور عن الفراء قوله : ((لغة قريش ومن جاورهم أن، وتميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف أن إذا كانت مفتوحة عينا ، يقولون: أشهد عنك رسول الله ، فإذا كسروا رجعوا إلى الألف)) [٨٠]، وما زالت هذه الظاهرة اللغوية الصوتية مستمرة لحد الآن[٨١] فكثير في لهجات العامية العراقية اليوم من يبدل الهمزة عينا فيلفظ القرآن مثلا (قرعان).

٣- خطورة الأمر على اللغة العربية حين يتحول هذا الإبدال إلى تغيير جذري في بنية اللفظة بسبب اعتياد الاستعمال ونسيان أصل اللفظة المهموزة ، الأمر الذي يعني القضاء على اللفظة العربية الفصيحة واستبدال لفظة عامية أخرى بها ، مثل هذا الاستعمال نجده في لفظة (جأر) وتصريفاتها (جأر يجأر جأرا وجؤارا) وهي رفع الصوت مع تضرع واستغاثة[٨٢] وقد استعملت في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم بصيغة الفعل المضارع نحو قوله تعالى: ﴿لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لا تُنْصَرُونَ﴾ [٨٣]، وجاء في الحديث النبوي((كأني أنظر إلى موسى منهبطا وله جؤار إلى ربه بالتلبية)) [٨٤] . إذن هو تغيير دلالي وصرفي .

٤- ومما يلحظ على الاستعمال المحلي للفظة إضافة همزة الوصل إليها، وهي سمة كثيرة الاستعمال في أغلب الألفاظ تجنبا للمتحرك من الحروف الذي يبتدئ به اللسان العربي الأصيل ، وتلك مفارقة كبرى بين اللغة العربية واللهجات العامية المحلية عامة ، إذ الأولى تبدأ بمتحرك دائما بينما الثانية تتجنبه دائما.

٥- إن كل تلك الانتقالات الصوتية بسبب تفضيل اللسان المحلي للحروف الشفوية على الحروف الحلقية في الألفاظ لسهولتها في النطق ، مثل (أذّن) و(وذّن).

٦- إن أكثر الألفاظ التي وقع بينها الإبدال إنما حصل بسبب تقارب مخارجها الصوتية لا تباعده .

٢- القلب :

والمقصود به القلب المكاني وهو ((تقديم بعض حروف الكلمة على بعض))[٨٥]، وهو في اللغة الفصيحة أمر شائع يقول ابن جني ((اعلم أن كل لفظين وجد فيهما تقديم وتأخير فأمكن أن يكونا جميعا أصلين ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه فهو القياس الذي لا يجوز غيره وإن لم يكونا ذلك حكمت بأن أحدهما مقلوب عن صاحبه ثم أريت أيهما الأصل وأيهما الفرع)) [٨٦] مثل لذلك ابن جني بـ (جذب وجبذ) ومثل للمقلوب بـ (يئس وايس) . ولا ضير على اللغة من القلب ولاسيما مع استعمال الشكلين من اللفظين ، غير أن الإشكال يكمن حين يغير الشكل الأصلي ويستعمل الجديد فقط ، وفي العامية لا يوجد قلب بالمعنى الاصطلاحي لهذه الظاهرة اللغوية بل هو لي وتحريف وإنما أطلق هنا من باب التجوز لأن القلب يعني أن يكون اللفظان مستعملين أصلا وليس

هو الحال في العامية ، العامية تقلب اللفظة الفصيحة إلى لفظة أخرى لا وجود لها وتستعمله بمعنى اللفظة الفصيحة ، إنها تستعمل جسدا مشوها بروح نقية ، هذا ما يجري على اللسان المحلي في الأداء اليومي ويمكن توضيحه في الجدول البياني الآتي :

جدول بالتغييرات الصرفية لأشكال الالفاظ الفصيحة (القلب)

اللفظ الفصيح	معناه	اللفظ المحلي	التغيير الصرفي
حشرج	الغرغرة عند الموت	شحرج	اللسان العامي يفضل نطق الحرف الشفوي أولا على الحرف الحلقي لذا قدم الشين على الحاء
دعرم	قصر الخطو	درعم	الذي يكثر الكلام
طحلب	الخضرة على رأس الماء	امطحبل	تطلق على الشخص القصير الممتلئ وحصل فيها قلب كما هو واضح

ويبدو من الجدول الآنف أن اللهجة المحلية تستسهل تقديم الأصوات الشفوية على الحلقية لسهولة نطقها، فتعمد إلى لي اللفظة الفصيحة لتناسب الطبيعة الجديدة لمخارج الأصوات أو تركيبها بسبب اعتياد مجافاته للتركيب الأصيل للفظة العربية مثل ذلك لفظة (حشرج) الفصيحة وتستعملها اللهجة العامية (شحرج) على الرغم من عدم توافر لفظة بهذا المعنى والشكل في الاستعمال العربي الفصيح .

ثانيا: التحول الدلالي

يعد التحول الدلالي للألفاظ الفصيحة في اللهجات العامية نموا سلبيا في عمرها لأنها تستعمل بعيدا عن مجالها الدلالي الذي نمت فيه، فهو- إذن - لي آخر تشهده الألفاظ الفصيحة، ولكن هذه المرة باستعمال الشكل نفسه بمضمون آخر ، وهذه الظاهرة يمكن رصدها بالجدول البياني الآتي :

جدول بالتغييرات الدلالية للألفاظ الفصيحة

اللفظ الصحيح	معناه	اللفظ المحلي	التغيير الدلالي
غبر	من الغبار وتستعمل للذئب والمسافر	أغبر	تستعمل في اللهجة المحلية للشتم والنيل من الشخص
بع	التتابع والتركيز	باوع	مرت بتحول صرفي ودلالي
قرمط	التقارب في الخط	كرمط	الأكل شيئاً فشيئاً ولاعلاقة لها بأصله الدلالي

نخلص من الجدول الماضي الاستنتاجات الآتية :

١- إن لفظة (غبر) فصيحة كما في قوله عز وجل : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ [٨٧] .ويقال عز أغبر، أي ذاهب دارس ، وقد يسمى الفقراء بني غبراء للصوقهم بالتراب كما قيل لهم المدقعون للصوقهم بالدقعاء ، وهي الأرض كأنهم لا حائل بينهم وبينها[٨٨] .ويبدو أن لفظة (أغبر) توحي بالمسافر الذي يتحمل المشاق ومنه قول عمر بن أبي ربيعة مفتخرا[٨٩] :

أخا سفر جواب أرض تقاذفت
به فلوات فهو أشعث أغبر

ولا ريب في أن هذه الدلالة معدول عنها في الاستعمال المحلي .

٢-إن لفظة (باوع) من أكثر الألفاظ استعمالا في اللهجة العراقية، ويراد بها (أنظر) ويبدو أن هذه اللفظة قد مرت بتحولين صرفي ودلالي جعل العثور على أصلها أمرا عسيرا ، فاللهجة العراقية تستعمل بمعنى النظر ألفاظا جميلة قريبة من الفصيح مثل

(عاين ، اتفكر ، شوف ، اتنوع)، غير أن الأكثر شيوعا هي لفظة (باوع) فمن أين جاءت؟ وما أصلها ؟ يبدو ثمة احتمالان لأصلها ، الأول من (الباع) وهو مد الذراع ويعني جعل المنظور ما بين مد الذراع والاستعمال العامي زاد (الواو) للسهولة وهذا الأصل ضعيف. أما الثاني فمن (البع) وهو يعني التركيز والتتابع والإلحاح على الشيء[٩٠] ويبدو أنها لفظة بدوية مرتبطة كثيرا بالبيئة لأنها ترتبط بالمطر دائما يقال بع السحاب يبع بعا وبعاعا إذا ألح بمكان[٩١] أو ألح بمطره ، والبعاع ثقل السحابة من الماء ومنه قول امرئ القيس :[٩٢]

فألقى بصحراء الغبيط بعاعه

نزول اليماني ذي العياب المخول

فهو إذن يعني التتابع والإلحاح والصب في سعة وكثرة ومن هنا استعمل على سبيل التوسع والتفاؤل بقرائن الانطلاق من هذه المعاني، والغريب أن العامية العراقية ما زالت في بعض الأحيان تستعمل لفظة (بع) فيقال (باعه) بمعنى (انظر إلي). والحق الواقع إن الألفاظ الفصيحة ثلاثية الأصل التي مسها التحول الدلالي كثيرة لا يسع المجال لذكرها فمنها على سبيل المثال (نحر ، ردس ، ميش ، طيخة ، حرن ، هوسة)

وصفوة القول إن التحدي الأكبر الذي يقف عقبة أمام حياة لغتنا ونموها نابع من الناطقين بها العازفين عنها لأنهم يتكئون على ألفاظها ويحرفون بناها ودلالاتها.

ثانيا : تحديات العصر الحديث

ويمكن حصر تحديات العصر الحديث بوجه اللغة العربية بثلاثة تحديات هي :

التحدي الأول : شبكات التواصل الاجتماعي

أصبحت اليوم شبكات التواصل الالكترونية وسيلة مهمة من وسائل الاتصال اللغوي بين أبناء العربية – مدار بحثنا – وتبادل الأفكار والتحيات ، مثل الـ face book و twitter ، وهي من نتاج عصر الـ inter net الذي جعل العالم في قرية واحدة فعلا . وتمثل هذه الشبكات الالكترونية تحديا كبيرا بسبب سهولة استعمالها لغة ، وانتشارها سريعا. ويبدو إن تشخيص الضعف في التداول اللغوي الالكتروني يرجع للأسباب الآتية :

١- التساهل باستعمال اللغة والخطأ في تشكيل ألفاظها

٢- إعادة الاستعمال المغلوط بسبب سهولة انتشاره

٣- غياب النخب عامة عن هذه الوسائل الالكترونية الجديدة .

٤- أنها بوابة كبيرة لنشر العاميات المختلفة .

٥- غير خاضعة لضوابط الكتابة الصحيحة .

ويرجع حصر هذه الأسباب إلى إجراءات مسحية للمشتركين معنا في صفحات الـ face book بعد أن أحصيت طبيعة الأغلاط الإملائية ودراستها على وفق جداول من النشر أو التعليقات .

بعض الناس يرى في تساهل اللغة أمرا طبيعيا ما دامت الفكرة تصل وأن لا داعي للبحث في قضية الإملاء السليم أو التركيب الصحيح ، وهذه القناعة السلبية هي التي سهلت شيوع العاميات وأنبتتها من داخل لغتنا الأم .

التحدي الثاني : الإعلام

لا ريب في أن الإعلام اليوم مادة ثرية يمكن أن تكون عامل قوة للغة العربية لو أمكن استثماره على نحو سليم ، مثلما يمكن أن يكون مورد ضعف لها يمكن

أن تؤتى من جانبه. ونحن نعد وسائل الإعلام مصدر ضعف للغة اليوم بسبب ضعف المتكلمين باللغة الفصيحة وتساهلهم باستعمال ألفاظها وتراكيبها اللغوية ، ويمكن حصر أسباب الضعف بما يأتي :

١- سعة وسائل الإعلام وقوة انتشارها .

٢- ضعف استعمال اللغة لعدم مهنية الإعلاميين عامة .

٣- استعمال اللهجات المحلية بديلا سيئا للغة الأم.

٤- سهولة التأثر بلغة الإعلام الركيكة والضعيفة أصلا، ولاسيما من حديثي السن والصغار وإعادة إنتاج الأخطاء اللغوية .

لذلك كله يعد الإعلام واحدا من أكبر التحديات التي تقف بوجه لغتنا ما لم نعد العدة له ، ونعمل مجتمعين لتدريب المتصدين للعمل الإعلامي على استعمال صحيح للغة العربية ، وإقناعهم بعدم استعمال اللهجات المحلية، في البرامج التثقيفية أو وسائل الإعلان المختلفة .

التحدي الثالث: المعارف الحديثة

تتهم العربية اليوم بأنها ليست لغة المعرفة الحديثة ، بسبب ابتعادها عن الإنتاج المعرفي والعلوم المحضة، والاتكال على اجترار اللغة التراثية من التاريخ والأدب. ويرون ذلك دليلا على انحسارها ووجوب تبديلها بلغات أخرى مواكبة لسيرورة الزمن والعصر الحديث على حد زعم من يتبنى مثل هذه الأفكار. وهنا لابد من الوقوف على مجموعة من الحقائق ومناقشتها:

أولا:

إن من الأسباب الرئيسة لسيادة لغات أخرى في العالم غير العربية كالانكليزية والفرنسية هو إن النهضة العلمية الحديثة كانت من نتاج أبناء هذه اللغات من الغربيين. فمنذ القرن التاسع عشر إلى هذا اليوم من الألفية الثانية ما زالت هذه اللغات مادة إنتاج حيوية للعلوم المحضة والتجريبية في شتى المجالات الطبية والفيزياوية والكيميائية والرياضية وغيرها ، وهي أصبحت محل اقتداء واقتباس بسبب الفائدة العظيمة التي قدمتها للإنسانية وما فعلته من نقلة نوعية في سلم التطور والرقي في تاريخ الحضارات البشرية . ومن الطبيعي أن تدرس هذه المعارف في مناشئها وتنقل بأفكارها الأصلية ولغاتها الأجنبية، لأنها ليست من نتاج العربية أصلا . وهو من جهة خطيرة يشير إلى تراجع أبناء العربية في مواكبة العصر والإنتاج المعرفي فاللغة وعاء الفكر . وهذا شأن الحضارات، يتم بعضها نقص بعض ، فإلى قرون ماضية كان إنتاج مثل هذه المعارف يتم باللغة العربية على أيدي علماء من مختلف بقاع العالم كجابر بن حيان والحسن بن الهيثم وابن سينا والفارابي والرازي وغيرهم من القائمة الطويلة التي لا أشك في أن علماء الغرب ولاسيما جارتنا أوروبا قد تعلموا العربية وترجموا هذه المعارف وأفادوا منها في ثورتهم العلمية في الوقت الذي كنا مشغولين بالانقسامات ولوك التاريخ .

نعم نحن نقر بأن المعرفة اليوم تمثل مصدرا من مصادر الضعف الذي يواجه لغتنا وقد أضعفها إلى حد كبير بحيث بدت وكأنها لا تصلح إلا إلى لغة الشعر والأدب، ولا يمكن أن تكون لغة للمعرفة الحديثة بحيث أصبح الطبيب والمهندس والفيزياوي والكيميائي لا شأن له بالعربية وليست مادة تفكيره ما دام أن ما يتلقى من علوم من لغة أجنبية ، نقر بذلك كله ، ولكن ذلك تشخيص للداء نرجو منه الوصول

إلى ابتكار الدواء ، وهو ببساطة وجوب النهوض العلمي في بلداننا والتفكير بلغتنا وتفجير الطاقات العقلية على تربة هذه اللغة . باختصار : نفعل مثلما فعلت أوروبا معنا ، نقل العلوم وترجمتها وعدم الاكتفاء بذلك ، بل العمل على تطويرها وتوظيفها في خدمة الإنتاج المعرفي . وفي بعض الجامعات العربية كالجامعات العراقية فرض على الأقسام العلمية المحضة تعليم العربية العامة وأدخلها في مناهجها بوصفها حلا لعدم الابتعاد عن اللغة الأم ، وهو إجراء ترقيعي لا يمضي أبعد من الشكل ولا ينفذ في اللباب ، فنحن نبتغي أن تكون اللغة مادة الإنتاج العقلي لهذه الأقسام وتفكيره .

ثانيا:

في نظرة مستقبلية يمكن أن نسأل أنفسنا : هل المستقبل كفيل بالنهوض بالمستوى المعرفي للعقلية العربية وهو السبيل لنهوض السيادة الطبيعية للغة ؟ أيمتلك العرب اليوم مثل هذه المقومات ؟ أتستطيع الجامعات العربية أن تقفز بالمستوى العلمي إلى مصاف الجامعات العالمية الرائدة في الإنتاج المعرفي العقلي ؟ هل وضعت الدول العربية مثل هذه الاستراتيجيات ؟ إن امتلاك الإجابة يحدد لنا مصير لغتنا في المستقبل ما دمنا قد أقررنا بأن تطور اللغات وضعفها وقوتها أصبح مرتبطا بالآلة المعرفية الإجرائية والإنتاجية . لماذا تسود العالم اللغة الانكليزية والفرنسية ؟ أ لأنها سهلة كما يزعم ؟ وهل جربنا لغات البشر في شرق الأرض وغربها حتى نعرف من الأسهل ؟! أليس الأمر مرتبطا بسيادة الأقوياء وأعني بها قوة الاقتصاد وقوة العقل وقوة القيادة وقوة الفكر وقوة إدارة ذلك كله .

الخاتمة

مما سبق يمكن حصر النتائج بالآتي :

١- للغة العربية مصدر قوة هائل مكنها من الثبات بوجه الأزمنة المختلفة .

٢- حددت مصادر قوة اللغة من الداخل بالمرونة الاشتقاقية وبخصوصيتها الإعرابية وتعريبها للألفاظ الأجنبية وباتساعها المجازي . أما مصادر قوتها الخارجية فقد تمثلت بلغة النص المقدس – القرآن الكريم – وبالتراث الأدبي والعلمي الضخم .

٣- حددت الدراسة مصادر الضعف للغة العربية بأنماط عدة وهي بحسب خطورتها : اللهجات المحلية وتحديات العصر الراهن المتمثلة بشبكات التواصل الاجتماعي وبالإعلام وبالثراء العلمي المعرفي المعاصر.

٤- لا بد من أن يعرف المعنيون جوانب القوة والضعف في حياة العربية وأن يكونا الأساس في وضع البرامج اللازمة لحل مشكلة تدهور اللغة العربية على لسان أهلها وفي طبقاتهم الاجتماعية والثقافية كافة .

٥- ضرورة الإسراع في رسم البرامج اللازمة للقضاء على الأمية اللغوية ومعالجة الأمراض اللغوية التي انتشرت أيما انتشار في جسد الأمة العربية ، ولا بد من الانتباه إلى أن التأخر في هذا السعي سيجعل من المشكلة معضلة أعقد يستحيل تداركها أو حلها .

الهوامش

١. ظ : في اللغة العربية وبعض مشكلاتها : أنيس فريحة ، ١٢٢- ١١٣

٢. ظ : ضحى الإسلام : أحمد أمين ، ١ / ٢٨٩ .

٣. هذه التسمية يراها الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه فقه اللغة ، ٢٧٤ ، إلا أن الدكتور صبحي الصالح لا يرى في استبدال هذه التسمية وجها ، ظ: دراسات في فقه اللغة ، ١٧٦ .

٤. ظ : من أسرار اللغة إبراهيم أنيس ٤٥ .

٥. المزهر : السيوطي ١ / ٣٤٧

٦. اللغة : فندريس ، ٢٢٦ .

٧. ظ : ظ : من أسرار اللغة إبراهيم أنيس ، ٤٧

٨. ظ : م . ن ، ٤٥ .

٩. ظ م . ن . ٤٦ .

١٠. ظ : الاشتقاق : أبو بكر بن السراج ، ٣٩ ،٤٠ .

١١. الديوان ١٥١

١٢. ظ : الاشتقاق : أبو بكر بن السراج ، ٣٩ ، ٤٠ .

١٣. ظ : فقه اللغة العربية : كاصدالزيدي ، ٢٩٧ .

١٤. الموشح : المرزباني ، ٣٨٥ .

١٥. الديوان ٣ / ٣٢ .

١٦. الديوان ٣ / ٣٣ .

١٧. ظ : الوساطة : الجرجاني ، ٤٧ .

١٨. التبيان : العكبري ، ٧٠٩ .

١٩. كتاب أرسطو طاليس : الشعر ، ترجمة شكري عياد وتحقيقه ، ١١٦ .

٢٠. ظ : المجاز في البلاغة العربية : مهدي السامرائي ، ٢٤ .

٢١. مفتاح العلوم : السكاكي ، ٥٩٢ ..

٢٢. ظ : م . ن

٢٣. م . ن ، ٦٢٧ .

٢٤. ظ: أسرار البلاغة : الجرجاني ، ٣٤٤ – ٣٧٦ ، ومعجم المصطلحات البلاغية : أحمد مطلوب ، ٣ / ١٩٨ .

٢٥. أسرار البلاغة : الجرجاني ، ٣٥٦ .

٢٦. م . ن ، ٣٢٥ .

٢٧. ظ : في اللهجات العربية : إبراهيم أنيس ، ١٨٣ .

٢٨. ظ : م . ن ، ٢٠٨ .

٢٩. ظ : م . ن ، ١٩٥ .

٣٠. ظ : الدرس الدلالي في ضوء الصاحبي لابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ هـ : تحسين الوزان ، ٤٥ .

٣١. الخصائص : ابن جني ، ٢ / ٢٤٩ .

٣٢. ظ : فقه اللغة العربية : كاصدالزيدي ، ٢٠١ .

٣٣. الحيوان : الجاحظ ، ١ / ٢١٢ .

٣٤. م . ن .

٣٥. ظ : فقه اللغة : وافي ، ٢٢٦ .

٣٦. ظ : م . ن .

٣٧. ظ : م . ن ، ٢٢٦ ــ ٢٢٧ .

٣٨. م . ن ، ٢٢٤ .

٣٩. تاريخ آداب العرب : الرافعي ، ١ / ١٨٠ .

٤٠. ظ : التهذيب في أصول التعريب : أحمد بك عيسى ، ١١٧ .

٤١. التهذيب في أصول التعريب : أحمد بك عيسى ، ١١٨ .

٤٢. ظ : اللغة : فندريس ، ٢٢٨ ــ ٢٢٩ .

٤٣. نظريات في اللغة : أنيس فريحة ، ٧٠ .

٤٤. ظ : نظرات في اللغة و الأدب : الغلاييني، ٣ .

٤٥. دور الكلمة في اللغة : إستيفن أولمان ، ١٦٨ .

٤٦. ظ : أساليب المجاز في القرآن الكريم : أحمد الجبوري ، ٥٣ .

٤٧. من أسرار اللغة : إبراهيم أنيس ، ١٠١ .

٤٨. فقه اللغة : وافي ، ٢٥٢ .

٤٩. اللغة : فندريس ، ٣٨٤ .

٥٠. ظ : في اللهجات العربية : إبراهيم أنيس ، ١٨٢ .

٥١. ظ : م . ن ، ١٩٦ .

٥٢. يراجع عوامل الصراع اللغوي وآثارها في حياة اللغة العربية (علم اللغة) : وافي ، ٢٢٩ ــ ٢٣٢ .

٥٣. ظ: اللغة: فندريس، ٣٤٨، علم اللغة: وافي، ٢٥٣، فقه اللغة وخصائص العربية: محمد المبارك، ٢٩٣ - ٢٩٥

٥٤. المعرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم : الجواليقي ، ٥١ .

٥٥. راجع ماألف في هذا الموضوع رسالة (المعرب في اللغة) : فارس السلطاني ٣٦ -٥٧ .

٥٦. ظ : من أسرار اللغة : إبراهيم أنيس ، ٩٣ .

٥٧. الكتاب : سيبويه ، ٢ / ٣٤٢ .

٥٨. المزهر : السيوطي ، ١ / ٢٦٩ .

٥٩. م . ن .

٦٠. شفاء الغليل : الخفاجي ، ٢٣ .

٦١. ظ : الموشح : المرزباني ، ١٠٣ .

٦٢. ظ : الاشتقاق : أبو بكر بن السراج ، ٤١ .

٦٣. ظ : اللغة : فندريس ن ٣٨٤ .

٦٤. ظ : دور الكلمة في اللغة : غستيفنأولمان ، ١٥٨ ، ١٥٩ .

٦٥. ظ : الاشتقاق والتعريب : المغربي ، ٢٢ .

٦٦. دراسات في فقه اللغة ، ٢٣٧

٦٧. م ن .

٦٨. م ن .

٦٩. الصاحبي ، ٣١٢

٧٠. دراسات في فقه اللغة ، ٢٣٧

٧١. المثل السائر ، ابن الأثير : ١/ ١٥٧

٧٢. القصص : ٣٨

٧٣. المثل السائر : ١٨٣/١-١٨٤

٧٤. أبو العتاهية، الديوان : ٢٦٨

٧٥. الصافات : ٦٥

٧٦. ظ : أساس البلاغة، الزمخشري : ٢٩٠

٧٧. هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان،الشاعر المشهور،لقب بالعرجي لأنه سكن العرج،من الطائف،أخباره في: الأغاني ١ / ٣٨٣ ، والشعروالشعراء: ٥٧٤

٧٨. تاريخ مدينة دمشق،ابن عساكر: ٣٣/ ٢٩٤

٧٩. ظ.سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي :٢٩ ،علم الأصوات اللغوية ، مناف مهدي :٨٤-٨٦

٨٠. اللسان: ٢٩٥/١٣ (عنن)، وينظر : تاج العروس ، الزبيدي : ٣٩٥/١٨ (عنن) .

٨١. ظ. التحريفات العامية للفصحى ، شوقي ضيف : ١٤٥

٨٢. ظ.الصحاح ، الجوهري : ٦٠٧/٢

٨٣. المؤمنون : ٦٥

٨٤. صحيح ابن حبان ، ابن حبان : ١٤ / ١٠٣، وينظر: مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي :٤١٧/٤

٨٥. شرح الشافية ، الرضي : ٢١/١.

٨٦. الخصائص ، ابن جني : ٦٩/٢

٨٧. عبس : ٤٠

٨٨. ظ. لسان العرب ، ابن منظور : ٥ / ٥ - ٦ (غبر)

٨٩. ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٤٥

٩٠. ظ.القاموس المحيط ، الفيروز آبادي : ٦/٣ (بعع) ، لسان العرب ، ابن منظور : ١٧/٨(بعع) .

٩١. ظ. تاج العروس ، الزبيدي : ٢٤/١١ (بعع) .

٩٢. ديوان امرئ القيس : ٢٥

المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١-أساس البلاغة، الزمخشري : دار صادر – بيروت ١٩٧٩ .

٢- الاشتقاق : أبو بكر السراج ، تح محمد صالح التكريتي ، مط المعرف ، بغداد ، ١٩٧٣

٣- الاشتقاق والتعريب : عبد القادر بن مصطفى المغربي ، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

٤- تاج العروس ، الزبيدي ،تحقيق:علي شيري ، الفكر – بيروت ، ١٩٩٤م .

٥- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي ، دار الرائد العربي ، ط٤ ، بيروت ١٩٧٤

٦- تاريخ مدينة دمشق،ابن عساكر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ .

٧- التبيان في شرح ديوان المتنبي : العكبري ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٣٥٥ هـ .

٨- تحريف العامية للغة الفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات ،شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر .

٩- التهذيب في أصول التعريب، أحمد بيك عيسى ، مط مصر ط١ ، القاهرة ، ١٩٢٣ .

١٠- الحيوان، أبو الفتح عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط١ ١٩٣٨

١١- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق: محمد علي النجار، الطبعة الثانية ، دار الهدى للطباعة ، بيروت– لبنان.

١٢- دراسات في فقه اللغة : د . صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، ط٥ ، بيروت ١٩٧٣

١٣- دور الكلمة في اللغة : إستيفن أولمان : ترجمة د. كمال محمد بشر ، ط١٠ .، ١٩٨٦ .

١٤- ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الرابعة ـ دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤م .

١٥- ديوان عمر بن أبي ربيعة تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة المدني القاهرة – ١٩٦٥ .

١٦- ديوان كعب بن زهير،تحقيق: علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ،بيروت ، ١٩٨٧م .

١٧- سر الفصاحة ، عبد الله بن سنان الخفاجي، تحقيق عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح ، مصر ، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣ م .

١٨- شرح شافية ابن الحاجب ،رضي الدين الأستراباذي ، تحقيق محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ،محمد محيي الدين عبد الحميد ،١٩٧٥- دار الكتب العلمية ،بيروت.

١٩- شفاء الغليل في ما في كلام العرب من الدخيل : شهاب الدين أحمد الخفاجي تحقيق : محمد عبد المنعم الخفاجي ، مط المنيرية ، ط١ ، مصر ، ١٩٥٢

٢٠- الصحاح ، الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، ، دار العلم للملايين - بيروت – لبنان ، ١٩٨٧ م .

٢١- صحيح ابن حبان،ابن حبان ،تحقيق :شعيب الأرنؤوط ، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣ م .

٢٢- ضحى الإسلام ، أحمد أمين ، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط٦ ، القاهرة ١٩٦١ .

٢٣- علم الأصوات اللغوية . د.مناف مهدي الموسوي ،عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
٢٤- علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر ، ط٧ ، القاهرة
٢٥- غريب الحديث ،الحربي ،تحقيق: دكتور سليمان العاير، ط١ ، ،دار المدينة للطباعة والنشر والتوزيع – جدة ، ١٤٠٥هـ .
٢٦- فقه اللغة ، د. علي عبد الواحد وافي ، لجنة البيان العربي ، ط٥ ، ١٩٦٢ .
٢٧- فقه اللغة العربية، د. كاصد الزيدي : مديرية الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٨٧ .
٢٨- في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، أنيس فريحة ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٨ .
٢٩- في اللهجات العربية ، د. إبراهيم أنيس ، مط الفنية الحديثة ، مصر ، ١٩٧٣ .
٣٠- القاموس المحيط ،الفيروز آبادي ، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٣١- الكتاب، سيبويه (أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر) تحقيق : عبد السلام محمد هارون مط الهيأة المصرية العامة ، بيروت .
٣٢- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور المصري،دار صادر ودار بيروت ، لبنان ١٣٧٩هـ - ١٩٥٥م.
٣٣- اللغة ، ج فندريس ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص ، مط لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٥٠ .
٣٤- المجاز في البلاغة العربية : د. مهدي صالح السامرائي ، دار الدعوة ، ط١ ، ١٩٧٤ .
٣٥- المزهر في علوم اللغة وأنواعها : عبد الرحمن جلال الدين السيوطي تحقيق : محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، مط دار أحياء الكتب العربية .
٣٦- مسند أبي يعلى ،أبو يعلى الموصلي ،تحقيق:حسين سليم أسد،ط١- ، دار المأمون للتراث. بغداد ، ١٩٩٢ م.
٣٧- المعجم المفصل في علم الصرف ، إعداد راجي الأسمر ، مراجعة د.إميل يعقوب،دار الكتب العلمية ،ط١، بيروت ، ١٩٩٣م .
٣٨- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم : أبو منصور الجواليقي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار الكتب ، ط٢ ، ١٩٦٩ .
٣٩- مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن على السكاكي تحقيق : أكرم عثمان يوسف ، دار الرسالة ، ط١ ، ١٩٨١ .
٤٠- من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس ، لجنة البيان العربي ، ط٢، مصر .
٤١- الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، أبو عبدالله بن محمد بن عمران المرزباني ، المطبعة السلفية ، مصر ، ١٣٤٣ .
٤٢- نظريات في اللغة، أنيس فريحة ، دار الكتاب اللبناني ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٣
٤٣- الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي .

ثانيا : الرسائل الجامعية

١- أساليب المجاز في القرآن الكريم ، أحمد الجبوري ، رسالة دكتوراه مطبوعة بالآلة الكاتبة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٨٩

٢- التعليل اللغوي والنحوي في القرن الربع الهجري (أطروحة دكتوراه) ، ميثم مهدي ، كلية الآداب – جامعة الكوفة ، ٢٠٠٧م .

٣- الدرس الدلالي في ضوء الصاحبي لابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ : تحسين الوزان ، رسالة ماجستير مطبوعة على الالة الكاتبة في جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، ١٩٩٦

٤- المعرب في اللغة : فارس السيد حسن السلطاني رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة في جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، ١٩٩٦ .

حُسْنُ التخلُص فِي مِيزَانِ النَّقْدِ الأدبي
دِراسَةٌ فِي وحدَةِ الْقَصِيدَةِ العربيّة

Elimination in Literary Criticism: A Study of the Unity of Arabic Poem

أ.م.د. عُبِدَ الْحُسَيْنُ طَاهِر مُحَمَّدُ الرُّبِيعِيِّ
جَامِعَةُ مَيَسان /كُلِّيَّةُ التَّرْبِيَةِ / قَسْمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّة

By: Dr. Abd Al-Hussein Tahir Mohamed,
Misan University ,College of Education,
Department of Arabic

ملخص البحث

توجهتْ هذه الدراسةُ الموجزة لتُسهم في صدّ مايواجه تراثنا الشعري من تهمٍ وتشويهٍ لمعطياتهِ، وآثارهِ على الحياة والانسان، ومن بين تلك المطاعن والتهم ما تمثّل في نفي وحدة القصيدة العربية القديمة، وان الشاعر العربي القديم لم يُحسن الخروج من معنى الى معنى آخر ضمن النص الواحد.

لذا ناقش البحث آراء بعض النقاد والدارسين في موضوع الانتقالات في القصيدة العربية،إذ زعم هؤلاء ان الشاعر القديم لم يكن يُعنى بتسلسل المعاني مما افضى – كما يرون- إلى انعدام وحدتها الموضوعية، لكن البحث اثبت خلاف ذلك؛ مبيناً ان للقصيدة وحدةً عاطفيةً هي التي سوّغت انتقال الشاعر من معنى إلى آخر؛ لأن وحدة الشعر العربي هي وحدة المشاعر والدوافع النفسية وليست الوحدة العضوية المزعومة التي حفل بها النقد الغربي وتوهمها في الشعر ابتداءً من ارسطو الى اليوم وامتد هذا التأثر والانبهار الى بعض الدارسين العرب المحدثين.

Abstract

This study contributes to repel against what the poetic heritage has faced of accusation and distortion to its facts and effects on human life .Among these charges is the one that claims that the old Arabic poem lacks unity,and that the old Arabic poet was not successful enough to move from one meaning to another within a single text.

This research discusses some critics' opinions in relation to transitions in the Arabic poem. These critics have claimed that the ancient poet did not pay any attention to the sequence of meanings ,therefore lack of substantive unity. However, the research has proved otherwise, stating that the poem has an emotional unity which helps the poets move from one meaning to another.

الْحَمْدُ للهِ الْمُلهِم الَّذِي عَلَّمَ بالْقلم، علّم الْإِنْسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، والصلاةُ والسلامُ عَلى الْقَائِلِ « أَنَا أَفْصَحُ الْعَرْبِ بِيدَ أَنّي مَنْ قُرَيْشٍ» وَعَلَى آله الَّذِينَ أَذْهِبَ اللهُ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وطهّرهم تَطْهِيرًا، وَرُضِيَ اللهُ عَنْ أَصْحَابِهِ المنتجبين الَّذِينَ جَاهَدُوا مَعَه فِي اللهِ حَـــقِّ جُهْاده وَمَا بدّلوا تَبْدِيلًا.

وبعدَ:

لَقَدْ نَظِرَ الْعَرَبُ إِلْي الشِّعْرِ نظرةً خاصةً تُشِيرُ إِلَى بالِغِ اِهْتِمَامِهِمْ بِهِ حتى قالَ قَائِلَهُمْ:» الشَّعْرُ دِيوانُ الْعَربِ أَوْ كَمَا قَالَ اِبْنُ سلاّم الجُمحيّ فِي طبقاته.... دِيوانُ علمهم، وَمُنْتَهى حُكْمِهِمْ، بِهِ يَأْخُذُونَ، وَإِلَيه يصيرون «[١].

وَقَدْ عَبّر بَاحِثُ مُعَاصِرٌ عَنْ مَنْزِلَةِ الشعر عِنْدَ العرب وَمَكَانَتَهِ فِي نُفُوسِهِمْ قَائِلًا :» للشَّعْر عِنْـــــدَ الْعَرِبِ مَكَانَة مَرْمُوقَة عبّرت عَنْ نفسها بِكَثْرَةِ تَعَاطِيهِ، وَتُعَدِّد رُوَاتهُ، وَالْعِنَايَةُ فِي تَدْوِينِهِ وَحفظَه، فَاِسْتَأْثَرَ بِالنَّصِيبِ الْأَوْفَرِ مِنْ تُرَاثِهِمْ الْفِكْرِي وَطَغَى عَلَى النَّثْرِ طُغْيَانَا مَلْحُوظَا قلّ أَن يُشَاهِدَ الْمَرْءُ نَظِيرَا لَهُ فِي تُرَاثِ الْأُمَمِ الْأُخْرَى.

وَقَدْ مَارَسَ نُظمَه وَحُفظَه وَإِنْشَاده كَثِيرٌ مَنِ النَّاسِ عَلَى اِخْتِلَافِ مَشَارِبِهِمْ وَمِهَنهمْ فتعذّر الْإِلْمَام حَتَّى بِأَسْماءِ الشُّعرَاءِ الْمَعْرُوفِينَ فِي قَبَائِلِهِمْ فِي كَثِيرِ مَنِ الأحيان» [٢].

ثَمَّ أَردف هَذَا الْبَاحِثُ مُعْرِبَا عَنْ عُمْقِ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ فِي بِيئَتِهِمْ وَتُرَاثهمْ فَقَال لَا شكّ فِي أنّ مَنْزِلة الشَّعْرِ عِنْدَ العرْبِ وَثِيقَةُ الصِّلَةِ بصفاتهم الْاِجْتِمَاعِيَّة وَالْفِكْرِيَّة الْمُتَميزة الَّتِي هِي فِي الْأَصْلِ التّارِيخِي منْ وَحي الصَّحْرَاء [٣] .

وَانْطِلاقَا منْ دورِ الشَّعْرِ بِوَصْفِهِ فنّ الكلمة[٤] واثر الكلمة الشاعرة المعبّرة عَنِ الْإِنْسانِ وَمَا حَوْلَه وَقدرتها عَلَى تَصْوِيرِ الْوَاقِعِ، وَالْإِسْهام فِي خَلْقِ الْحَضَارَةِ وَرسم تَطَلُّعاتِ الْإِنْسانِ وحثّه عَلِيَ الْخَلْقِ وَالْإِبْدَاعِ وَالْفَضِيلَةِ أَوْ اِسْتِنْهاض الْهِمَمِ دَرْءًا للمحن وَمُوَاجَهَة الْخُطوبِ وَالْتَحَدِيَات، لأنّ الشَّعْرَ « تَعْبِير تَصْوِيرِي لَا تَقْرِيرَي، وَعَمَلِيَّة اِبْتِكارِيَّة تُدَرِك الْعَلاقَاتِ الْكَامِنَة بَيْنَ الْأَشْيَاءِ، لَمَا يَتَمَتَّع بِهِ الشَّاعِرُ مَنْ مَوَاهِبَ وَمُقَدَّرَةٍ لَا تَتَوَافَرَان فِي غَيْرِهِ «[٥] .

وانطلاقاً من كلّ ذلك أتقدّم بهذه الدراسة الموجزة إسهاماً منّي في صدّ ما يواجه تراثنا الشعري العظيم من تُهمٍ وتشويه أو قصور في فهم معطياته وآثاره على الحياة والإنسان، ومن بين تلك التهم والمطاعن ما تمثّل في نفي وحدة القصيدة العربية القديمة، وعدم عناية الشاعر العربي بتسلسل المعاني تسلسلاً منطقياً، أو عدم قدرته على أن يُحسن الخروج من معنىً إلى آخر ضمن النصّ، إذ فهم بعض الدارسين القصيدة العربية على أنّها عبارة عن صور متناقضة لا رابط بينها، على حدّ زعمهم.

وتبعاً لنتائج تلك الأحكام الارتجالية فقد كثرت الدراسات والبحوث المنطلقة من تلك الآراء والأحكام الخطيرة، لذا آثرتُ أن أناقش ما يراه الموروث النقدي العربي في قضية انتقال الشاعر وطريقة تلك الانتقالات، وقد عوّلنا على إعادة قراءة النصوص وتأمل الدوافع النفسية وطبيعة العاطفة السائدة في تلك النصوص التي تناولناها بالقراءة التحليلية آخذين بالنتائج التي توصلت إليها الدراسات النقدية الحديثة في فهمها للغة الشعر والعناصر التي تفضي إلى التصرّف الشعري والإبداع الفنّي.

وفي ضوء ذلك كلّه يمكننا مناقضة القائلين بوصف انتقالات الشعراء في القصيدة العربية بالانفصال أو الانقطاع، وما إلى ذلك.

أُريد لهذه الدراسة الموجزة أن تشير إلى أنّ ما سماه نقادنا الأوائل بـ حسن التخلّص، لم يكن دالاً على ما أرادوا، إذ إنّ تصيّد الشاعر لوسيلةٍ فنيّة يتخلّص من خلالها، إلى معناه الجديد لم يكن تصرُّفاً شعرياً حقاً

بل كان تكلّفاً وتمحّلاً على الرغم مما يبدو للدارس المتعجل من فنيّة بعض تلك الانتقالات.

لذا ناقش البحث أراءَ بعض النُقّاد والدارسين المحدثين في موضوع الانتقالات في القصيدة العربية، إذ زعموا أن الشاعر العربي لم يكن يعنى بتسلسل المعاني مما أفضى إلى فقدان القصيدة – كما يرون- وحدتها الموضوعية، لكنّ البحث أثبت خلاف ذلك مبيناً أنّ للقصيدة وحدة عاطفية هي التي سوَّغت انتقال الشاعر من معنى إلى آخر.

ثم حاول البحث – بعد ذلك – أن يتناول بالدرس والتحليل النقدي معلقة الشاعر الجاهلي امرئ القيس بوصفها الأُنموذج الشعري الذي أوهم كثيراً من الدارسين بفقدان وحدته الموضوعّية وأوقعهم في أحكام عاجلة بسبب من فهمهم القصيدة في إطار تعدد الأغراض التي لا رابط بينها – كما يزعمون – وسيثبت التحليل تماسُك النّص ضمن وحدة عاطفية شعورية هي التي شدت من أوصال هذا العمل الشعريّ الرائد.

توطئة:

كانت نظرة النقد العربي القديم إلى صورة الإبداع في القصيدة قد بلغت حدّاً من الوعي تمثله الأحكام التي أطلقها بعض النقّاد بتأنٍ، إذ لم ينظروا إلى المتقدم بعين الجلالة لمجرد قدمه، ولا للمتأخر بعين الاحتقار لتأخره، وإنّما نظروا بعين العدل إلى كلا الفريقين معطين لكلّ ذي حقٍ حقّه حسبما أوصلتهم ملكاتهم النقدية ، وكانت مقاييسهم النقدية في الإبداع الشعري هذه مثلّ ذروتها ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) الذي حكّم المستوى الفنّي وعدّه مقياساً اطمأنّ إليه، فَعُدّتْ تلك الأحكام ، فيما بعد ، كأنها قريبة من الكمال أو بمثابة الثوابت التي ينبغي احتذاؤها[٦].

ولكن ثمة نظرة مختلفة إلى البناء الفنّي للقصيدة العربية أو بنائها التكويني الذي يقوم عليه مخططها أو نهجها المزعوم، وأول من أشار إلى ذلك ابن قتيبة نفسُه، إذ تقوم هذه النظرةُ على أنّ للقصيدة العربيّة منهجاً ثابتاً ومعروفاً لابّد من الخضوع له والالتزام به، وذهب أبعد من ذلك حين أكدّ أنّ مراحلَ هذا المنهج الذي تبناه لابّد أنّ يُلتزم بينها التوافق أي عدد الأبيات التي تمثل كلّ مرحلة من مراحل القصيدة ، ويرى هذا الناقد أنّ القصيدة العربية تبدأ بذكر الأطلال والغزل، ثم يخلص الشاعر إلى ذكر الناقة والسفر ومنها إلى ، أو غرض آخر سواه وفي هذا المنهج ذهب قائلاً :» قال أبو محمد : وسمعتُ بعض أهل الأدب يذكر أنّ مقصد القصيد إنّما ابتدئ فيها بذكر الديار والدِمَن والآثار فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها ، إذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر، لانتقالهم من ماءٍ إلى ماءٍ وانتجاعهم الكلأ ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان، ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الوجد وألم الفراق ، وفرط الصبابة والشوق ليُميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه، لأنّ التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبّة الغزل وإلف النساء فليس يكاد واحدّ يخلو من أن يكون متعلقاً به بسبب ، وضارباً فيه بسهم حلال أو حرام، فإذا عَلِم إنه قد استوثق من الاصغاء إليه والاستماع له، عقّب بإيجاب الحقوق فرحل في سفره وشكا النصب والسهر وحرّ الهجيرة ، وأنضاء الراحلة والبعير ، فإذا علم أنه أوجب إلى صاحبه حقّ الرجاء وذمامة التأميل ، وقرّ عنده ما ناله من المكاره في المسير ، بدأ في ، ، فبعثه على المكافأة وهزّه للسماح ، وفضّله على الأشباه.....» [٧].

ثم أضاف قائلاً بعد ذلك : « فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين هذه الأقسام ، فلم يجعل واحداً

منها أغلب على الشعر ، ولم يُطل فيملّ السامعون ، ولم يقطع وبالنفوس ظمأٌ إلى المزيد.» [٨].

والمتتبع لدارسي موضوع وحدة القصيدة وتركيبها البنائي يجد فريقاً من هؤلاء الباحثين قد تابعوا ابن قتيبة في هذا المنهج الذى تبناه فجاءت دراساتُهم وأحكامُهم منطلقةً من رأيه الذي ألزم الشعراء بإتباعه وعدّه قيداً على المجيدين من الشعراء ومن بين هؤلاء الدارسين الأُستاذ طه أحمد إبراهيم الذى ذهب قائلاً : «مثلُهم الأعلى في القصيدة أن تفتح بالنسيب بذكر الحبيبة النائية ، والوقوف على الدار العافية التي أقامت فيها زمناً ، ومناجاة العهد الناعم الذي كان في هذه الدار ، والتشوق إلى الحبيبة بحنين الأبل ولمع البرق ، والارتياح إلى النسيم الذى يهبُّ في ناحيتها ، والنار التي تلوح من جهتها، ثم يأخذ الشاعر في وصف الرحيل والانتقال والسفر وما قطع من مفاوز ، وما أفضى من ركائب وما تجسّم من هول الليل وحرّ النهار ، ويخرج من ذلك في اقتضاب عادةً إلى غرضه من القصيدة فيمدح أو يفتخر .... ذلك هو المنهج الذي انتمى إليه الشعر الجاهلي يوم نضج في أوزانه وقوافيه ...» [٩].

والدكتور شوقي ضيف هو الآخر الذى سار على منهج ابن قتيبة ولم تستوقفهُ مخالفة بناء الكثير من القصائد لهذا المنهج فهو يقول : «فالشاعر يبدؤها (القصيدة) بوصف الأطلال والديار والنسيب ثم يستطردُ إلى وصف الصحراء وحيوانها الأليف والوحشي حتى إذا فرغ من هذا الوصف خرج إلى الغرض الأساسيّ للقصيدة من الفخر أو المدح أو الهجاء أو الاعتذار أو الرثاء ، وربما ختمها بالحكم والأمثال ...» [١٠].

وعدا هذا فإنّ كثيراً من الدراسات قد اعتمدت هذا الافتراض وليس بوسع هذه الدراسة الموجزة أن تأتي عليها، لأنّ طبيعة البحث المحددة لا تسوّغ التفاصيل في مثل هذه الموضوع الواسع.

إنّ قراءة شاملةً متأنية لشعرنا العربي كافية لأن تزيح عنّا الأفكار الواردة في منهج ابن قتيبة ومن تابعه ، فدواوين الشعراء والقصائد الواردة في الأصول والمظان الأدبية أتاحت لنا أن نسائل أولئك الذين ارتضوا هذا المنهج منطلقاً لأحكامهم على القصيدة العربية ووحدتها ، فذهبوا إلى أنّ الشعراء العرب ، ومنذ عصر ما قبل الإسلام يصدرون عن الخضوع لتقاليد فنية محددة ينتقل خلالها الشاعر من معنى إلى آخر انتقالاً آلياً – كما زعموا – مقتفياً أثر أسلافه في ترتيب تلك المعاني ، متناسين أثر الدوافع النفسية والمؤثرات العاطفية التي تدفع الشاعر إلى صوغ عمله الشعري وما لهذه الدوافع والمؤثرات في إحكام تلك الانتقالات. فلم يلتفتوا إلى أنّ الانتقال الآلي – المزعوم – لم يكن من التصرف الشعري في شيء.

القضية – إذن – تحتاج إلى قراءة النصوص وتأملها لتُلتَمس شعرية هذه الانتقالات فنحن إذا استبعدنا الجوانب النفسية والعاطفية وشعور الشاعر بما حوله من الناس والاشياء، فماذا يبقى للشعر بعد ذلك؟ لم يبق له سوى الانتقالات الرتيبة والمقاطع المنظومة التي لا تنبض بحياة ولا تترك شعوراً مؤثراً، لأنّها مفصولة عن الجوّ العام النفسي للشاعر لحظة نشوء عمله الفنيّ وهذا – بلا أدنى شك – يتنافى مع ما عُرف عن الشعر العربي من قوة التأثير والقدرة الإيحائية، فنحن إلى اليوم نتدارس الشعر العربي القديم وما انفكت قوة توصيل القصائد الجاهلية تبهرنا فنطرب لها ونقع لها معجبين مرددين مقاطعها مكبرين تأثير قائليها لما تبعثه فينا من هذا التلقي فننفعل لها , وسيظلّ الشعر العربي الجاهلي وأمثاله موضع إعجاب المتلقي ما دامت الفصحى لغة للأجيال رغم بعد الشقّة ومضيّ الحقب.

يكفينا أن نقول : إن قراءتنا للشعر العربي – ما تيسر

منه – اقنعتنا ان تلك الأحكام التي قيلت عن منهج ثابت (مزعوم) للقصيدة العربية لم تكن كما قيل ولسنا بصدد الرد على منهج الناقد ابن قتيبة ولكنّا مهدنا بنظرته حول البناء التكويني للقصيدة العربية لتكون مدخلاً إلى دراستنا التي قيدنا أنفسنا بها وهي : طريقة انتقال الشاعر ضمن القصيدة من معنىً إلى آخر ودلالة هذا الانتقال وبواعثه النفسية والعاطفية وحظّه من الشعرية الحقة ، ثم موازنة انتقالات الشعراء الأوائل من الجاهليين والمخضرمين بما عُرف فيما بعد بحُسن التخلُّص الذى شاع مصطلحاً نقدياً وأقبل عليه الشعراء المحدثون في العصر العباسي، كل ذلك يكون موضوع البحث عبر فقرات هذه الدراسة.

الْاِنْتِقالُ مَنْ معنىً إِلَى آخر فِي الْقَصِيدَةِ العربيّة فِي عَصْر مَا قَبْلَ الْإِسْلام

إنّ وقوفنا عند الكثير من دواوين الشعراء الجاهليين أطلعنا على أن انتقالات الشعراء في قصائدهم من معنىً إلى معنىً تتمّ عبر لونين من الانتقال، الأولى أن يكون الانتقال مباشراً تلقائياً، ـ والثاني أن يفصل الشاعر بين المعنى الأول وما يليه من معان، بعبارات شعرية تواترت في قصائدهم من أمثال (دَع ذا) و (عدّ عن ذا) وما إلى ذلك.

ولكن كيف فَهم نقادنا الأوائل هذه الانتقالات؟ أكانوا يرون فيها تصرفاً شعرياً يسهم في تقديم تجربة الشاعر تقديماً فنياً، أم رأوه انفصالاً وتفككاً في وحدة القصيدة؟

ما يراه النقّاد القدماء:

لعلّ من أوائل النصوص التي تشيرُ إلى ذلك ما نطالعه في كتاب قواعد الشعر لثعلب (ت ٢٩١هـ) والذي كان يرى أنّ حسن الخروج من بكاء الأطلال ووصف الأبل وتحمل الأظعان وفراق الجيران ينبغي أن يكون بغير (دع ذا) و (عدّ عن ذا) و (اذكر كذا) بل من صدر إلى عجز لا يتعداه إلى سواه ولا يقرنه بغيره[١١].

وظهر مصطلح الخروج مفهوماً نقدياً على يد ابن المُعتز (ت ٢٩٦هـ) وسمّاه حسن الخروج قائلاً: «ومنها حُسن الخروج من معنىً إلى معنىً. [١٢]».

أمّا ابن طباطبا العلويّ (٣٢٢هـ) فهو الناقد الآخر الذى دعا إلى ما سماه (حُسن التخلّص) لكي تتلاءم الأجزاء وتتسق المعاني وفى هذا يقول: «... فيحتاج الشاعر إلى انْ يصل كلامه على تصرّفه في فنونه صلة لطيفة فيتخلّص من الغزل الى ، ومن ، الى الشكوى ومن الشكوى الى الاستماحة، ومن وصف الآثار والديار إلى وصف الفيافي والنوق ... بألطفِ تخلُّص وأحسن حكاية بلا انفصال للمعنى الثاني عمّا قبله بل يكون متصلاً به وممتزجاً معه ...» [١٣].

وقد كان ابن طباطبا ربط الشعر بمفهوم الصدق والحقيقة وسمّاه «صدق التشبيه»[١٤] وكم جارَ هذا الناقد على قوة الخيال والتشخيص في الشعر، وفى هذا الصدد يعلّق الدكتور إحسان عباس: «ولكن ذلك هو ابن طباطبا في نقده، يرى اتباع السُنة حيث أمكن ذلك أمراً لازماً، ويبقى الفرق بين القصيدة والرسالة إلاّ في النظم ويتصوّر الوحدة في القصيدة وحدة مبنى قائم على تسلسل المعاني والموضوعات، بحيث تكون العملية الشعرية عملاً عقلياً واعياً تمام الوعي ...» [١٥].

ورأي الحاتمي (ت ٣٨٨هـ) أنّ تخلُّص الشاعر من غرض إلى آخر جزء من بناء القصيدة لأنّ: «القصيدة مثلُها مثل خلق الانسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر أو باينه في صحة التراكيب غادر الجسم عاهة تتخون محاسنه وتعفّي معالم جماله»[١٦].

والقاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ) ذهب قائلاً: « يجتهد الشاعر الحاذق في تحسين الاستهلال والتخلّص وبعده الخاتمة ... فأمّا أبو تمام والمتنبي فقد ذهبا في التخلّص كلّ مذهب واهتما به كلّ اهتمام واتفق

للمتنبي فيه خاصة ما بلغ المراد وأحسن وزاد.» [١٧].
ونطالع في كتاب الموازنة رأياً للآمدي (ت ٣٧٠هـ) يدعو إلى ترك عبارة (دَع ذا) و(عدّ عن ذا) وهو يرى أيضاً أنّ الشعراء المتأخرين قد استهجنوا هذه العبارة وتجنبوها[١٨].

ويؤكد أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) الأمر قائلاً: «كانت العرب في أكثر شعرها تبتدئ بذكر الديار والبكاء عليها والوجد بفراق ساكنيها ثم أرادت الخروج إلى معنىً آخر .. قالت : فَدَع ذا ، وسلِّ الهمَّ عنك بكذا .. كما قال (يقصد امرأ القيس) :

فَدَعْ ذَا وسلّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجسْرَةٍ
ذمولٍ إِذَا صَامَ النّهارَ وهجّرا[١٩]

ثم يورد هذا الناقد أمثلةً شعريةً جاهليةً أخرى ويستطرد قائلاً: «وربما تركوا المعنى الأول وأخذوا في الثاني من غير أن يستعملوا ما ذكر (يعني دَع ذا وسلِّ الهمَّ عنك بكذا) ويورد قول النابغة:

تَقاعس حَتَّى قَلَّتْ لَيْسَ بمنقضٍ
وَلَيْسَ الذي يَرعى النُّجُومَ بآيب
عَلَيَّ لِعَمْرو نعمةَ بَعْدَ نعمةٍ
لِوَالِدِهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبِ[٢٠]

ويرى أبو هلال أيضاً أنّ الشاعر العباسي البحتري يسلك هذه الطريقة في أكثر شعره[٢١] وعند الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) نجد حسن الخروج هو التنقل من معنى إلى غيره والخروج من باب إلى باب»[٢٢].

وفي كتاب العمدة رأي مماثل حيث ذهب ابن رشيق (ت ٤٥٦هـ) قائلاً «ومن الناس ما يُسميّ الخروج تخلُّصاً وتوسُّلاً[٢٣].

أمّا ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) فيرى أن (حسن التخلّص) سبب لصحة النسق والنظم في الشعر، والمحدثون قد أجادوا في ذلك[٢٤].

وفى المثل السائر يؤكد ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) عنايته بـ (حسن التخلّص) فيقول: «التخلُّص هو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنىً من المعاني فبينا هو فيه إذ أخذ في معنىً آخر غيره وجعل الأول سبباً إليه فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاماً آخر، بل يكون جميعُ كلامه كأنه أُفرغَ إفراغاً»[٢٥].

ومفهوم التخلُّص عرّفه ابن الزملكاني (ت ٦٥١هـ) قائلاً « أن تخرج من التغزل إلى الممدوح مع امتزاج بين النوعين بحيث يتلاءمان تلاؤم أجزاء النوع الواحد»[٢٦].

ويسميه ابن أبى الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) براعة التخلُّص ويُفرد له باباً في كتابه «تحرير التحبير» إذْ يقول « وهو امتزاج آخر ما يقدمّه الشاعر على المدح من النسيب أو الفخر أو الوصف أو الأدب أو الزهد أو المجون أو غير ذلك بأول بيت من المدح. وقد يقع ذلك في بيتين متجاورين وقد يقع في بيت واحد. وهذه وإن لم تكن طريقة المتقدمين في غالب أشعارهم، فإنّ المتأخرين قد لهجوا بها وأكثروا منها، وهي لعمري من المحاسن...»[٢٧] . وهو يرى أنّ أكثر الناس براعةً في التخلّص من القدماء الشاعر الجاهلي زهير حيث قال:

إنّ البخيلَ ملوم حيث كان ولـ
كنّ الكريمَ على علاّته هرمُ

وكان يرى أن المتأخرين تأنقوا في تخلّصاتهم فمنهم المُجيد المبرِّز ومنهم الضَعيف المقصَّر، ومن المبرزين عنده الذي أتى في تخلُّصِه بما لا يُلحق سبقاً مسلم من الوليد ويورد بيتيه:

أجدك ما تردين أن ربّ ليلةٍ
كأنّ دجاها من فروعك يُنشَرُ
سرين بها حتى تجلّت بغُرّةٍ
كغرّة يحيى حين يذُكر جَعفَــرُ[٢٨]

وأخيراً فنتأمل كلام ابن خلدون وهو يشاطر بعض أسلافه من النقاد العرب رأيهم في وجوب التلّطف في

الخروج من غرض إلى غرض، بعد التوطئة لذلك يقول:» .... ويستطرد للخروج من فنٍّ إلى فنٍّ ومن مقصودٍ إلى مقصود، بأن يوطئ المقصود الأول ومعانيه إلى أن تُناسب المقصود الثاني ويبعد الكلام عن التنافر، كما يستطرد من التشبيب إلى ، ومن وصف البيداء والطلول إلى وصف الركاب أو الخيل أو الطبيعة، ومن وصف الممدوح إلى وصف قومه وعساكره، ومن التفجّع والعزاء إلى التأثر وأمثال ذلك ...» [٢٩].

بيد أن الباحث وجد في موروثنا النقدي مَن يشيرُ إشارةً خفيّةً إلى الوحدة النفسية التي تربط معاني القصيدة الواحدة ولا يرى في انتقالات الشاعر انقطاعا أو طفراً أو ما يدعو إلى تفكك النص، ومما يوحي إلى هذا التلاحم أو الوحدة النفسية ما نطالعه في قول الحاتمي وهو يتحدث عن صلة النسيب بموضوع القصيدة حيث قال: «من حكم النسيب الذي يفتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجاً بما بعده من مدح أو ذم متصلاً به»[٣٠].

ففي ضوء ما تقدّم من أحكام نقدية نفهم أنّ جُلّ الموروث النقدي العربي كان يرى في الانتقالات في القصيدة العربية قبل الإسلام طفراً او انفصالاً بين معنى وآخر وأن الشاعر العربي لم يستطع أن يُحسن الخروج من غرض إلى آخر ضمن النص الواحد. على حين أنّ الشعراء المحدثين المتأخرين في العصر العباسي قد أجادوا في حسن التخلص، -على حد زعمهم-ويكاد النقاد العرب يتفقون في نظرتهم هذه.

وتبعاً لقراءتنا موروثنا النقدي والبلاغي أمكننا أن نفسر نظرتهم إلى وحدة القصيدة العربية، وذلك أنّ المنهج العربي القديم قد نظر إلى اللغة بوصفها مفردات لها معانٍ موحّدة،وهي ثابتة المعنى، وهذه النظرة القاصرة تسيّدت الفكر النقدي والبلاغي زمناً طويلاً.

والحقّ أنّ اللغة ليست كما رأوا، إنما هي منشورية الطابع متشعبة المستويات، ولم يكن المعنى القاموسي إلا واحداً من معاني المفردة، ومن العبث أن نطالب الشاعر بأن يكون دقيقاً في استعمالاته لمفردات قصيدته، أو أن يكون منطقياً في معانيه وانتقالاته في القصيدة.

ومن العبث أيضاً أن نفهم مهمة الشاعر كما فهمها كثير من نقادنا القدماء، إذ حصروا مهمة الشعر بالتهذيب وخلق المتعة، وقد تنبه إلى هذا المستشرق غرنباوم فأكد أن مهمة الشعر عند العرب هي التهذيب والامتاع انطلاقا من فكرة أن الخلق والتعبير عن الذات ليس غاية الأدب[٣١].

ما يراه النقّاد المُحدثون في انتقالات الشعراء الأوائل:

اختلف الباحثون والنقاد في نظرتهم إلى انتقالات الشاعر العربي القديم من معنىً إلى آخر ضمن النّص الواحد، فمنهم مَن يرى في هذا الانتقال توافقاً بين الشاعر وعاطفته دونما تكلّف ويعدُّ انتقالهم دليلاً على ثقة الشاعر بنفسه وفنّه فلا حاجةً به إلى تصيّد الخروج ووسائله[٣٢].

ويؤكد المستشرق جوستاف فون غرنباوم الرابطة النفسيّة عندما قال: «إنّ هناك نوعاً من رابطة نفسيّة بين القفز الاستطرادي من موضوع إلى موضوع»[٣٣].

على أنّ كثيراً من الباحثين الآخرين والنقاد من لا يفضّل طريقة الأوائل في انتقالاتهم بين الأغراض الشعرية ضمن القصيدة الواحدة، وفى هذا الصدد يرى الدكتور محمد غنيمي هلال «أنّ الشعراء الأوائل لم يكونوا يخصّون ترتيب المعاني بفضل المراعاة، أمّا المحدثون في العصر العباسي نقاداً وشعراء فقد راعوا ذلك فأخذوا يهتمون بالبدء والانتقال منه إلى الغرض ثم بالخاتمة [٣٤]. وفى هذا يقول هذا الباحث:((على

أنّ الأدباء والنقّاد – منذ القرن الثالث الهجري. ما لبثوا أن عنوا بأمر البدء، وصلته بالغرض العام، ثم الخاتمة في الشعر والنثر كما عنوا بالعلاقة بين معاني الأبيات بعضها مع بعض – في داخل الجزء الواحد من القصيدة – وهو ما فضلوا به القدماء.» [٣٥].

والباحث هنا يفسر هذا الاهتمام بحُسن الخروج إنما هو اهتمام بترتيب المعاني وائتلافها في النص الواحد أي أنّه يرى أنّ النصوص الشعرية قد فقدت الانتقالات التي تربط أجزاء القصيدة وتعمل على تناسق معانيها وتعزز محتواها.

عرض ودراسة:

وَلنَعُد – بعد هذا الإيجاز – إلى دواوين الشعراء الجاهليين وما تيسّر من المجاميع الشعرية لنقفَ على طريقة الشعراء في تخلُّصاتهم من معنىً إلى آخر ضمن القصيدة الواحدة،ولننظر في القصائد التي انتقل فيها الشعراء انتقالاً مباشراً حرّاً دونما ذكر لعبارة (دَع ذا) أو (عدّ عن ذا) أو (إلى فلان قصدت) وما سواها.

ومن أمثلة هذا الانتقال قول الشاعر النابغة، إذ بكى لتغيّر الدار وتذكّر الأحبَّة ثم ازدجر عن ذلك من شيبه وكبره، وانشغاله بتوعّد النعمان له:

فكفكفتُ منّي عَبـرَةً فَرَدَدتُهـــــــــا
على النحرِ منها مُستَهلٌ ودامِعُ
عَلي حين عاتبت المشيب على الصبا
وقلت: ألمّا أصحُ والشيبُ وازعُ
وقد حال همٌّ دون ذلك شاغـــــــلَ
مـكان الشِّغاف تبتغيه الأصابعُ
وعيد أبي قابوس في غير كنهـــــهِ
أتاني و دوني راكس فالضواجعُ[٣٦]

وبعد ذلك ينتقل الشاعر واصفاً حاله بعد سماعه الوعيد قائلاً:

فبتّ كأني ساورتني صئيلــةٌ
من الرقش في أنيابها السُّم ناقعُ
يُسهدُ من ليل التمام سليمها
لحلي النساء في يديها قعاقِـــــع[٣٧]

ألم ترَ أنّ هذا الانتقال – لدى الشاعر النابغة – جرى طبيعياً منساقاً مع عاطفته تلك العاطفة التي سيطرت عليه ساعة تكوين عمله الشعري؟ ألم تكن تلك العاطفة السائدة هي عاطفة الخوف المطبق على الشاعر إثر تهديد السلطان له؟

أليس هو القائل في هذا المعنى– التهديد والوعيد وما أثاره من رعب – في القصيدة نفسها:؟ [٣٧]

فأنّك كالليلِ الذي هو مُدركي
وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسع[٣٨]

إذن لابّد من الاستعطاف والتودد لهذا الملك الجبّار الذي لا يمكن الاطمئنان بعد وعيده، وكيف عيش الشاعر ونومه بَعد هذا الوعيد؟ فلنسمعه يقول من قصيدة أخرى:

أُنبئت أنّ أبا قابوس أوعدني
ولا قرارَ على زأرٍ من الأسد[٣٩]

ومن التصرف الشعري أن تتوالى العبارات الشعرية المفعمة بمعاني الاعتذار درءاً للخطر ومنعاً من وقوع المواجهة غير المتكافئة بين الملك الغاضب والشاعر الطريد المغضوب عليه، فالعاطفة التي سيطرت على الشاعر هي التي حتمّتْ أن يكون هذا الانتقال من الغزل إلى الاعتذار فإلى وصف حالة الشاعر الخائف المترقب القلق، فليس به حاجة إلى أن يتكلّف وسيلة فنية للخروج من غرض إلى آخر ما دامت العاطفة التي شدّت أوصال النّص موحّدة، إنها عاطفة الخوف والهلع والتشبث بالحياة والرغبة في درء ما يمكن أن يقع من المحن.

فالباحث لا يتفقُ مع ما يراه الموروث النقدي في أنّ

مثل هذا الانتقال يعدُّ انفصالاً أو طفراً وانقطاعاً، فالأمر كما رأينا في النّص – لم يكن انفصالاً، فالخروج من المعاني قد سوّغته عاطفة الشاعر ودوافعه النفسية والعاطفة الكبرى – إن جاز لنا التعبير – هي عاطفة الخوف وهي التي وحّدت معاني النّص وجعلتها تتسلسل تسلسلاً عاطفياً لا تسلسلاً منطقياً معيارياً.

وتبعاً لهذه العاطفة التي قادت الأفكار والانتقالات في النّص نلحظ انتقال النابغة من تذكر الأحبة إلى الاعتذار إلى وصف حاله بعد سماعه وعيد النعمان إلى غيرها من الأغراض الدائرة في فَلَك تلك العاطفة الكبرى المهيمنة على المبدع وهو يشرع في تكوين القصيدة.

إذن العاطفة التي انتقلت به إلى الاعتذار هي التي قادته على معنىً آخر وهو وصف همومه التي قضّت مضجعه وهي نفسها الى قادت الشاعر إلى معانٍ آخر. فأيّ طفر وانقطاع؟ وهل ثمة شك في توافر وحدة الشعور عند النابغة؟

وفى ديوان الشاعر عَدِي بن زيد العبادي قصيدة دالية نجتزئ منها قوله

تسرق الطرف بعيني جؤذرٍ
مستحيل بين رَملٍ وجَلَد

ثم يتنقل قائلاً:

هل سألت الحرب عن إخوانها
إذ فحولُ الناس تغمى بالزَبَد[٤١]

فقد انتقل الشاعر من النسيب إلى الحرب انتقالاً حراً مباشراً دونما تكلّف وتمحُّل، فلم يتصيد وسيلة فنية يغادر بها النسيب إلى ذكر الحرب، فالعاطفة هي التي قادت أفكاره المتتابعة في القصيدة:-

والشاعر زهير بن أبي سُلمى من أكابر شعراء الجاهلية، وهو الذي عُرف بتهذيب شعره، نطالع في ديوانه الكثير من القصائد التي يتنقل فيها بين معاني كل قصيدة انتقالاً فجائياً – إن جاز التعبير – وهذه الانتقالات دعت إليها الدوافع النفسية والحالة الشعورية وطبيعة العاطفة السائدة في أثناء كتابة النص، وعلى شاكلة هذا الانتقال نقرأُ قولَهُ:

تطالعنا خيالاتُ لسلمـــــى
كما يتطّلع الدينَ الغريمُ[٤٢]

ثم أوصلته عاطفته، عاطفة الحب – حيث وصف أنه مشغوف بسلمى مشتغل النفس بها فخيالاته تتعهده وتطالعُه، إلى الرغبة في ذكر الثناء العاطر للممدوح «هرِم بن سنان» فقال بعد ذلك

لعمر أبيك، ما هَرِمُ بن سـلمى
بـِمَلحِيٍّ، إذا اللؤماء لِيموا
ولا ساهي الفؤاد، ولا عيي اللسـ
ـان، إذا تشاجرتِ الخصومُ[٤٣]

فالعاطفة هي التي أحكمت الانتقال وجمعت المعنيين معاً في هذه الوشيجة،وهي الرغبة في إظهار محاسن الممدوح والتغنيّ بعلو شأنه وكرمه وعظيم دوره الاجتماعي وما إلى ذلك.

أما ثاني الانتقالات في القصيدة الجاهلية فهي التي يومئ إليه الشعراء باستعمالهم عبارة موحية دالة على الفراغ من معنى واستئناف معنىً آخر ضمن الدوافع النفسية وطبيعة المشاعر التي تحفّز وتدفع إلى هذا الانتقال وهذه العبارات – كما أشرنا سابقاً – (دَع ذا) وأمثالها، إذ نطالعها في كثير من نصوص الشعر الجاهلي وشعر المخضرمين، ومن هذا الضرب ما نرى في شعر امرئ القيس ولاسيّما في رائيته الشهيرة التي بدأها متغزلاً قائلاً:

سما لك شوقٌ بعدما كان أقصرا
وحلّت سُليمي بطنّ قوٍّ فعرعرا

ثم ينتقل الشاعر بعد أن ذكر صورة الظعن محاولاً استيعاب حدث الرحيل في اثنين وعشرين بيتاً واصفاً ومستطرداً، بعدها صرفته عاطفته إلى محاولة تناسي همومه فقال :

فدّع ذا وسلِّ الهمّ عنك بجسرةٍ
ذَمولٍ إذا صام النهار وهجّرا[٤٤]

وفى ديوان زهير نقع على هذا الخروج بـ (دَع ذا) حيث قال:

لِمَن الديار بقنّا الحجر
أقوينَ ، من حِججٍ ، ومن شَهرِ

إلى أن يقول:

دَع ذا ، وعدِّ القول في هَرِم
خير البُداةِ ، وسيّد الحَضَرِ[٤٥]

وله أيضاً نقرأ انتقاله بـ (دَعها) مسلياً نفسه عمّا شفّها من ألم الحُبّ مستعملاً التجريد الذاتي باستعماله الضمير المستتر في (دعها) قائلاً:-

فدعها وسلّ الهم عنك بجسرةٍ
تنجو نجاءَ الأخدري ، المُفْرَدِ[٤٦]

وفى ديوان طرفة بن العبد تطالعك هذه الانتقالات التي حاول بها الشاعر أن يصرف عنه الأحزان التي اعتورتهُ وقضّت مضجعه ، فليس سوى ناقته – التي هام بها حباً واهتماماً – ما يزيل عنه تلك الهموم ، لذا استغرق في وصفها عضواً عضواً فهو يقول – في معلقته الشهيرة إذ ينتقل إلى معناه الجديد – مُسلّياً نفسه مما لحق به من هموم.

وأنّي لأمضي الهمّ عند احتضاره
بعوجاء مرقالٍ تروح وتغتدي[٤٧]

وقال علقمة الفحل منتقلاً

فدعها ، وسلّ الهمّ عنك بجسرةٍ
كهمِّك فيها بالرداف خبيب

وناجية أفنى ركيب ضلوعـــها
وحاركها – تهجرّ فدؤوبُ[٤٨]

على أن تماثل الشطرين – لدى بعض الشعراء الجاهليين – لا يمكن اتخاذه حجة للقول بأنّ العبارة صيغة متوارثة، لأن التماثل كثيراً ما يجيء في القصائد الجاهلية أو غيرها بسبب من تماثل التفكير والبيئة والمدارك.

وفي معلقة الحارث بن حلِّزة اليشكري نقعُ على هذه الانتقالة العفوية التي أوحت بها عاطفته وحالته الشعورية وهو ينشئ هذا النصّ الفريد إذا بدأ معلقته بالغزل قائلاً:

آذنتنـــــا ببينها أســـــماءُ
رُبَّ ثاو يُمَلُّ منه الثَّـواءُ

بعد عهدٍ لنا ببرقةِ شمـــــاء
فأدنى ديارها الخلصـــاءُ

ثم ينتقل في البيت التاسع من النسيب إلى ذكر حاله في طلب المجد قائلاً:

غيرَ أني قد استعين على الهمِّ
إذا خفّ بالثوى النجاءُ[٤٩]

فهو يتخذ من (غيرَ أنّي) مَعْبَراً إلى معانيه التي اتسقت وحالته الشعورية الآخذة في توليد المعاني وإنتاج الدلالات المتآلفة في سياق دوافع الشاعر النفسية متجاوزاً الواقع الموضوعي فاراً منه إلى آفاق مُتخيلة ليخلق واقعاً آخر موازياً للجو النفسي الذي يصدر عنه الانفعال لما لم يتوقع حدوثه.

إنّه يستعين على همومه وقضاء امره – عند اشتداد الخطب- بناقة سريعة كأنها النعامة فيقول:

بزفوفٍ كأنها هقلة أ
مُّ رئالٍ دَوَّية سقفاءُ[٥٠]

وهكذا يمضي في وصفها وقوة تحملها مقتحما بها لفح الهواجر لينتقل بعد ذلك إلى ما أتاه من أمر عظيم إذ أنّ إخوانهم بطون من تَغلِب يتهمونهم بما لا عهد لهم به ، فيقول :

وأتّانا من الحوادثِ والأنبـا
ءِ خطبُ نُعنى به ونُساءُ

إنّ إخواننا الأراقـــــمَ يغلو
نَ علينا في قيلِهم إخفاءُ[٥١]

كلُّ هذه الانتقالات وأمثالها جاءت حُرة متسقةً والحالة

الشعورية للشاعر، خاضعة لدوافعه النفسية التي تقود الأفكار في النص الشعري فلا انقطاع ولا انفصال بين أجزاء النص الواحد.

وبعد فما دلالة هذه الانتقالات؟ وكيف ننظر إليها في ضوء ما توصلت إليه الدراسات النقدية الحديثة اتى تحاول أن تستكنه شعرية النص وقدرته على التوصيل؟

لماّ كان تجاوز المنطق العادي إلى منطق الشعرية هو سر الشعرية، فمن العبث – إذن- أن نطالب الشاعر العربي بالتسلسل المنطقي والتتابع الموضوعي وهو يعبّر بمفرداته عمّا يحسُّه تعبيراً غيرَ مألوف في اللغة المنطقية العادية، لذا «فاللغة الشعرية تختلف عن اللغة النثرية بالخاصية المدركة لبنائها»[٥٢] . وعدا هذا فإنّ اللغة الشعرية ذات معانٍ سياقية وأخرى إيحائية وفي هذا الصدد يقول وليم امبسوك «هناك دائماً صراع منطقي بين معاني المفردات الدلالية Denotory ومعانيها الإيحائية Connotory أو فلنقل بين الميل المقتصد الذي يحاول قتل اللغة عن طريق تجريدها من كل إيحاءاتها، وبين الميل الذي يحاول قتل اللغة عن طريق تشتيت معانيها بكثرة ما يعلق بها من إيحاءات.» [٥٣]

ولذا فاللغة هي الأداة التي يعبر بها الشاعر عمّا يدور في خاطره، بل هي وسيلته في تصوير انفعالاته وعواطفه، حيث يضعها في قالب شعري يخدم مضمونه،وهي وسيلته للخلق والابداع، إنها المادة الخام التي يجعل منها الشاعر كائناً حياً ذا ملامح وسمات، وذا نبض وحركة وحياة[٥٤].

ولمّا كانت اللغة بنية الخطاب الشعري ومادته الخام فإنها تعد – على هذا الأساس – «الأداة الأولى التي يشكل الشاعر فيها وبها بناءهُ الشعري، فهي الأداة الرئيسة التي تنضوي تحتها كل الأصوات الشعرية الأخرى»[٥٥] .

والشعر يختلف عن الفنون الأدبية في تعاطيه مع اللغة «بأن له لغة خاصة غير النثر، وللشاعر ملكة يستطيع بها أن يتخير من ألفاظ اللغة ما يرى أنها أبعث على إثارة المشاعر وأفعل في نفس السامع»[٥٦] .

وبذلك يتضح ان لغة الشاعر هي لغة تمثل لنا شخصيته بل هي «موهبته،وفكره،ومشاعره،أحلامه، وخيالاته»[٥٧].

وحاصل هذا التنظير والإنجاز أن الشاعر بلغته الشعرية الخاصة يستطيع البوح عن أحاسيسه وانفعالاته ويستطيع أيضاً أن يجسد همومه وآلامه، ويصور رؤاه حيال كل ما يحيط به ، فـ (اللفظة صوت وضع ليكون رمزاً للمعنى، فإذا أصغينا إلى ذلك الصوت تبادر إلى الذهن ما يرمز إليه ، واللفظة في القصيدة تتجاوز معناها المعجمي لتنصبّ على عمق النفس فيكون تجسيداً لحالة نفسية تفرض على الشاعر الاختيار»[٥٨].

وتبعاً لهذه الإضاءة فالأولى أن نقرأ الشعر العربي القديم في ضوء ما تتطلبه الشعرية الحقة وموهبة المبدع والتي حظيت بها كثير من نصوص شعرنا العربي في الجاهلية وشعر المخضرمين، فهي نصوص أثبتت قدرتها على التأثير في الملتقي على الرغم من بعد الشقة وتوالى الحقب.

إذن فمن الجور أن ننظر إلى انتقالات الشعراء من معنى إلى آخر ضمن القصيدة الواحدة – على أنها من قبيل قلة عناية الشاعر العربي بتسلسل المعاني وترتيبها.

أليست مطالبة الشاعر بتسلسل المعاني والاغراض تسلسلاً منطقياً وضرورة حضور وحدة الموضوع في النّص الواحد، تعسفاً وتجنياً على شعرية النّص العربي التي تتوافر فيها وحدة الشعور التي تربط أجزاء القصيدة متعددة الأغراض؟

لذا فإن بعض دارسي القصيدة العربية لم يأخذوا

بالحسبان ما كانت تقوم عليه النصوص الشعرية آنذاك من تخيّل وتجاوز المألوف بأساليب شتى لا يمكن حصرها في هذا المقام.

وحقاً فإن شعرية القصيدة العربية القديمة ينبغي أن تُدرك في ضوء مفهومها الذي أوجزه باحث معاصر قائلاً: « ... فإنّ الشعرية هي دهشة الوعي لما هو مفارِق وخارق للعادة، ومن ثمَّ فإنّ الرتابة والآلية هي بمثابة إلغاء وعينا للأشياء، أمّا المفارقة فهي يقظة الوعي واهتزاز النفس وانفعالاها للأشياء غير المألوفة.» [٥٩]

من كل هذا ندرك أنّ القائلين بفكرة تفكك القصيدة الجاهلية لم يعوا الحالة الشعورية والجو النفسي العام والعاطفة السائدة للمنشئ التي تنأى به عن واقعية الموضوع وتدخله في المدهش وغير المألوف والخارج عن الرتابة، فضلاً عن أنهم أغفلوا جانب العاطفة الموحدة والدوافع النفسية التي تحكم أجزاء النص الشعري. فإغفال الحالة الشعرية والمؤثرات الانفعالية التي تنشأ القصيدة في كنفها وتتطور في اتجاهات وعبر حركات وعلاقات تتنافر وتتداول في وحدة عاطفية او حيوية في الأقل، فإغفال كل ذلك يعد تجنياً على وحدة النّص وانتقاصاً من ملكات الشاعر المبدع.[٦٠]

وتأسيساً على ما مرّ يمكن أن نُورِد أحكاماً توصلت إليها دراسة رائدة قام بها الدكتور مصطفى سويف، مفادها أن الوثبة هي الوحدة الدينامية المتكاملة للقصيدة التي هي بدورها كُلّ دينامي متكامل، وكلُّ عملية متكاملة لا بدّ أن تنتظمها أجزاء صغرى متكاملة[٦١].

وتبعاً لهذه النتائج واعتماداً على أهمية الدوافع النفسية في تفسير التكوين البنائي للشعر، لا نتردد في مناقضة القائلين بأنّ الشعر الجاهلي خاصة لم يحفل بترتيب المعاني، ولم يُحسن الشاعر الانتقال من معنىً إلى آخر.

إذاً لسنا نوافق من يُفضّل طريقة بعض الشعراء المولدين في الانتقال بين المعاني في الشعر والتي اطلق عليها النقّاد (حُسن التخلُّص) ونرى أنّ تلك الطريقة التي تقوم على تصيّد الشاعر لوسائل التخلص والانتقال بين المعاني في القصيدة الواحدة، ليست من حسن التخلُّص في شيء وهى إنما تتخذ من التكلف والتمحل منافذ لها، وتعزيزاً لهذا الرصد نورد نماذج تطبيقية من الشعر العباسي الذى عمد فيه الشعراء إلى وسيلة سموها (حسن التخلّص) وحفل بها النقاد، ولنَرَ كم يكون نصيب ذلك من التعبير الشعري؟ وإلى أيّ مدىً استطاعت تلك الانتقالات أن تؤثر في المتلقي؟

فيتكلف المتنبي – وهو مَن هو في علّو كعبه في القريض – بعض الانتقالات من معنى إلى آخر في بعض قصائده، ففي قصيدة مدحية طويلة له في سيف الدولة الحمداني، ذاكراً الفداء الذي طلبه رسول ملك الروم وكتابه إليه قائلاً في مطلعها هذا الغزل:

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقــي
وللحُبّ ما لم يبقَ منّي وما بقي
وما كنتُ ممن يدخل العشق قلبه
ولكنّ من يُبصرُ جفونَكِ يعشــقِ
عشيّة يعدونا عن النظر البكـــا
وعن لذة التوديع خوف التفرقِ[٦٢]

ويأتي برائع الغزل على هذه الشاكلة، ولكنّه في البيت الرابع عشر عندما أراد أن ينتقل من آفاق الغزل والتذكّر ولحظات الوداع إلى سيف الدولة الحمداني، تكلّف الانتقال قائلاً :

نودّعهم والبين فينا كأنّـــــــه
قَنَا ابن أبي الهيجاء في قلبِ فَيلَقِ

فأبو الطيّب قد تكلّف الانتقال – كما يرى البحث – إذ

لم يأتِ انتقاله على وفق ما أوحت به عاطفته وشعوره. بل تعمّد هذه الوسيلة الفنّية ليدخل في غرضه الرئيس ، ظاناً أنّ مبالغته قد ربطت بين المعنيين , ولسنا نوافق محقق ديوان الشاعر الذى استحسن هذا البيت قائلاً «وهذا من حسن التخلص وهو بديع».

وكم يكون (حُسن التخلُّص) - الذى دعا إليه النقّاد – ساذجاً مضحكاً إذا ما صادفَ شاعراً خانته الوسيلة التي تصيّد بها «حُسن تخلّصه» إلى غرضه الجديد ، فيأتي بهذا الخروج المزعوم الذى يزيد من تفكك القصيدة ويضعف قدرتها على التوصيل والأداء ، ومن هذا الضرب نطالع قول الشاعر ابن النبيه المصري، وهو يحاول التخلّص من الغزل إلى ، قائلاً :

وقام يلوي صدغه قـائـــلاً
لا تغـــترر بي ، فكذا موعـدي
فقلت : يا لله مات الوفـــا
فقال موسى : لم تمت خذ يدي[٦٣]

وموسى هو ممدوح الشاعر ولسنا بحاجة الى التعليق على سماجة (حسن تخلصه) هذا الذي رأى فيه نقادنا الأوائل وبعض المحدثين خصيصة فنّية تجعل النّص متماسكاً – كما زعموا -.

إذن ينبغي أن يشعرنا المتخلّص الفنان بالارتباط النفسي والانسيابية بين جزئيات المقدّمة وما يليها وإلاّ نجد ملامح العُسر، والتصنع باديين في انتقالاته الامر الذى يفضي الى الهلهلة واللاانسجام والفراغ الصوري وضعف التآصر وبروز الصنعة والمعاضلة مما يشي بالكدر النفسي والعاطفي لدى ناظم النّص.

بيد أن كثيراً من الشعراء العباسيين انتقلوا في قصائد كثيرة من الغزل الى ، أو غيره من الأغراض انتقالاً حراً خاضعاً للعاطفة الموحدة منسجماً مع الدوافع النفسية دونما تكلّف أو تصيّد وسيلة فنية ، وما أكثر النماذج الشعرية التي تمثل هذا الضرب من الانتقال ، فالبحث يفرّق بين ما يُسمى بـ (حسن التخلّص) الذى أوجده الشعراء المولدون وبين الانتقالات الحرة المباشرة التي حفل بها كثير من الشعر العباسي فجاءت تلك الانتقالات متساوقة مع المؤثرات الانفعالية والدوافع الشعورية للشاعر أسوة بانتقالات اسلافهم الجاهليين والمخضرمين ، ففي ديوان الشاعر العباسي بشار بن برد نقرأ له أبياته الآتية لنقع على طبيعة انتقاله من الغزل إلى وصف الناقة يقول:

فتلك التي نُصحي لها ومودتـــــي
وقبضي مالي طارفي بعد تالدي
وصعراء من مسّ الخشاش كأنها
مسيرة صاد في الشئون اللوابد[٦٤]

فواضح ان الشاعر انتقل الى معناه الجديد انتقالة مفاجئة، لأن عاطفة واحدة سيطرت على الغرضين في نفسه.

ولنتأمل قول محمد بن وهيب الحميري (ت ٢٢٥هـ):

ما زال يلثمني مراشفـه
ويُعلني الأبريق والقَدَحُ
حتى استرد الليل خلعته
وبدا خلال سواده وضحُ
وبدا الصباح كأنّ غرته
وَجه الخليفةِ حينَ يُمتدحُ[٦٥]

انتقل الشاعر من وصف الصباح ونوره وهو يخترق سواد الليل، إلى مدح الخليفة ليأتي بالتشبيه المقلوب حيث يشبه نور الصباح وبهاءَه وطلعته بوجه الخليفة بجامع النور والاشراق بين طرفي التشبيه.

ولنتأمل رائيةً لأبي تمّام الطائي في مدح الخليفة المعتصم لنقفَ على انتقالته من وصف الطبيعة بمظاهرها إلى غرضه الرئيس – مدح المعتصم – فيقول في مطلعها:

رقّت حواشي الدهر فهي تمرمرُ
وغدا الثرى في حليه يتكسرُ

ثم يقول، وهو في غمرة حبه وهيامه بالطبيعة، بعد اثنين وعشرين بيتاً مازجاً بين مفردات الطبيعة وعطائها وما جبل عليه الممدوح من خلق رفيع وعطاء شبه به عطاء الطبيعة المتمثلة بدرة الأيام الربيع الاثير الى الأحياء والجمادات.

خُلُق أطلّ من الربيع كأنه
خلق الامام وهديه المتيسّرُ
في الأرض من عدل الإمام وجوده
ومن النبات الغضّ سرج تُزّهر[٦٦]

فقد انتقلت به عاطفة الفرح والارتياح الى جو الطبيعة، إذ صوّر أحاسيسه المرحة المشرقة وسط أجواء سحرية، وهذه المقدّمة في وصف الطبيعة التي استغرق فيها الشاعر أوصلته الى الثناء على الممدوح مبّرزاً عظم كرمه ومقدرته على الإحساس بحاجه الاخرين والمبادرة الى تيسيرها.

إنها انتقالة حرة أوحت بها العاطفة وقادتها أجواء القصيدة فجاء هذا البناء منبثقاً من صميم المشاعر والأحاسيس التي أفضت الى هذه الانتقالة من التغني بالطبيعة الى هزّ أريحية الممدوح وتغيير جوه الاعتيادي بوساطة لغة الشاعر التي أرادها ان تكون ابعث على إثارة مشاعر ممدوحه.

وينتقل المتنبي انتقاله موحية وما أكثر هذه الانتقالات في ديوانه –قائلاً:

علّ الأمير يري ذُلي فيشفع لي
إلى التي تركتني في الهوي مثَلا
أيقنت أنّ سعيداً طالب بدمي
لما بصرت به بالرمح معتقلا[٦٧]

فخرج من النسيب الى ، ثم تمادى به إلى آخر القصيدة.

وأبو نواس ينتقل من نسيبه إلى مدح والى خراج مصر الخصيب بن عبد الحميد في رائية له حيث قال

أجارة بيتينا أبوك غيورُ
وميسورُ ما يُرجي لديك عسيرُ
تقول التي من بيتها خفّ محملي
يعزُّ علينا أن نراك تسيرُ
أما دون مصر للغني متطلّب
بلى، إنّ أسباب الغنى لكثيرُ
فقلت لها واستعجلتها بوادرٌ
جرت ، فجرى في جريهن عبيرُ
ذريني أكثّر حاسديك برحلةٍ
إلى بلدٍ فيه الخصيبُ أميرُ
إذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا
فأيُّ فتى بعد الخصيب تزورُ
فتى يشتري حسن الثناء بماله
ويعلمُ أنّ الدائرات تدورُ
فما جازه جود ولا حلّ دونه
ولكن يصير الجود حيث يصيرُ[٦٨]

ومن انتقالات شعراء المشرق إلى أقرانهم الأندلسيين ، فلنقرأ في ديوان ابن خفاجة الاندلسي (ت ٥٣٣هـ) صنوبري الاندلس وشاعر الطبيعة قصيدة مدحية له يستهلها بمقدمة طويلة في النسيب قائلاً :

أما وخيال قد أطاف فسلّما
لقد هاجني وجد أناخ فخيّما
واذكرني عهد التقادم باللوى
وعصر خلا بين الكثيب إلى الحمى[٦٩]

ثمّ ينتقل إلى المدح في البيت السابع والثلاثين متخذاً من مفردات الطبيعة – التي هام بها حباً – ما حقق له انتقاله غير المباشر فقال:

ولو سابقت ريح الشمال ابن جعفرٍ
لجاء، على علّاته، متقدِّما

فقد ربط هذا البيت مطلع القصيدة ومقدِّمتها بالغرض الرئيس.

وينتقل الشاعر ابن عمار الاندلسي (ت ٤٧٧هـ) من مقدمة خمرية جاءت صياغتها ومضامينها دالةً على شاعريته فهاك هذه المقدمة الرائعة التي تتصدر

مدحية له انشدها للمعتضد ابن عباد الاشبيلي قائلاً :

أدِرِ الزجاجة فالنسيم قد أنبرى
والنجم قد صرف العنان عن السُرى
والصبح قد أهدى لنا كافورهُ
لمّا استردّ الليل منّا العنبرا
والروض كالحسنا كساه زهرهُ
وشياً وقلّده نداه جَوهرا
أو كالغلام زها بورد رياضه
خجلاً وتاه بأسهن معذّرا
روض كأنّ النهر فيه مِعْصَمٌ
صافٍ أطلّ على رداءٍ أخضرا
وتتوجت بالزهر ضلع هضابه
حتى حسبنا كلّ هضبٍ قيصرا(٧٠)

هذا الافتتاح بالمقدمة الطبيعية الخمرية – كما ذكرنا – أظهر فيها الشاعر أحاسيسه وسط أحضان الطبيعة الضاحكة بروضها الذي شبهه بالحسناء التي ارتدت موشحاً ، منمقاً وقد اتخذت من الندى جوهراً ، وشبهه بالغلام الذي يورد الرياض خجلاً بوجنتيه وهو يتبختر(بأسهنّ معذّرا) , وهكذا يستمر الشاعر بهذا الانتشاء ليلجَ الى غرضه الرئيس وهو مدح المعتضد ابن عبّاد وهذا الانتقال اوحت به عاطفته السائدة ومشاعرهُ قائلاً:

وتهزّه ريح الصَّبا فكأنه
سيفُ ابن عبّاد يبّدد عسكرا

فلمعان النهر وقد هزته الرياح كأنه سيف ابن عباد الذي يُسلّ ليفتك بالأعداء, وهذا الانتقال يُعدّ تصرفاً شعرياً لافتاً انبثق من أحاسيس الشاعر وانفعاله بالجوّ العام للقصيدة.

ولنقل مثل ذلك في انتقالات الشعراء من مطالع الحكم والتأمل في المصير الانساني إلى معانٍ أخرى تدور في فَلَك الحزن وألم الفقد والتأبين والعزاء, ومن هذا الضرب ما نطالعه في ديوان الشاعر الأندلسي ابن سهل الأشبيلي (ت ٦٤٩هـ) في قصيدة يرثي فيها مَن يُدعى ابن غالب , ويعزي إبناً له إسمه محمد وكنيته أبو بكر في مقدمتها يقول:-

يجَدُّ الردى فينا ونحن نُهازلهُ
ونغفو وما تغفو فواقاً نوازِلهُ
بقاء الفتى سُؤلٌ يَعِزُّ طلابُه
وريب الردى قَرن يزلّ مصاولهُ
وأنفس حظّيك الذي لاتنالهُ
وأنكى عدويك الذي لاتقاتلهُ
ألا أنّ صرف الدهر بحر نوائب
وكلّ الورى غرقاه والقبرُ ساحلهُ

وفي البيت العاشر من هذه المرثية تنتقل به عاطفة الحزن , والشعور بمرارة الفقد, والتي هيمنت على جوه النفسي, إذ تتواتر التعابير الشعرية المعبرة عن كارثة الموت, وصروف الدهر, وفزع الانسان أمام المنية التي أنشبت أظفارها , ينتقل من كل ذلك ليقول:

وأما وقد نال الزمان ابنَ غالبٍ
فقد نال من هضم العُلى مايُحاولُه
أليس المساعي فارقتهُ فأظلمت
كما فارقت ضوء النهار أصائلهُ
لقد لُفّ في أكفانه الفضلُ كلّهُ
وساق العُلى جهراً إلى التراب حامله
فان ضمّه من مستوى الأرض ضيّقٌ
فكم وَسِعَ الأرض العريضةَ نائلهُ

ثم ينتقل ابن سهل إنتقالة أخرى حيث ينبثقُ أسلوبُ العزاء من عميق حزن الشاعر وطويل تأملاته لما فعلته المنية بالمرثي حيث سيق الى قبره ((ضمّه من مستوى الأرض ضيّق)) بعد أن كان ((وَسِعَ الأرض العريضة نائله)), وفي عاطفة العزاء والتسلّي ومحاولة إبعاد شبح المنيّة وإظهار التجلّد يقولُ معزّياً ابن الفقيد ابا بكر:

عزاءً أبا بكر فلو جامل الردى

كريمَ أنـــاس كنتَ ممن يجاملـــهُ
وما ذهبَ الأصلُ الذي أنت فرعهُ
ولا انقطع السعي الذي أنت واصلهُ
أبوك بنى العليا وأنتَ شددتهـــا
بمـجدٍ يقوى ما بنى أو يشاكلُـــه

وبهذا المستوى من الانفعال بالحدث والتشبث بمعاني التصبّر يمضي الشاعر حتى يختتم المرثية مُستغرقاً في معاني العزاء الموجّه لنجل الفقيد خاصاً إياه بالمدح بالعزيمة والمضاء والآخذ بأيدي الحائرين بسعيه المكين ودلالته علي فعل الخير فيقول:

وإن كنت سيفاً للمريبين مرهفاً
فبوركت من سيف وبورك حاملهُ
أراك بعيني من أَقلتَ عِثـــارهُ
بسعيك والهادي إلي الخير فاعِلهُ[٧١]

وبعد هذا كيف ينظر البحثُ إلى الانتقالات باستعمال عبارة (دّعْ ذ ا) و(عدّ عن ذ ا) وأمثالها؟وهل تومئ تسلية الهمّ إلى شيء كبير في الحياة العربية التي صوّرها الشعر الجاهلي؟

يمكن أن يقرر الباحث مطمئناً: أن تسلية الهم إشارة حاسمة إلى الخيط الدقيق بين عالمين ، عالم الأسى والأحزان والقلق المطبق وشدّة وطأة الحياة ، وعالم تناسى ذلك كُلّه ، عالم الأفراح وربما صار التعبير بتسلية الهم عند بعض الشعراء الجاهليين - كامرئ القيس مثلاً-حدّاً فاصلاً بين بذار الحلم وبين حصاد الريح كما يُلحظ ذلك في بعض قصائده كالرائية التي مّر بنا مطلعها[٧٢].

إن تلك العبارات الشعرية المكثّفة المُفعَمة بالوجدان توحي إلى تزايد استغاثة الإنسان العربي من واقعه المُشعر بـ (الموت والفناء) في إطار نمط الحياة البدوية وعالم الصحراء اللذين حتّما على العربي – والشاعر تحديداً – أن يواصل البحث عن الذات في إطار رؤية الوجود من تلك الزاوية القاتمة السوداوية (الموت والفناء) وما يؤول إليه المصير الإنساني عامةً، وقد عبّر عن ذلك بجلاء امرؤ القيس في قصيدة له قائلاً:

أرانـا موضعـــين لأمر غـــيبِ
ونُسَـــحرُ بالطـعـــام وبالشـرابِ
عصـــافيـــرُ وذبـــــانُ ودودُ
وأجـــرأُ من مـــجُلـحة الذئـاب
... فبعض اللوم عـاذلنـي فأنّـي
ستكفيني التجارَبُ وانتســـــابي
إلي عرق الثرى وشجت عروقي
وهذا الموت يسلبني شـــــبابي[٧٣]

لذا يرى الباحث تلك العبارات التي أطلقها الشعراء في ثنايا قصائدهم أشبه بالهفوات الفلسفية التي صِيغت في نسيج لغوي ليفصل بين مطالع القصائد الغزلية أو غيرها وبين المعاني اللاحقة التي تمثل مايؤول إليه النّص من التعبير عن الحركة النفسية لمنشئهِ.

(فَدّع ذ ا) و(عدّ عن ذا) وغير أنّي) وغيرها من أمثالها تمثل وثبة العاطفة واستئناف تدفقها قويّةً لتمثّل افتتاحاً جديداً، ضمن النّص ، قائماً على التجريد الذاتي من استعمال الشاعر للضمير المستتر في الفعل (دَع) و (عدّ...) ولعل هذه اللفظة تحمل الشيء ونقيضه، الإنسان وما يتصل به من هموم ومصير، وكلاهما لازم للآخر لذا فإنّ هذه الحركة النفسية قد بدأت بالتناقض « وليس ثمة حركة نفسية تبدأ بالانسجام ، والقصيدة في مجالها هي بدء بالإحساس بالتناقض لدى الشاعر، وكلّ قصيدة ناجحة لابدّ أن تبدأ من حدود هذه النقطة الحرجة التي تنطوي منذ البدء على طاقة حركية هي المسؤولة – في الواقع – عن الحالة الشعورية التي يجد الشاعر نفسه داخلها وهو بهذا يجهد في تجاوز هذه الحالة في العبور منها بواسطة اللغة في الشعر إلى اللاشعر من جديد» [٧٤] .

إذاً لم تكن تلك الصيغ (دَع ذا) وغيرها

تقليدًا متوارثاً بل كانت نمطاً التجأ إليه الشاعر وقاده إليه إحساسه وانفعالاته وتعاظم خوفه من المجهول لذا أراد الشاعر أن يكونَ أقوى نفساً على مواجهة مصيره من خلال محاولة التسلّي بالناقة وغيرها.

على أنّ بعض الدارسين للشعر العربي القديم يرى أن عددًا من القصائد الجاهلية لم تكتب دفعةً واحدة على شاكلة بعض قصائد زهير بن أبي سُلمى التي ضمّت مقدّمتين لكل قصيدة ويرى أصحاب هذا الرأي أن زهيراً و(أمثاله) في المستوى الفنّي كانوا يهذّبون قصائدهم (عبيد الشعر) ، ففي مطولته تُلاحظ مقدّمة طللية ثم ينتقل إلى مقدّمة جديدة متجاوزًا الناقة ثم ينتقل إلى مدح بعد الرحلة[٧٥].

ويرى الدكتور مصطفى عبداللطيف : أنّ مثل هذه الانتقالات التي تصادفنا في شعر زُهير ابن أبي سُلمى ربما تكون تجريبية ، إذ لم ينتهِ الشاعر من النظر في كُلّية النصّ وتهذيبه وقد تابع الدكتور رأيه قائلاً: إنّ الجسور الفنّية غير موجودة في مثل تلك القصائد مما يدعو إلى الاعتقاد بأنّ نظم تلك القصائد قد جرى على مراحل[٧٦].

ويقول ثانيةً محاولاً تعزيز رصيده:» إنّ استطرادَ زهير لم يكن متصلاً بالأجزاء الأخرى من قصائده...»[٧٧].

ولكن كيف نفهم الانتقالات في ضوء فكرة الدكتور مصطفى- فكرة النصوص القصيرة- التي أُضيفَ إليها فيما بعد إضافات لحقتها لتكون القصيدة الكاملة التي وصلتنا؟

إنّ هذا الرأي – على ما فيه من وجاهة- الاّ أنّ الأدلة الكافية تنقصه وهو بحاجة إلى ما يجعل الدارسين يطمئنون إلى كتابة بعض القصائد على شكل أجزاء، فضلاً عن أنه إذا سلمنا جدلاً بأن ذلك ممكن أن يقع فإن وقوعه لا يتعدى النادر وعند بعض الشعراء الذين عُرفوا بتهذيب شعرهم.

وصفوة القول في موضوع طريقة الانتقال في القصيدة العربيّة أنّها تترابط ضمن عاطفة الشاعر التي وحدت أجزاء القصيدة، حيث ينتقل الشاعر من معنىً إلى معنىً آخر مدفوعاً بعوامل نفسيّة وانفعالات هي المسؤولة عن توارد تلك المعاني في أيّ قصيدة.

ولذا نتفق كُلّ الاتفاق مع ما ذهب إليه باحث معاصر وهو يدرس الغزل الوارد في مطلع قصائد الشاعر المُثقب العبديّ قائلاً: « والمسألةُ في هذا الغزل أنّه يرتبط بموضوع القصيدة ارتباطاً وثيقاً وأنّ العلاقة بينهما وطيدة وهي علاقة نفسيّة، فهما في الأصل تعبير عن موقف واحد يتمثل في وحدة الجو النفسيً عند الشاعر» [٧٨].

ثُمّ استطرد هذا الباحث قائلاً :» وهذه الوحدة النفسيّة تنسحُب على كُلّ قصائد المثُقب الشعريّة التي صُدِّرت بالغزل ، فالقصيدة عنده-كما عند غيره- لوحات تعرض جوانبَ من الحياة العربية وتُبرزُ صوراً من واقع تلك الحياة في قلب البادية وعلى امتداد السواحل التي تتاخِمُها ، وهذه اللوحاتُ إنّما تسيطر عليها جميها وحدة الجوّ النفسيّ..» [٧٩].

لذا فإنّ تعدّد المعاني في القصيدة العربيّة القديمة محاط بالوحدة النفسيّة والحالة الشعورية لحظة ولادة النّص فليس ثمة طفُر أو انقطاع أو قفز أو استئناف حالة شعورية جديدة في القصيدة الواحدة، « والقولُ بوجود جوٍّ نفسيّ عام في بعض المطولات الجاهلية لا يعني إنكار وجود أقسامها المتميزة، فهي أظهر من أنّ تُنكر، وكلّ قسم منها له موضوع خاصّ، وميزات فنيّة معيّنة، وما نريد أن نصل إليه هو أن الشاعر لا يقفز من قسم – في قصيدته-إلى قسم آخر مستَأْنِفاً شعوراً جديداً لا صلةَ له بما مضى وما يأتي من كلامه. وهذا الجوّ النفسي العام أظهر ما يكون حين يتأمل الشاعر حياته مثقلاً بالحزن مُسلّماً للقدر أو متمرداً عنيفاً في مواجهة الدهر»[٨٠].

فالقصيدة بنية لغوية تتفاعل عناصرها ووحداتها المعنوية لتظهر جمالياتها ومعالم وحدتها، ونشاطر أحد الباحثين رأيه فيها قائلاً: « بنية لغَويةٌ مركّبة، يكشف تفاعل عناصرها عن موقف الشاعر، ذلك لأن مكونات النشاط اللغوي في القصيدة تتفاعل متجهةً إلى إنجاز التشكيل الجمالي، في ذات الوقت الذي تنجز فيه بنية الموقف، وفي هذا ما يعين على وحدة القصيدة فالكلّ يفسر أجزاءه، أي أنّ البناء اللغوي للقصيدة يفسّر عناصر النشاط اللغويّ ومكوناته، كما يفسَّر دور هذه العناصر والمكونات في إقامة البناء الفكري للقصيدة.» [٨١].

وبَعدُ ، ولتعزيز هذا الرصد نأتي إلي التطبيق وَلْنختَرْ مُعلقة امرئ القيس لنرى طبيعة هذه الانتقالات ودلالاتها ووحدتها التي ربطت أجزاءها ربطاً وثيقاً.

الأنموذج التحليلي

النَصّ[٨٢]

قِفَا نَبْكِ مِن ذِكْرى حَبيبٍ وَمَنْـــزِلِ
بِسِقْطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَوْمَـلِ[٨٣]
فَتوضِحَ فَالمِقراة لَم يَعْفُ رَسمُـها
لِـــما نَسَجَتها مِن جَنوبٍ وَشَـمأَلِ[٨٤]
تَرى بَعَرَ الآرامِ في عَرَصـــاتِها
وَقيـــــعانِها كَأَنَّـــهُ حَبُّ فُـلفُلِ[٨٥]
كَأَنّي غَداةَ البَيـنِ يَومَ تَحَمَّـــلوا
لَـــدى سَمُراتِ الحَيِّ ناقِفُ حَنظَـلِ[٨٦]
وُقوفاً بِها صَحبي عَلَيَّ مَطِيَّـــهُم
يَقولونَ لا تَهلِـك أَســـىً وَتَجَمَّـلِ[٨٧]
وَإِنَّ شِـفائـي عَـبرَةٌ مَهَـراقَـةٌ
فَهَل عِندَ رَسمٍ دارِسٍ مِـن مُعَـوَّلِ[٨٨]
كَدَأبِكَ مِـن أُمِّ الحُوَيـرِثِ قَبلَـها
وَجـارَتِهـا أُمِّ الرَبـابِ بِـمَأسَـلِ[٨٩]
فَفاضَت دُموعُ العَينِ مِنّي صَبابَـةً
عَلى النَحرِ حَتّى بَلَّ دَمعِيَ مِحمَلـي[٩٠]

أَلا رُبَّ يَومٍ لَكَ مِنهُنَّ صالِـــحٌ
وَلا سِيَّـما يَومٍ بِـدارَةِ جُلْجُـــلِ[٩١]
وَيَومَ عَقَرتُ لِلعَذارى مَطِيَّتـــي
فَيا عَجَباً مِن كورِها المُتَحَمَّـــلِ[٩٢]
تظَلَّ العَذارى يَرتَمـينَ بِلَحمِهـــا
وَشَحمٍ كَهُدّابِ الدِمَقسِ المُفَتَّـــلِ[٩٣]
وَيَومَ دَخَلتُ الخِدرَ خِدرَ عُنَيـــزَةٍ
فَقالَت لَكَ الوَيلاتُ إِنَّكَ مُرجِلـــي[٩٤]
وَيَوماً عَلى ظَهرِ الكَثيبِ تَعَذَّرَت
عَلَـــيَّ وَآلَت حَـلفَةً لَم تَحَـلَّـــلِ[٩٥]
أَفاطِمَ مَهلاً بَعضَ هَذا الـــتَدَلُّـلِ
وَإِن كُنتِ قَد أَزمَعتِ صَرمي فَأَجمِلي[٩٦]
وَإِن تَكُ قَد ساءَتكِ مِنّي خَليقَـــةٌ
فَسُـلّي ثِيابـــي مِن ثِيـابِكِ تَنسُـلِ[٩٧]
وَبَيضَةِ خِدرٍ لا يُرامُ خِباؤُهـــا
تَمَـتَّـعتُ مِن لَهوٍ بِها غَيرَ مُعجَـلِ[٩٨]
تَجاوَزتُ أَحراساً وأهوال معشـرٍ
عَلَيَّ حِراصـــاً لَو يُشـرونَ مَقتَلـي[٩٩]
إِلى مِثلِها يَرنو الحَليمُ صَبابَـــةً
إِذا ما اِسبَكَرَّت بَينَ دِرعٍ وَمِجـــوَلِ[١٠٠]
تَسَلَّت عِماياتُ الرِجالِ عَنِ الصِبا
وَلَيسَ صباي عَن هَواها بِمُنسَـــلِ[١٠١]
أَلا رُبَّ خَصمٍ فيكِ أَلوى رَدَدتَـــهُ
نَصيحٍ عَلى تَعذالِهِ غَيرَ مُـــؤتَلِ[١٠٢]
وَلَيلٍ كَمَوجِ البَحرِ أَرخى سُدولَهُ
عَلَيَّ بِأَنواعِ الهُمومِ لِيَبتَلـــي[١٠٣]
فَقُلتُ لَهُ لَمّا تَمَطّـــى بِصُلبِـــهِ
وَأَردَفَ أَعـجازاً وَناءَ بِكَلكَـــلِ[١٠٤]
أَلا أَيُّها اللَيلُ الطويل أَلا اِنجَلِـ
بِصُبحٍ وَما الإِصباحُ فِيكَ بِأَمـــثَلِ[١٠٥]
فَيا لَكَ مِن لَيلٍ كَأَنَّ نُجومَـــهُ
بِـكُلِّ مُغـارِ الفَتلِ شُدَّت بِيَـــذبُلِ[١٠٦]

كَأَنَّ الثُرَيّا عُلِّقَت في مَصامِهـــا
بِـأَمـراسِ كِتّانٍ إِلى صُمِّ جَنـــدَلِ[١٠٧]
وَقَد أَغتَدي وَالطَيرُ في وُكُناتِها
بِـمُـنجَرِدٍ قَيـدِ الأَوابِدِ هَيكَـــلِ[١٠٨]
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبِلٍ مُدبِـرٍ مَعـاً
كَجُلمودِ صَخرٍ حَطَّهُ السَيلُ مِن عَـلِ[١٠٩]
لَهُ أَيطَلا ظَبيٍ وَساقا نَـعامَةٍ
وَإِرخـــاءُ سِرحانٍ وَتَقريبُ تَتفـلِ[١١٠]
فَعَنَّ لَنا سِـربٌ كَأَنَّ نِـعاجَـهُ
عَـذارى دَوارٍ في مُـــلاءٍ مُذَيَّلِ[١١١]
فَأَلحَقَنا بِالهادِيـاتِ وَدونَـهُ
جَواحِـرُها في صَـرَّةٍ لَم تُزَيَّلِ[١١٢]
فَعادى عِداءً بَينَ ثَورٍ وَنَعجَةٍ
دِراكـاً وَلَم يَنضَح بِماءٍ فَيُغسَلِ[١١٣]
أحار ترَى بَرْقاً أُرِيْكَ وَميْضَـهُ
كَلَمْـعِ اليَدَيْنِ فِي حَبيٍّ مُكَـلّلِ[١١٤]
يُضيءُ سَناهُ أَو مَصابيح راهِبٍ
أَهانَ السَليطَ في الذَبالِ المُفَـتَّلِ[١١٥]
قَعَدتُ لَهُ وَصُحبَتي بَينَ حامِـرٍ
وَبَـينَ إِكـامِ بُعدَ ما مُتَأَمَّـلِ[١١٦]
وَأَضحى يَسُحُّ الماءُ عَن كُلِّ فَيقَةٍ
يَكُبُّ عَلى الأَذقانِ دَوحَ الكَنَهـبَلِ[١١٧]
كَأَنَّ سِباعاً فيهِ غَرقى غُدَيَّـةً
بِأَرجائِهِ القُصوى أَنابيشُ عَنصُلِ[١١٨]
على قَطَنٍ بِالشَيمِ أَيمَنُ صَوبه
وَأَيـسَرُهُ عَلى السِتارِ فَيَذبُلِ[١١٩]
وَأَلقى بِبَيسانَ مَعَ اللَيلِ بَركَه
فَأَنـزَلَ مِنهُ العَصمَ مِن كُلِّ مَنزِلِ[١٢٠]

تُعد معلقةُ امرئ القيس مَعْلَماً شامخاً من معالم الشعر العربي، لبنائها الفنّي وصياغتها البيانية الموحية، وما عبرّت عنه من مضامين انتظمتها، إذ استهلها الشاعر بالوقوف على الطلل وُعدَّ أول مَن وقف واستوقف الركب فبكي وأبكى من مَعه، بعدها غازل النساءَ مَعبّراً عمّا لَقيه من تباريح الهوى وألم الوجد، ثم وصف الليل فالخيل وأختتم معلقته بوصف المطر العنيف الذي يُغرق السباع وما إليها.

وجدير ذكره أن المعلقة استأثرت باهتمام الباحثين قدامى ومحدثين , وقد عبّر عن هذا الاهتمام الدكتور شوقي ضيف قائلاً: «وقد عدّ القدماء هذا المطلع من مبتكراته، إذ وقف واستوقف وبكى وأبكى من معه وذكر الحبيب والمنزل، ثم أخذ يصور لنا كيف كان أصحابه يحاولون أن ينفّسوا عنه، وهو غارق في ذكرياته وبكائه وإرسال دموعه وزفراته وانتقل انتقالاً سريعاً يقصّ علينا مغامراته مع النساء»[١٢١].

فما الرابط بين هذه الأغراض المذكورة آنفاً؟ ولِم كان رائداً في الدعوة إلى الوقوف على الأطلال مستهلاً معلقته بهذا الوقوف والبكاء (قفا نبك... البيت) ؟

فماذا أراد بالأطلال؟ وما الذي يجعله يصور عبثه مع عدد من النساء؟ ولمّا كان اميراً معشوقاً وصاحب لهوٍ وعبث، فلماذا البكاء وطولُ الليل؟ وهل ثمة علاقة بين هذه المعاني والمطر العنيف الذي أغرق السباع وغطّى أعالي الجبال حتى أنزل ما اعتصم بها؟

أطلعتنا سيرة امرئ القيس وأخباره على أنه قضّى شطراً من حياته على قلقٍ غير مستقرٍ في كنف أبيه وأهله، فقد كان منصرفاً – مطلع شبابه -إلى اللهو والمجون يرتاد – مع زمرته – الغدر والرياض، مطلقاً لنفسه عنان العبث ومعاقرة الخمر معبراً عن ذلك بمقولته الشهيرة (اليوم خمرُ وغداً أمر).

ولكن بعد مقتل أبيه تغيّر كلّ هذا، فجدّ في طلب ثأر أبيه، منتقلاً في القبائل مستغيثاً بهم على قتلة أبيه بني أسد، حتى اضطُر إلى شدّ الرحال إلى بلاد القيصر. وفضلاً عن ذلك فقد ذكر الرواةُ جانباً آخر من حياته،

إذ ذكروا أنه كان ثقيلاً على النساء فكُنَّ يكرهنَه، وقد فضّلت زوجته، أمُّ جندب، شعر علقمه عليه عندما طلب منها التحكيم بينهما فطلقها بعد أن اتهمها بأنها مُحبّة له.

ولاحظ الرواة أيضاً فيما يتصل بسلوكه مع النساء أنه (كان يتعهّر) [١٢٢].

وفي ضوء هذه المعطيات وغيرها مما يتصل بأخباره وأشعاره، واعتمادًا على أنّ بنية المعلقة قد تمحورت حول النساء وأيامه معهُنّ، نرى أنّ هذا النص تقوم وحدته الفنّية على التفسير النفسيّ، وانتقالاته المباشرة (المفاجئة) من معنىً إلى آخر كانت ضمن الدوافع النفسيّة، فترجح لدى الباحث أنّ الرمز لا يخرج عن كون امرئ القيس قد عانى من قصور جنسيّ لذا واجه هذا بادعاء الفحولة واعجاب النساء به وقد أفرط في تصوير هذا الإعجاب وشغفهن به كلّ الإفراط ، ومما يؤيد هذا الّرصد أن مجموعات النساء اللائي ورد ذكرهن في المعلقة إما متزوجات أو مرضعات أو عذارى في أعمار تتراوح ما بين أول النضج إلى أشدّه ، وكان لقاؤه بهن شاملاً: واحدة واحدة، واثنتين معاً ، وجماعات .... فضلاً عمّا صوّره من كلفهنّ به وتهالكهن على التمتع بما يُحسن من اللهو وما عليه من فحولة فلم يشغلهن عن طلبه شاغل، وكأنه في كل هذا يريد أن ينفي عن نفسه تُهمة الضعف ويؤكد لمتلقيه ، أنه يأتي بما لا يستطيع الرجال إتيانه.

لكنه كان يعلم حقيقة ضَعفه ويدرك أن شبابه إلى زوال، إنه يتشبث بالحياة فيراها مولّية مدبرة، ويقفُ على الأطلال، مستعيناً بصاحبين مزعومين يستحضرهما ليحملا عنه شيئاً من الهموم وليبكيا معه الأطلال ويشاركاه في أحزانه ولواعجه لعله يجد عزاءً بـ (قفا نبك) و(عوجا على الطلل) ويطيل النظر في الأطلال الدارسة فتذكره بالموت والفناء ، فيبكي بُكاءً مرّاً لعل في بكائه راحة للمحزون، وأنى له الخلاص مما هو فيه؟ وهل ينفع البكاء عند رسم دارس؟ وفي هذا يقول :

وإنَّ شِفَائِي عَبْـرَةٌ مُـــــهْرَاقةٌ
فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دارِسٍ مِن مُعَوَّلِ

ثم يأتي الليلُ فتتعاظم همومُه فيراه كابوساً مطبقاً على صدره، واصفاً إياه بموج البحر وقد أرخى سدوله ، فيفزعُ منه متمنياً مجيء الصباح، لكنّ الصبح لا يعني الاّ زيادة الضعف وتجسيد العجز وما هو بأفضل من الليل، فيهرب إلى الماضي مرةً أخرى وإلى حصانه لعله يخفف عنه ألم الحاضر، فيردد ما كان ماضياً فتقرأ قوله في غير هذه المعلقة

كَأَنِّيَ لَم أَركَب جَواداً لِلَـــــذَّةٍ
وَلَم أَتَبَطَّن كاعِباً ذاتَ خِلخالِ
وَلَم أَسبَأ الزِقَّ الرَويَّ وَلَم أَقُل
لِخَيلِيَ كُرّي كَرَّةً بَعدَ إِجفـالِ[١٢٣]

ومع كل هذا يواجه حقيقة ضعفه ولا يجد ما يواسيه من دين أو قيم تقيم توازناً نفسياً لديه فيغرق في حومة يأسِه واقتراب شبح الموت منه، فيحسّ أن (الموت والفناء) جاء عن طريق المطر العنيف والسيل الجارف الذي يُغرق السباع القوية ويحيط بكل شيء، فيتعزّى بها ويعزّي نفسه بأن دورة الحياة ستستمرُ، فبعد هذا الطوفان والدمار تنحسر المياه وتحلق الطيور فرحة وتنبت الأزهار الجميلة.

وبهذا التحليل الموجز نظر البحث إلى المعلقة بوصفها نصّاً متكاملاً ذا وحدة نفسيّة ربطت معاني امرئ القيس التي عبر عنها عبر انتقالاته العفوية بعاطفته التي سيّرت هذه الانتقالات.

أردنا أن تكون قراءتنا المعلقة في ضوء المنهج النفسيّ منطلقين من أنّ هذا المنهج يدرس النفس الإنسانية التي هي منبع الفنون كلّها، فالدرس النفسيّ يمكن أن يفسّر لنا كيف تمّ العمل الفني أولاً؟ ومن ثَمّ يكشفُ لنا الدافع النفسي الصادر من الإنسان خالق

العمل الفني.

وصفوة القول: إنّ في ضوء تحليلنا الموجز لهذه المعلقة ، أمكننا أنّ نعدّ انتقالات الشاعر من معنىً إلى آخر انتقالات طبيعية دونما تمحّل أو تكلُّف ، فليس ثمة تصيّد وسيلة يتخلص بها الشاعر إلى معناه الجديد ، بل جرى ذلك وفقاً لما كان يكتنفه من مشاعر كامنة وجهت تلك الأفكار بالاتجاه الذي آلت إليه معاني المعلقة التي تبدو للدارس المتعجل أنها معانٍ لا رابطَ بينها وأنّ القصيدة متعددة الأغراض ولا وحدة لها فخلص القدماء وبعض المحدثين – إلى أنّ تعدد الأغراض ووحدة البيت يجعل التزييف سهلاً في هذا الشعر.

من هنا يرى الباحث أنّ تحليلات النقَّاد القدماء وبعض المحدثين العرب والمستشرقين جاءت قاصرة عن إدراك طبيعة العاطفة في القصائد العربيّة، والدوافع النفسيّة التي تدفع الفنان لصوغ عمله الفني، وقد جرّتهم هذه القراءة الضيّقة إلي اتهام الشعر العربي بالنمطية والتفكك وعدم قدرة الشاعر على التخلص من معنىً إلى آخر، فوصفوا انتقال الشاعر بين المعاني المتعددة في النّص الواحد ، طفرا وانقطاعاً أو انفصالاً ، مفضلين طريقة الشعراء المحدثين من العباسيين والمتأثرين بهم من شعراء الأقاليم الإسلامية الأخرى، في التخلّص، والخروج من معنىً إلى معنىً جديد فسموا ذلك (حسن التخلّص) وقد سيطرت فكرة (حسن التخلّص) على النقد العربي زمانا دونما أن يتأمل النقد العربي لخطر الدوافع النفسيّة وطبيعة العواطف التي تفضي إلى التنقل بين المعاني المختلفة للنص الواحد، ولعلّ هذا ما وضّحه البحث في صفحاته السابقة ، وكشف تحليل المعلقة عن تماسك القصيدة ضمن العاطفة الموحدة التي دفعت المبدع الى تكوين عمله الفنّي أثناء لحظاته غير الواعية ، فلا ينبغي أن يُطالب المبدع بتصيّد وسائل يحسُن بها الانتقال من معنىً إلى آخر، لأن الشعر ليس نتاجاً للوعي المطلق.

لذا فإن بنية القصيدة بوصفها عملاً فنياً « هي كلُّ مكونات ذلك العمل أو تلك القصيدة وعلاقة كل واحد من هذه المكونات بما عداه.... وبهذا تكون البنية نابعة من ذات النص ، وغير محكومة بأية معايير من الخارج قد تجرّ المعاينة والبحث إلى دائرة الافتراضات والتخمينات، أو الفصل التعسّفي بين الشكل والمضمون[١٢٤].

وأخيراً نختم قولنا عن وحدة هذه القصيدة بما قاله باحث معاصر « ....وكلّ قصيدة من القصائد وحدة كاملة تنتظم في داخلها وحدات متعددة هي لبنات بنائها العام، وكلّ لبنة من هذه اللبنات هي صورة تشكّل مع أخوتها الصورة الكلية التي هي العمل الفنّي نفسه»[١٢٥].

خاتمة البحث ونتائُجه

بعد الانتهاء من هذا البحث يمكننا الإشارة إلى أهم ما توصلنا إليه:

• استطاع البحث أن يدعو إلى إعادة قراءة الشعر العربي وتأمل انتقالات الشعراء ضمن القصيدة الواحدة – من معنىً إلى آخر على وفق مفهوم ما تقوم عليه الشعرية وانطلاقاً من أهمية الدوافع النفسية والحالة الشعورية للمبدع وهو ينشئ عمله الفنّي.

• أكد البحث أنّ ارتباط الأغراض في القصيدة العربية القديمة قد يكون خفيّاً الأمر الذي غفل عنه أكثر نقَّادنا الأوائل وتابعهم بعض المحدثين، وهذا الارتباط لم يكن معيارياً وإنما أوحت به عاطفة الشاعر، فقد تظهر العاطفة في شكلها الإيجابي تعبيراً عن الحبّ في أغراض كالغزل ووصف الناقة، وربما تتحول في النّص الواحد إلى شكلِ ثانٍ (سلبيٍّ) فتكون تعبيراً عن المقت أو إظهار التهكُّم والسخرية من المهجو وما إلى ذلك، فالشعر ليس نتاج الوعي المطلق،

ووحدة القصيدة ليست نتاج عمل ذهني منطقي.

• وأظهر البحث أن هذا الترابط الخفي ّ شائع في القصائد الجاهلية كالمعلقة التي تناولها البحث بالتحليل، إذ تبدو أغراضها متناقضة فيما بينها متباعدة النزعات، لكنَّ تحليلها، وفق الدوافع النفسية وطبيعة عاطفة الشاعر والمعطيات المتوافرة عن أخباره وسيرته، أظهر لنا وحدتها العاطفية التي شدّت من أوصال النصّ الشعري وجعلته كلاً متماسكاً.

• لا يشترط في طريقة الانتقال التسلسل المنطقي والنمو والتطور، لأنّ وحدة الشعر العربي هي وحدة المشاعر والدوافع النفسيّة وليست الوحدة العضوية المزعومة التي حفل بها النقد الغربي وتوهمها في الشعر ابتداءً من ارسطو إلى اليوم.

• أثبت البحث- مستنداً إلى تأمل النصوص-أن ما يسمى بـ (حسن التخلّص) ، لم يكن الاّ تصيداً لوسائل فنيّة في محاولة من الشاعر للانتقال من معناه الأول إلى معانٍ جديدة وهو محض تمحّل وتكلّف، وقد يؤدي بعضه إلي تفكك النصّ وهلهلَة وحدته ، إذ لم يكن من وحي عاطفة الشاعر وروحه بل هو مستوَحى من عقله ومنطقه الأمر الذي يقرّبه إلى الصنعة ويبعده عن التصّرف الشعري.

• إنّ شعرية انتقال الشاعر بين معاني النصّ الواحد ليست مقصورة على الشعراء الجاهليين والمخضرمين، فقد برع أكثر الشعراء كأسلافهم في التعبير عن معانيهم الشعرية ضمن القصيدة الواحدة فأظهروا انسجاماً عاطفياً بين تلك المعاني المحاطة بالوحدة النفسية والشعور الموحدّ، وقد تبين هذا من النماذج التي عرضها البحث لشعراء عباسيين وأندلسيين.

الهوامش

١. الشعر والشعراء: ١٠.

٢. فن الشعر عند العرب: تأليف الأستاذ الدكتور نوري جعفر، تقديم الأستاذ الدكتور عبد الكريم راضي جعفر، الطبعة الأولي، بغداد، ٢٠١٣، ٤٥.

٣. المصدر نفسه والصفحة ذاتها.

٤. فن الشعر: هيكل: ترجمة جورج طرابيشي: ص ٧.

٥. الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي، علي إبراهيم أبوزيد، ط١ (دار المعارف، القاهرة) ص ٢٤٢.

٦. ينظر الشعر والشعراء: ١٠/١.

٧. الشعر والشعراء: ٧٤/١-٧٥.

٨. المصدر نفسه: ٧٥/١-٧٦.

٩. تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ص: ٩٢.

١٠. في النقد الأدبي: ص ١٥٤.

١١. ينظر: قواعد الشعر: ٦٠.

١٢. البديع: ٦٠.

١٣. عيار الشعر (٦-٧).

١٤. المصدر نفسه: ٦.

١٥. تاريخ النقد الأدبي عند العرب – نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري: ١٣٣.

١٦. حلية المحاضرة في صناعة الشعر، أبو علي الحاتمي، تحقيق د. جعفر الكتاني (دار الرشيد، العراق ١٩٧٩م،١٥) ومعني تتخون محاسنه: تنقصُها.

١٧. الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٤٨.

١٨. ينظر الموازنة ٢١٩/٢.

١٩. كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ص ٥١٣ وينظر البيت في ديوان الشاعر: طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم: ٦٣

٢٠. المصدر نفسه: ٥١٤ وينظر الديوان: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: ٤٠-٤١ ووردت فيه الكلمة (تطاول) بدلاً من (تقاعس).

٢١. المصدر نفسه والصفحة ذاتها.

٢٢. إعجاز القرآن: ٣٨.

٢٣. العمدة: ٣٣٦/١.

٢٤. سر الفصاحة ٣١٥.

٢٥. المثل السائر: ١٢١/٣.

٢٦. التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن: ١٨٤.

٢٧. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ١٨٤.

٢٨. المصدر نفسه: ٤٣٤ ــ ٤٣٥.

٢٩. مقدمة ابن خلدون:٤٦٠، دار صادر بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٣٠. العمدة: ٢ / ١١٧.

٣١. ينظر « مبدأ الوضوح والغموض في الفكر البلاغي والنقدي عند العرب (بحث) الدكتور ناصر حلاوي / مجلة المربد، السنة الثالثة،١٩٧٠، ص ٤٢، نقلاً عن دراسات في الادب العربي،غرنباوم، ص١٠.

٣٢. الشعر الجاهلي – محمّد النويهي، ٥٨٣/٢.

٣٣. دراسات في الأدب العربي: ٤٨.

٣٤. النقد الأدبي الحديث: ١٣.

٣٥. المصدر نفسه والصفحة ذاتها.

٣٦. ديوان النابغة الذبياني: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٣٨، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين، اختيار الأعلم الشنتمري: ١٩٦.

٣٧. المصدر نفسه:٣٢، أشعار الشعراء الستة الجاهليين: ٢٠.

٣٨. الديوان:٣٨، أشعار الشعراء الستة الجاهليين: ١٩٦.

٣٩. المصدر نفسه: ٢٦.

٤٠. الديوان : تحقيق محمّد جبار المعيبد: ٤٢-٤٣

٤١. الديوان: ٢٦.

٤٢. ديوان امرئ القيس: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: ط ١٩٦٤،٥، ص٦٣.

٤٣. شعر زهير بن أبي سلمى : صنعة الأعلم الشنتمري: تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة: ١٠٤.

٤٤. المصدر نفسه: ٢٣٠.

٤٥. الديوان :١٠

٤٦. شرح ديوان علقمة الفحل , احمد صقر . ط١, ١٩٣٦م , القاهرة:١١ ، وانظر أشعار الشعراء الستة الجاهليين: ١٤٥.

٤٧. شرح المعلقات السبع:للإمام عبدالله الحسن بن احمد الزوزني (ت ٤٨٦هـ) حققه واتمّ شرحه محمد عبد

القادر الفاضلي: ٢٢٣-٢٢٦.

٤٨. شرح المعلقات السبع: ٢٢٥.

٤٩. شرح المعلقات السبع : ٢٢٧.

٥٠. نظرية المنهج الشكلي: نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة إبراهيم الخطيب، ط بيروت، ٤٣.

٥١. انظر مبدأ الغموض والوضوح في الفكر البلاغي والنقدي عند العرب (بحث) الدكتور ناصر رشيد حلاوي، مجلة المربد، السنة الثالثة،١٩٧٠، ص ٣٦-٣٧ نقلاً عن Seven types P٢٣٤.

٥٢.ينظر قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد زكي العشماوي، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٤، ص ٤١.

٥٣. بناء القصيدة في شعر الناشئ الأكبر، علي إبراهيم أبو زيد، دار المعارف بمصر، ١٩٩٤، ص ٢٢١.

٥٤. بنية اللغة الشعرية عند الهذليين، محمد خليل خلايلة، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن / ٢٠٠٤ / ص ١٥.

٥٥. اللغة الشعرية لدى فدوى طوقان، ماجد محمد محمود، مجلة علامات، ج ٢٨، مج ٧ ١٩٩٨ ص ١٤٤.

٥٦. الشعر الاندلسي وصدى النكبات، يوسف عيد، الفكر العربي، بيروت ط ٢٠٠٢ ص ١٥٦.

٥٧. الشعرية العربية – أصولها ومفاهيمها واتجاهاتها، الدكتور مسلم حسب حسين، ط ١، منشورات الضفاف، العراق، البصرة، ٢٠١٣م، ص ٧٤.

٥٨. ينظر (شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى آخر القرن الثامن الهجري) د.جودت فخر الدين: ٧٤.

٥٩. يُنظر « الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة» ٢٧٢.

٦٠. شرح ديوان المتنبي: البرقوقي ٣ / ٣٥ -٣٩.

٦١. ديوان: ١٣٨ -١٣٩.

٦٢. الديوان: شرح حسين حموي: ٢ / ١٣٨.

٦٣. معاني بعض المفردات:صعراء: أنثى الاصعر وهو الذي يدير وجهه ويلوي عنقه من غضب أو غيره

٦٤. الخشاش: عود يدخل في أعظم أنف البعير الصعب حتى لا يكثر من تحريك رقبته، صاد العطشان،اللوابد: المتلاصقة.

٦٥. شعر محمد بن وهيب الحميري: تحقيق محمد جبار المعيبد: مجلة الخليج العربي، جامعة البصرة، المجلد /٧، العدد /١،١٩٨٥، ص ٦٢.

٦٦. ديوان أبي تمام، تحقيق محمد عبده عزام، ٢ / ١٩٠ -١٩٧.

٦٧. شرح الديوان: ٣ / ٢٨٤.

٦٨. ديوان ابن عمار الأندلسي :ضمن كتاب ابن عمار الاندلسي دراسة أدبية تاريخية , د. صلاح خالص , بغداد ,١٩٥٧: , وينظر القلائد , الفتح بن خاقان : ٢١٨/١.

٦٩. الديوان، ابن خفاجة الأندلسي تحقيق: سيد مصطفى غازي، مطبعة الاسكندرية، ١٩٦٠م: ١٧٢.

٧٠. ديوان ابن عمار الأندلسي :ضمن كتاب ابن عمار الاندلسي دراسة أدبية تاريخية , د. صلاح خالص , بغداد ,١٩٥٧: , وينظر القلائد , الفتح بن خاقان : ٢١٨/١.

٧١. ديوان ابن سهل الأندلسي ، تحقيق: د. احسان عباس.

٧٢. الديوان: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: ٥٦، ومطلع القصيدة

سما بك شوق بعد ما كان أقصرا وحلّت سَليمى بطن قَوٍّ فَعْرَعّرَاَ

٧٣. الديوان: ٩٧.

٧٤. الشعر الحرّ في العراق منذ نشأته حتى عام ١٩٥٨ م يوسف الصائغ: ٢٢٦.

٧٥. تنظر مجموعة محاضرات في (أدب ما قبل الإسلام، القاها الأستاذ الدكتور مصطفى عبد اللطيف جياووك على طلبة الماجستير، كلية الآداب – قسم اللغة العربية، ١٩٩٦-١٩٩٧ (مخطوطتي الخاصة).

٧٦. مجموعة محاضرات في (أدب ما قبل الإسلام) المخطوطة المذكورة آنفا.

٧٧. مجموعة محاضرات في (أدب ما قبل الإسلام) المخطوطة المذكورة آنفا.

٧٨. شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي، جمع وتحقيق ودراسة، د. عبد الحميد المعيني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٧٦.

٧٩. المصدر نفسه والصفحة ذاتها.

٨٠. الحياة والموت في الشعر الجاهلي، الدكتور مصطفى عبد اللطيف جياووك، ص ٣٦٨.

٨١. مدخل إلى علم الجمال الأدبي: د. عبد المنعم تليمة، (دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة، ١٩٨٦) ص ١٠٠.

٨٢. اخترنا من المعلقة نصفها محافظين على هيكلها، انظر القصيدة في ديوانه: (٨-٢٦).

٨٣. سقط اللوى والدخول والحومل أماكن.

٨٤. توضح والمقراة: موضعان يعفو رسمها: ينتهي أثرها ويدرس، الجنوب والشمال، رياح منسوبة إلى الجهات المذكورة، نسجتها: تعاقبت عليها، أي لم تَزَل الآثار كلياً بسبب الرياح بل بقي منها شيء.

٨٥. الأرام: الظبا البيض، العرصات والقيعان:الساحات: يعني أن الدار اقفرت من أهلها وصارت ملعباً للوحوش، فبعرها فيها.

٨٦. غداة البين : يوم الرحيل ، سَمُرْات الحي: شجراته ، ناقف حنظل : مستخرج حب الحنظل والحنظل نبات زاحف ، والذي يستخرج الحبَّ منه تنزل دموعه لحرارته ، شبّه دموعه الحارة الغزيرة بدموع مستخرج حبّ الحنظل.

٨٧. مطيّهم: إبلهم . يقول أوقف أصحابه إبلهم ليواسوه.

٨٨. رسم دارس: ما تبقي من الآثار . المعوّل: الجدوى/ أن البكاءَ على الرسوم لا يجدي نفعاً.

٨٩. الدأب العادة : مأسل : موضع ، أي لقي من الحزن من هذه كما لقي من أم الحويرث.

٩٠. الصبابة : رقة المشاعر ، المحمل : ما يحمل السيف (الحزام) أي بكى بكاءً شديداً حتى بل دمعه محمل سيفه.

٩١. دارة جلجل: موضع وقصته مشهورة .

٩٢. عقر ناقته: ذبحها، رحلها المحتمل: وضع رجل ناقته بعد ذبحها على ناقة أخرى، وكأنه. سنّه نفسه على ذبح ناقته.

٩٣. يرتمين بلحمها: يتبادلنه . هدّاب المقس: الحرير الأبيض شبّه الشحَم به.

٩٤. الخدر: الهودج ، مرجلي : تاركي امشي راجلة.

٩٥. تصعبت: لم تتحلل، لم تستثن من يمينها . لم تمكنه من نفسها.

٩٦. بعض هذا التدلل: اقلي منه. أزمعت : عزمت . صرمي : قطيعتي أجمل : أحسني.

٩٧. إذا لم تعجبك صفة مني فاقطعي أمرك عن أمري.

٩٨. بيضة خدر: كناية عن المرأة.

٩٩. يشرون: يظهرون . أي أن الحرس تمنوا قتله ويحرصون على ذلك.

١٠٠. اسبكرت: تمّ طولها، الدرع : ثوب تلبسه الناضجة ، والمجول : ثوب تلبسه الصبية، يقول : إنها في أول نضجها وإلى مثلها ينظر المحبون.

١٠١. تسلت عمايات الرجال: ذهبت الغواية ، ولكنه لم ينسها.

١٠٢. الوى : شديد الخصومة ، المؤتلي : المقصر، يقول إن من نصحني بتركك اعتبرته خصماً شديد الخصومة.

١٠٣. سدوله: ستوره: شبه الليل بموج البحر في تراكمه وشدة ظلمته، وهذا الليل كان ثقيلاً عليه بهمومه ليختبر ما عنده من الصبر.

١٠٤. يصف كابوس الليل عليه

١٠٥. يطلب انكشاف الليل مع ان الصبح فيه هموم أيضاً.

١٠٦. مغار القتل: شديد ، يذبل : اسم جبل : يقول : كأن هذه النجوم شدت بشيء مفتول قوي إلى جانب هذا الجبل فكأنها لا تسري (وصف طول الليل).

١٠٧. المصام : مربط (مكانها الذي لا تزد منه) الأمراس : حبال وصف آخر لطول الليل.

١٠٨. وكنات : أعشاش ، المتجرد : القصير الشعر، قيد الأوابد : يقيد الوحوش لسبقه لها يقول يخرج يغرسه القوي السريع قبل خروج العصافير التي عادتها الخروج باكراً.

١٠٩. وصف الفرس بالسرعة – لسرعة الحركة –وخفة تغيير الاتجاه ، ولكنه مع ذلك صلب مثل الصخر الذي نزل به السيل من أعلى الجبل من سرعة نزوله وصلابته.

١١٠. شبه خاصرتي الفرس بخاصرتي الظبي لأنه ضامر ، وهو قصير الساقين صلبهما مثل النعامة وشبه

سيره بسير الذئب وعدوه بعدو الثعلب.

١١١. شبه البقر في مشيتهن وطول إذبالهن وبياضهن بالعذارى في اعلاء المهذّب.

١١٢. أي جمع الحصان بين المتقدمات من البقر والمتأخرات منهن لم يفت منهن شيء.

١١٣. أي أنه صاد من هذه الحيوانات قبل أن يعرق ويتعب.

١١٤. الوميض : اللمع ، الحبيّ : السحاب المرتف ، الملك : الذي في جوانب السماء كالإكليل.

١١٥. السنا : الضوء ، السليط، الدهن ، الذبال : الفتائل.

١١٦. يقول جلست مع أصحابي قرب حامر أرقب البرق من أين يجيء وتأملته من بعيد.

١١٧. الفيقة : السكوت ما بين المطرتين ، والأمثل في حلب الناقة وتركها زمناً ثم تحلب ثانية فما بين الحلبتين (فيقة) ، الكنهبل : شجرة العضاة

١١٨. الكبير، يقول إن المطر نزل بغزارة وتواصل واخذ الماء السائل بقلع الأشجار ويكبها على وجهها.

١١٩. يقول حين أصبح الناس فنظروا ما أحدث السيل رأوا السباع الغرقى كأنها البصل البري (العنصل) المقطوع.

١٢٠. يقول إذا نظر إلى البرق فيراه يميناً على جبل في منطقة بني أسد (قطن) ويسارًا على جبل الستار ويذبل.

١٢١. يقول إنّ المطر عمَّ جبل بيسان حتى أنزل من اعتصم به.

١٢٢. تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي، ٢٤٩.

١٢٣. مقدمه شرح المعلقات العشر: التبريزي، الشعر والشعراء: ٥٣/١.

١٢٤. الديوان: ٣٥.

١٢٥. بنية القصيدة الجاهلية – دراسة تطبيقية في شعر النابغة، د. علي مراشدة، ط١، عالم الكتاب الحديث، أربد: الأردن، ٢٠٠٦ م، ص١٢.

١٢٦. امرؤ القيس، شاعر المرأة والطبيعة، إيليا حاوي، ط، دار الثقافة، بيروت، ص ١٦٩.

المصادر والمراجع

١- الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، د. مصطفى سويف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٥١.

٢- أشعار الشعراء الستة الجاهليين، اختيار العلامة يوسف بن سليمان المعروف بالأعلم الشنتمري {ت ٤٧٦هـ} منشورات دار الآفاق، ط١، بيروت، ١٩٧٩م.

٣- بناء القصيدة في شعر الناشئ الأكبر، علي إبراهيم أبو زيد، دار المعارف بمصر، ١٩٩٤م.

٤- بنية اللغة الشعرية عند الهذليين، محمد خليل خلايلة، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ٢٠٠٤م.

٥- بنية القصيدة الجاهلية – دراسة تطبيقية في شعر النابغة، د.علي مراشدة، ط١ ، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ٢٠٠٦م.

٦- امرؤ القيس، شاعر المرأة والطبيعة، إيليا حاوي، (د.ط) دار الثقافة، بيروت، د.ت.

٧- البديع: عبد الله ابن المعتز، {عني بنشره والتعليق عليه وإعداد فهارسه المستشرق إغناطيوس كراتاكوفسكي، دار الحكمة، دمشق، د.ت.

٨- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، الدكتور إحسان عباس، دار الشروق للتوزيع والنشر، عمان الطبعة العربية الأولى، ٢٠٠٦م.

٩-تاريخ الأدب العربي-العصر الجاهلي-الدكتور شوقي ضيف، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠.

١٠- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي حتى القرن الرابع الهجري، الأستاذ المرحوم طه أحمد إبراهيم، دار الحكمة، بيروت ١٩٣٧م.

١١-التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن، عبد الواحد عبد الكريم الزملكاني، تحقيق أحمد مطلوب، خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤م.

١٢-تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري, (د.ط) , (د.ت).

١٣- حلية المحاضرة في صناعة الشعر، أبو علي محمد بن الحسن بن المظفّر الحاتمي، تحقيق جعفر الكتاني، دار الرشيد للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م.

١٤- الحياة والموت في الشعر الجاهلي، الدكتور مصطفى عبداللطيف جياووك، الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام، سلسلة دراسات (١٢٣)، دار الحرية للطباعة ١٩٧٧م.

١٥- دراسات في الأدب العربي، جرنباوم، بيروت، ١٩٥٩م.

١٦- ديوان أبي تمّام الطائي، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٤م.

١٧- ديوان أبي نواس – الحسن بن هاني، تقديم عزيز أباظة، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٥٣ (تاريخ المقدمة).

١٨- ديوان ابن خفاجة الأندلسي، تحقيق سيد مصطفى غازي، مطبعة الإسكندرية، ١٩٦٠م.

١٩- ديوان ابن سهل الأندلسي، تقديم الدكتور إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م.

٢٠- ديوان ابن عمّار الأندلسي– ضمن كتاب – ابن عمّار الاندلسي، دراسة تاريخية أدبية، الدكتور صلاح خالص، بغداد, ١٩٥٨.

٢١- ديوان ابن النبيه المصري، كمال الدين أبو الحسن

علي بن محمد المتوفى سنة ٦١٩م. تحقيق عمر محمد الاسعدَ، دار الفكر، الطبعة الأولي، ١٩٦٩م.
٢٢- ديوان بشار بن برد، شرح حسين حموي، دار الجيل، بيروت ط١، ١٩٦٩م.
٢٣- ديوان طرفة بن العبد البكري مع شرح الأعلم الشنتمري بعناية مكسس سلفسون شالوت.
٢٤- ديوان عَدِيّ بن زيد العبادي، تحقيق محمد جبّار المعيبد،بغداد، ١٩٦٥م.
٢٥- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧م.
٢٦- سرّ الفصاحة، أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن سنان الخفاجي الحلبي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، ١٩٥٣م.
٢٧- شرح ديوان علقمة الفحل، تحقيق أحمد صقر، المطبعة المحمودية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٣٥.
٢٨-شرح ديوان المتنبي، وضع عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتب العلمية –بيروت،لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م.
٢٩- شرح القصائد العشر، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمّد بن محمد بن موسى المعروف بالخطيب التبريزي-تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة،القاهرة، ١٩٤٦.
٣٠- شرح المعلقات السبع للإمام عبد الله الحسن بن أحمد الزوزني المتوفى سنة هـ٤٨٦، تحقيق محمد الفاضلي، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر ط١، إيران،طهران، ٢٠٠٤م.
٣١- شعر زهير بن أبي سُلمى، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢م.
٣٢- شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي، جمع وتحقيق ودراسة د.عبد الحميد المعيني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري،الكويت، ٢٠٠٠م.
٣٣- الشعرية العربية – أصُولُها ومفاهيمها واتجاهاتها، الدكتور مسلم حسب حسين، منشورات الضفاف، ط١، البصرة –العراق، ٢٠١٣م.
٣٤- الشعر الأندلسي وصدى النكبات، يوسف عبيد، الفكر العربي، ص٢٠٠٠م.
٣٥- الشعر الجاهلي – الدكتور محمد النويهي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت).
٣٦- الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أحمد محمد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م، الطبعة الثانية، وطبعة دار الثقافة،بيروت، ١٩٦٤م، طبعة محققة ومفهرسة.
٣٧-الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى سنة ١٩٥٨م، يوسف الصائغ، مطبعة الأديب،البغدادية، ١٩٧٨.
٣٨- شعر محمد بن وهيب الحميري، تحقيق محمّد جبار المعيبد، مجلة الخليج العربي، جامعة البصرة، المجلد :٧، العدد، ١، ١٩٨٥.
٣٩- شكل القصيدة في النقد العربي حتى نهاية القرن الثاني للهجرة،د. جودت فخر الدين، دار الآداب بيروت، ١٩٨٤م.
٤٠- الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي، علي إبراهيم أبو زيد ط١، (دار المعارف القاهرة).
٤١- طبقات فحول الشعراء – محمد بن سلام

الجمحي : تحقيق محمود محمد شاكر , طبعة دار المدني , جدة , المؤسسة السعودية , د.ت.
٤٢- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة،القاهرة، ١٩٥٥م.
٤٣- عيار الشعر، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، تحقيق د. طه الحاجري، د. محمّد زغلول سلام،القاهرة، ١٩٦٥.
٤٤- فن الشعر،هيغل، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت، لبنان.
٤٥- في النقد الأدبي،د. شوقي ضيف، دار المعارف،القاهرة، ١٩٦٦.
٤٦- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان –الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي والمشهور بابن خاقان، تحقيق د. حسين يوسف خربوش، ط١، (عمان، مكتبة المنار، ١٩٨٩م).
٤٧- قواعد الشعر، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب, تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب،القاهرة، ١٩٦٦.
٤٨- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد زكي العشماوي، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٤.
٤٩- كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر – تصنيف أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، حققه وضبط نصوصه الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط بيروت، ١٩٨٩م.
٥٠- مبدأ الوضوح والغموض في الفكر البلاغي والنقدي عند العرب(بحث) الدكتور ناصر رشيد حلاوي، مجلة (المربد)، السنة الثالثة، ١٩٧٠.
٥١- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، قدمه وحققه وعلق عليه، د .أحمد الحوفي و د.بدوي طبانه، مكتبة نهضة مصر، الطبعة الأولى، القاهرة ،١٩٦٠ م.
٥٢- محاضرات في أدب ما قبل الإسلام (مجموعة محاضرات مخطوطة) د. مصطفى عبد اللطيف القاها على طلبة الماجستير جامعة البصرة – كلية الآداب – قسم اللغة العربية، ١٩٩٦ – ١٩٩٧ (محاضرات غير منشورة).
٥٣- مدخل إلى علم الجمال الادبي، عبد المنعم تليمة، دار الثقافة للطباعة والنشر،القاهرة، ١٩٧٨.
٥٤- مقدمة ابن خلدون – عبد الرحمن بن خلدون – دار صادر – ط بيروت، ٢٠٠٠.
٥٥- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي: تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر،القاهرة، ١٩٦٢.
٥٦- النقد الأدبي الحديث – د. محمد غنيمي هلال، دار العودة،بيروت، ١٩٧٣.
٥٧- نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس،ترجمة إبراهيم الخطيب،ط١،بيروت، ١٩٨٠.
٥٨- الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي عبد العزيز الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، على محمد البجاوي، طبعة عيسى البابي الحلبي، ط ٤،القاهرة، ١٩٦١.

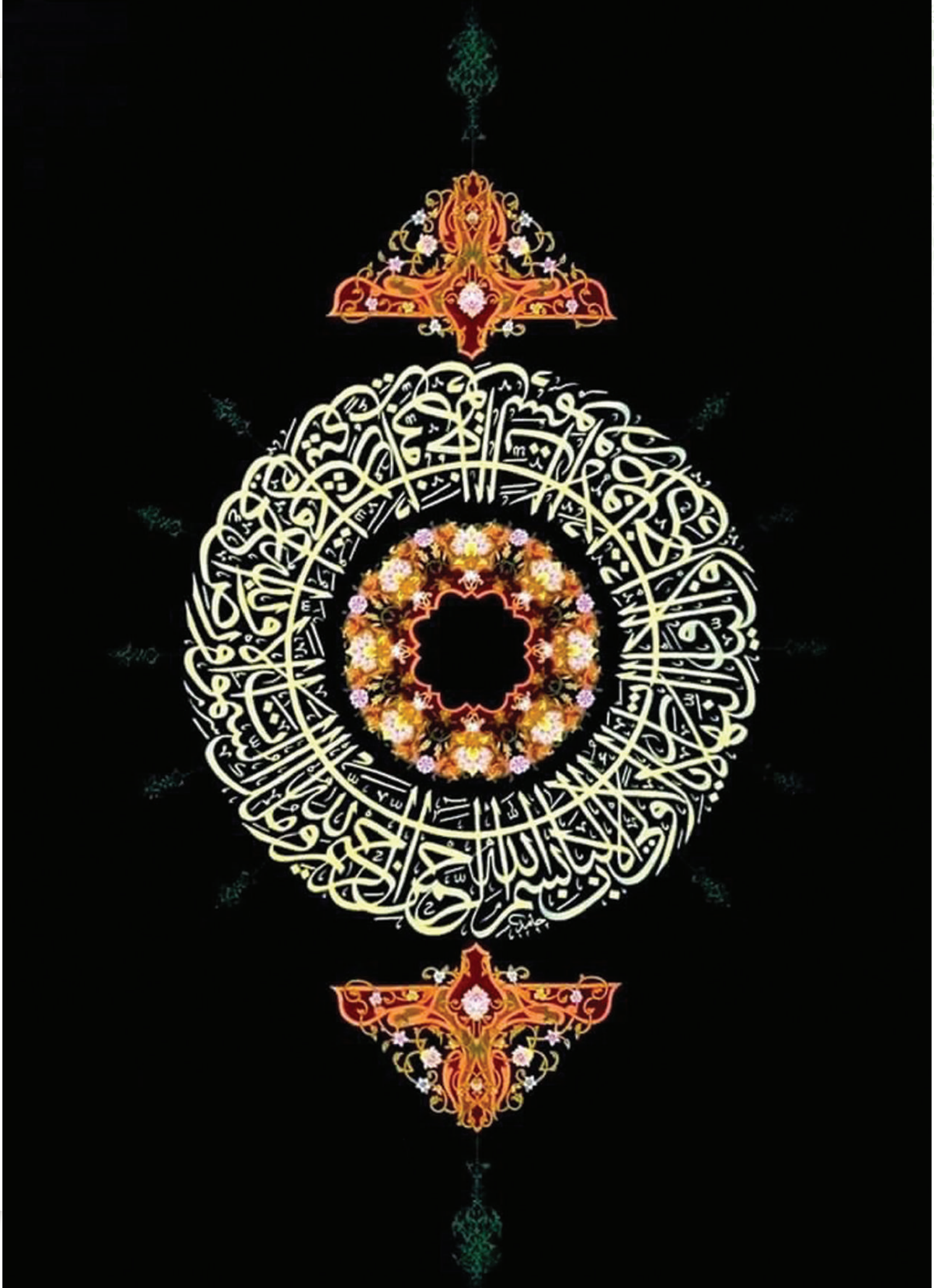

صعوباتُ تدريسِ مادةِ قواعد اللغة العربية في المرحلة المتوسطة من وجهة نظر مدرسي المادة ومدرساتها

Difficulties in Teaching Arabic Grammar for the Intermediate stage from the Teachers' viewpoint

أ.م. نجم عبدالله الموسوي
م.م.سوسن هاشم الجابري

By: Assist.Prof.Najim Abdullah Al-Musawi
Assist.Lecturer Sawsan Hashim Al-Jabiri

ملخص البحث

يهدفُ هذا البحثُ إلى معرفة صعوبات تدريس قواعد اللغة العربية في المرحلة المتوسطة من وجهة نظر مدرسي المادة ومدرساتها، اقتصر البحث على مدرسي مادة قواعد اللغة العربية في المدارس التابعة للمديرية العامة لتربية ميسان، للعام الدراسي ٢٠١٢ – ٢٠١٣ ، وتكونت عينة البحث الكلية من (١٠٠) مدرس ومدرسة .

وجه الباحثان إستبانة استطلاعية لمعرفة أسباب صعوبات تدريس قواعد اللغة العربية في المرحلة المتوسطة من وجهة نظر مدرسي المادة ومدرساتها، تضمنت السؤال الآتـي : ما صعوبات تدريس مادة قواعد اللغة العربية في المرحلة المتوسطة ؟ ، عرضت على عينة استطلاعية بلغت (٥٠) مدرساً ومدرسةً ، بعدها أعد الباحثان الاستبانة النهائية التي صاغتها على وفق إجابات المدرسين، تم التأكد من صدقها الظاهري بعرضها على مجموعة من الخبراء والمختصين فـي طرائـق تدريس اللغة العربية ، وحُسب ثباتها بطريقة الإعادة (Test – Retest) إذ بلغت درجـة ثباتهـا (٨٢,٠) ، ثم عرضت الاستبانة النهائية على العينة الأصلية المكونة من (٥٠) مدرساً ومدرسةً ، وبعد معالجة البيانات إحصائياً أوضحت نتائج البحث أنَّ هناك جملة من الصعوبات التي يعاني منها طلبة المرحلة المتوسطة في مادة قواعد اللغة العربية ، وفي ضوء النتائج قدم الباحثان مجموعة من التوصيـات والمقترحات .

.

Abstract

This research aimed at finding out the difficulties in teaching Arabic grammar for the intermediate stage from the viewpoint of teachers of the subject .The study was limited to the teachers of Arabic grammar in the schools which belong to Misan General Directorate of Education in the academic year 2012 – 2013. The sample consisted of 100 male and female teachers.

The researchers constructed a pilot study to find out the causes of the difficulties in teaching Arabic grammar in the intermediate school from the teachers' perspective. The question was :what are the difficulties of teaching Arabic grammar in the intermediate school? The question was given to the pilot sample of 50 teachers, then they were given the final questionnaire which was prepared on the basis of teachers' answers. Surface validity was achieved by showing it to a group of experts and specialists in methods of teaching Arabic, while the reliability was achieved by (Test-Retest) with a degree of (28, 0). After doing the statistical analysis to the data, the research gave some findings .There are a number of difficulties in Arabic grammar experienced by the students attending intermediate school. In the light of the findings, the researchers presented a set of recommendations and suggestions.

الفصلُ الأول

مشكلةُ البحث :-

أوضحَ العديدُ من الباحثين والمختصين في طرائق تدريس اللغة العربية عموماً وطرائق تدريس قواعد اللغة العربية خصوصاً أن مادة قواعد اللغة العربية توجد فيها صعوبات كثيرة أوضحوها في بحوثهم ودراساتهم ونتيجة لهذه الصعوبات أصبح الكثير من التلاميذ والطلبة يعانون من ضعف التعلم وتدني مستوى التحصيل الدراسي .

وقد أشار (العيسوي وآخرون , ٢٠٠٥) أن مشكلات تدريس قواعد اللغة العربية كثيرة ومتعددة منها ما يتعلق بطبيعة دراسة القواعد العربية النحوية ومناهجها , ومنها ما يتعلق بطبيعة تعليم المبادئ النحوية بصفة عامة (العيسوي وآخرون , ٢٠٠٥ ص ٢٧٧) .

ويرى (حسين ونجم , ٢٠٠٤) إن أول الأسباب التي أدت إلى عزوف الطلبة عن مادة قواعد اللغة العربية هو عدم استطاعتهم تذوق المادة النحوية بأفكارهم وأن أذهانهم تقتحمها فلا تقبلها ولا تمازجها وان ما يحفظون منها ما يحفظون حتى يقطعوا منها مرحلة من مراحل الدراسة ويقضوا منها حاجة من حاجاتهم (حسين و نجم , ٢٠٠٤ ص ٢٩) .

ويؤكد (نصيرات , ٢٠٠٦) إن علم النحو هو العلم المظلوم بين العلوم العربية حيث يعده الكثيرون صعبا لاعتبارات كثيرة ولم يكن أسلافنا من العامة والخاصة يجدون تلك الصعوبة كونهم كانوا يتحدثون العربية السليمة ولعل الذين نظروا في صعوبة النحو وتعليمه وجدوا إن مشكلة تعلمه تكمن في أمرين هما :-

١- طريقة تدريسه للناشئة .

٢- عدم ممارسته واعتباره أساسا في التعلم (نصيرات , ٢٠٠٦ ص ١٩٣).

كما أشار (الدليمي والوائلي , ٢٠٠٥) أن مشكلة قواعد اللغة العربية تكمن في عنصرين أساسيين هما : -

١- إن استنتاج علامة الإعراب سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة ليست بهذا القدر من السهولة فهي في الواقع يسبقها جهد ونظر عقليان يجعلان استنتاج العلامة أمرا ميسورا .

٢- إن الغرض من النحو لا يقف عند مجرد وضع ضوابط الصحة والخطأ في كلام العرب وإنما يقصد إلى إرادة البحث عن كل ما يفيد فيه استنطاق النصوص وبخاصة النص القرآني ومعرفة ما يؤديه التركيب القرآني من أحكام ومعانٍ بوصفه أعلى ما في اللغة العربية من بيان وهكذا يبدو علم النحو علم التراكيب يُعنى بوظائف الكلمات فيها وهذا يتطلب العمل العقلي قبل النطق والعلم العقلي قبل تفسير المكتوب أو شرحه (الدليمي و الوائلي , ٢٠٠٥ ص ١٧٩) .

كما أكد (عايز و زاير , ٢٠١١) من الأسباب التي جعلت من تدريس قواعد اللغة العربية مشكلة ما يأتي :

١- مادة قواعد اللغة العربية كانت وإلى عهد قريب تُدرس بوصفها هدفا مقصودا لنفسه فتسرب إلى أذهان الطلبة إن هذه القواعد غاية وليست وسيلة لخدمة اللغة وآدابها .

٢- الطريقة الجافة التي خضعت لها القواعد العربية

في تدريسها والتي اعتمدت أساسا على الجانب النظري التلقين والاستظهار (عايز و زاير , ٢٠١١ ص ٣١٧) .

أما (شعيب , ٢٠٠٨) فقد أكد إن لوجود ظاهرة الضعف في قواعد اللغة العربية أسبابا كثيرة ومتفرعة منها ما يعود إلى طرق وأساليب التدريس المتبعة في مؤسساتنا التعليمية ومنها ما يعود إلى اعتماد المدرسين على طريقة الإلقاء والتي تقوم على الشرح والحديث من جانب واحد واحتكار معظم الوقت المتخصص وإتباع طريقة التحفيظ والتلقين الآلي وهذا يؤدي إلى تعطيل قدرات التلميذ على التعبير وعدم تشجيعه على الاهتمام بفهم واستيعاب معاني الألفاظ والصيغ اللغوية (شعيب , ٢٠٠٨ ص ١٠-١١) .

كما أن مشكلة قواعد اللغة العربية تكمن في جوانب واتجاهات متعددة منها ما يتعلق بالمنهج المقرر أو الطريقة التي يتبعها المدرسون والتي تعتمد على الحفظ والتلقين وعدم الاهتمام بنشاطات الطلبة هذا من جانب ومن جانب آخر لكثرة التفرعات النحوية التي يصعب على الطلبة معرفتها وإدراكها يجعلهم يعزفون عن النحو ويُخطئون بأكثر القواعد النحوية وقد برزت مشكلة هذا البحث انطلاقاً مما ذكرناه سابقا وتجلت فيه كون أن هنالك صعوبات يعاني منها طلبة المرحلة المتوسطة في مادة قواعد اللغة العربية لابد من تشخيصها وبيانها .

أهمية البحث :

تُعد اللغة العربية أداة التفاهم والتعبير ووسيلة الفهم وأنها مقياس تحضر الأمة ورُقيها ووسيلة للدعاية والتفاعل زيادة على كونها أداة للتوجيه الديني والتهذيب الروحي وللغة العربية أهمية نفسية فهي أداة التـأثيـر والإقناع عند تفاعل الفرد والمجتمع وإنها تساعدهُ على تكوين العادات العقليـة وإدراك الأشياء الجزئية والكلية (حسين ونجم , ٢٠٠٤ ص ١٧) .

اللغة ظاهرة بشرية امتاز بها الإنسان عن سائر الكائنات الحية وهي من نِعم الله تعالى التي انعم بها على الإنسان وقال سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (سورة الرحمن ، الآية١-٤) .

واللغة طريقة إنسانية خالصة للاتصال الذي يتم بواسطة نظام من الرموز التي تنتج طواعية فاللغة نظام ولا يستطيع المتحدث أن يغير هذا النظام إذا أراد الإفهام (العيسوي وآخرون , ٢٠٠٥ ص ٣٨) .

وتمثل اللغة الإنسانية الوسيط الملائم لتمكين الفرد من التعبير عن ذاته وما يكنّه من مشاعر وأحاسيس تجاه العالم من حوله فبواسطة اللغة – مفردات وجمل وتعابير وحتى إشارات جسدية – يعبّر الفرد عن حالته النفسية والعقلية من رضا أو سخط أو حب أو كراهية كما أنها وسيلة تمكّن الفرد من التعبير عن حالته الفكرية والعقلية (نصيرات , ٢٠٠٦ ص ٢١) .

وتمثل اللغة مسموعة أو مكتوبة أداة يستطيع الإنسان بواسطتها التفاهم مع غيره من أفراد المجتمع في المواقف الحياتية المختلفة فبواسطتها يستطيع الفرد نقل أفكاره وأحاسيسه وحاجاته إلى غيره ممن يتعامل معهم كما أنها الوسيلة التي يستطيع الفرد التعبير عن عواطفه من حزن وفرح وإعجاب

وغضب وغير ذلك من الأنماط السلوكية (السعدي وآخرون , ١٩٩٢ ص ٧) .

وإن اللغة عامل هام في حفظ التراث الثقافي والحضاري وهي الرابطة القومية التي تربط المتكلمين بعضهم ببعض مهما اختلفت بيئاتهم وتباعدت ديارهم وهي وسيلة الفرد للتعبير عن عواطفه وأحاسيسه وما ينشأ في ذهنه من أفكار فبواسطتها يتمكن الفرد من التأثير في عقول الآخرين ويطلع على تجارب مجتمعه وتجارب المجتمعات الأخرى ماضيا وحاضرا (شعيب , ٢٠٠٨ ص ٢١-٢٢) .

كما أن اللغة وسيلة لاتصال الفرد بغيره وعن طريق هذا الاتصال يحصل على مآربه كما أنها وسيلة للتعبير عن آلامه وآماله وعواطفه وأداة للتفاهم بين الأفراد والجماعات فهي سلاح الفرد في مواجهة كثير من المواقف الحيوية التي تتطلب الكلام والاستماع أو القراءة والكتابة (إبراهيم ,٢٠٠٧ ص ٤٣) .

وتعد اللغة العربية اللغة الأسمى بين اللغات الأخرى لما لها من أهمية فاعلة إذ إنها لغة القرآن الكريم إذ نزل بها وأعطاها شرفا كبيرا جعلها تعلو شأنا على غيرها فلابد من المحافظة على سلامتها وتحديد نقاط الضعف ومعالجتها تمهيدا لإزالتها والتخلص منها .

ولما كانت قواعد اللغة العربية فرعا من فروع اللغة فأن أهميتها تأتي من أهمية اللغة نفسها فلا تكتب اللغة كتابة صحيحة إلا بمعرفة قواعدها الأساسية فالقواعد الدرع الذي يصون اللسان من الخطأ فهي تضبط قوانين اللغة وتراكيب الكلمة والجملة (عايز و زاير , ٢٠١١ ص ٣١٦) .

وبناءً على ما تقدم فأن أهمية هذا البحث تتجلى في ما يأتي :

١- إن لقواعد اللغة العربية أهمية كبيرة فهي تعمل على تقويم ألسنة الطلبة وتساعدهم على تلفظ العبارات تلفظا صحيحا .

٢- معرفة ما للغة العربية من أهمية بالغة فهي الوسيلة للتفاهم والتخاطب وبثَ المشاعر والأحاسيس.

٣- تحديد صعوبات قواعد اللغة العربية في المرحلة المتوسطة وبيانها بدقة وصورة علمية رصينة .

هدف البحث : يهدف هذا البحث إلى معرفة صعوبات تعلم مادة قواعد اللغة العربية في المرحلة المتوسطة من وجهة نظر مدرسي المادة ومدرساتها .

حدود البحث : تحدد هذا البحث بمدرسي مادة قواعد اللغة العربية ومدرساتها في المدارس المتوسطة (الدراسة النهارية) التابعة للمديرية العامة لتربية محافظة ميسان ، للعام الدراسي ٢٠١٢- ٢٠١٣ .

تحديد المصطلحات :

أولاً : الصعوبة لغة : الصعب خلاف السهل، نقيض الذلول، وصعب الأمر وأصعب، بصعب صعوبة: صار صعباً: واستصعب عليه الأمر أي صعب واستصعب رآه صعباً

الصعب خلاف السهل ، نقيض الذلول ، والأنثى صعبه بالهاء وجمعها صعاب ، ونساء صعاب بالتسكين لأنه صفة ، وصعب الأمر وأصعب ، عن اللحياني ، يصعب صعوبة : صار صعبا: وأستصعب وتصعب وصعبة وأصعب الأمر وافقه

صعباً قال الأعشى بأهلة :

لا يصعب الأمر إلا ريث يرْكبه

وكل أمر ، سوى الفحشاء يأتمر

وأستصعب عليه الأمر أي صعب وأستصعبه: رآه صعباً. (ابن منظور، د.ت ،ج٣، مادة صعب ص ٣٣٠).

ثانياً : الصعوبة اصطلاحاً :

*عرفها (إبراهيم ,١٩٨٥) : أنها كل ما يعيق أو يعرقل تحقيق هدف معين يتطلب اجتيازه مزيدا من الجهود العقلية والجسمية (إبراهيم , ١٩٨٥ ص ٣٠) .

*عرفها (الدفاعي , ١٩٨٨) : بأنها عائق يبعث في التلاميذ الحيرة ويتطلب جهدا فرديا أو جماعيا مباشرا أو غير مباشر (الدفاعي ,١٩٨٨ ص ٦١) .

* عرفها (جابر ،٢٠٠٠) : إنها تدخل أو تعطيل يحول بين الاستجابات وتحقيق الهدف (جابر ، ٢٠٠٠ ص ٢٠٣) .

* عرفها (السكران ،٢٠٠٠) : بأنها كل صعوبة أو عائق يعيق الإنسان من الوصول إلى هدف يود بلوغه ، أي إنها حيرة تضع الطالب في موقف تساؤل حول تنفيذ القرار

أو الأوامر ، أو الشك في قضية ما يجهلها وتتطلب منه حلاً مقبولاً (السكران ، ٢٠٠٠ ص ١٤٨) .

التعريف الإجرائي : هي حالة من الاضطرابات النفسية والتربوية التي يتعرض لها الطلبة في المرحلة المتوسطة والتي تقف عائقا سلبيا في طريق تعلمهم لمادة قواعد اللغة العربية .

ثانياً : التدريس :لغة : درس الشيء ، يدرس دروساً : عفا ودرسته الريح ، ودرسه القوم : عفوا أثره : ودرسته الريح تدرسه درساً أي محته ودرس الكتاب يدرس درساً ودراسةً ودراسة ، كأنه عانده حتى انقاد لحفظه ، وقد قرئ بهما قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(سورة الأنعام الآية ١٠٥) وقيل : درست قرأت كتب أهل الكتاب ، ودارست : ذاكرتهم ، وقُرئ درس ودرست هذه الأخبار قد عفت وأمحت ، ودرست أشد مبالغة ودرست الكتاب أدرسه درسا : أي ذللته بكثرة القراءة حتى خف حفظه علي (ابن منظور، د.ت ، مادة درس ، ص٧٩).

اصطلاحاً:-

١- عرفه (ريان، ١٩٨٤) أنه عملية نشاط يقوم بها مدرسون ومدرسات وفق استراتيجيات ووسائل لتحقيق هدف معين (الريان، ١٩٨٤ ص ٣٩) .

٢- عرفه (العابد، ١٩٨٧) أنه عملية تفاعل متبادل بين المعلم والمتعلم وعناصر البيئة المختلفة التي يهيئها المعلم من اجل إكساب المتعلم الخبرات والمعلومات والمهارات والاتجاهات التي ينبغي تحقيقها في مدة زمنية محددة تعرف بالتدريس (العابد، ١٩٨٧ ص ٤٥).

٣- عرفه (الخوالدة، ١٩٩٧) أنه مجموعة الأنشطة الوظيفية المصممة التي يقوم بها المعلم داخل البيئة التعليمية لغرض تغيير سلوك المتعلمين وإحداث تعلم عند التلاميذ في سياق الأهداف التربوية المقصودة (الخوالدة، ١٩٩٧: ٦٥) .

التعريف الإجرائي : هو مبدأ الاستجابة الذي يساعد الطلبة على القراءة والكتابة واكتساب الخبرات والمهارات والتي تساعدهم على انجاز التغيير

المرغوب في الأداء في مادة قواعد اللغة العربية .

ثالثاً : قواعد اللغة العربية

تعريفها لغة :

القاعدةُ أصلُ الأسِ ، والقواعدُ الأَساسُ ، وَقَواعِدُ البَيْتِ أَسَاسُهُ . كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة البقرة الآية ١٢٧).

وفي التنزيل الكريم أيضاً ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ (سورة النحل ، الآية ٢٦) ، قال الزجاج : القواعدُ.. أساطينُ البناءِ الذي تَعمدُهُ «.(ابن منظور ، د.ت ،ج٣، مادة قَعَدَ ، ص١٣٨) .

عرفها (السعدي وآخرون,١٩٩٢) ما يعين على صحة الكلام والكتابة وسلامة الضبط وتأليف الجمل تأليفا خاليا من الخطأ النحوي (السعدي وآخرون ,١٩٩٢ ص ٥٧) .

عرفها (إبراهيم , ٢٠٠٧) أنها وسيلة لضبط الكلام وصحة النطق والكتابة وليست غاية مقصودة لذاتها (إبراهيم , ٢٠٠٧ ص ٢٠٣) .

عرفها (زاير وعايز ,٢٠١١) أنها وسيلة في حد ذاتها لضبط الكلام وصحة النطق والكتابة (زاير وعايز , ٢٠١١ ص ٣١٥) .

التعريف الإجرائي : هي المادة النحوية المقرر تدريسها لطلبة المرحلة المتوسطة في مدارس العراق والتي تحتويها الكتب المنهجية المخصصة لذلك .

رابعاً : المرحلة المتوسطة

*عرفتها (الحمراني , ٢٠٠٥) هي المرحلة الثانية في سلم النظام التعليمي في العراق بعد المرحلة الابتدائية ومدتها ثلاث سنوات وتتكون من الصف الأول المتوسط والثاني متوسط والثالث المتوسط (الحمراني,٢٠٠٥ص ٦٧) .

*عرفها (العيسي ,٢٠٠٨) هي المرحلة الوسطى من مراحل التعليم العام فهي متاحة للطالب بعد حصوله على الشهادة الابتدائية (العيسي , ٢٠٠٨ ص ٤٢) .

التعريف الإجرائي : هي المرحلة الثانية من مراحل التعليم والتي يمتد عمر الطالب فيها من ١٢-١٥ سنة حيث ينتقل إليها بعد إتمام المرحلة الابتدائية واجتياز الامتحان الوزاري في الصف السادس الابتدائي وتكون قابليته على الفهم والاستيعاب أوسع من المرحلة الابتدائية .

الفصل الثاني

الخلفية النظرية :-

*مفهوم قواعد اللغة العربية :- جاءت كلمة قواعد بمعانٍ مختلفة منها ما ذكره (بني عبد الله , ٢٠٠٤) بأن جمع القاعدة مشتق من الفعل قعد يقعد قعوداً وأسم المرة منه ُ قعدة والفاعل قاعد والجمع قواعد , وتفيد مادة قعد في اللغة الاستقرار والثبات ومنه ُ قوله تعالى ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ سورة النور آية٦٠ ومعنى القاعدة أصل الأس والقواعد أساس الشيء وأصوله سواء كان ذلك الشيء حسياً كقواعد البيت ومنه قوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ سورة البقرة آية ١٢٧ (بني

عبد الله , ٢٠٠٤ ص ١٩) .

ويذكر (ابن زكريا , ب ت) بأن قواعد البيت أساسه , وقواعد الهودج خشيبات أربع معترضات في أسفله (ابن زكريا , ب ت , ص ١٠٨) ، قال (الزجاج,ج٣) القواعد أساطين البناء التي تعمر (الزجاج,ج٣ مادة قعد) .

أما مفهوم القواعد في الاصطلاح فإن (الكرباسي , ١٩٧١) يعرفه على انه في رأي المشتغلين في اللغة وسيلة إلى صحة التعبير لأنها تقوم اللسان وتحفظه من الوقوع في زلل الأخطاء لأنها تعمل على تصحيح أساليب الطلاب وتصونها من العثار (الكرباسي , ١٩٧١ ص ٩٠) .

يشير (كود , ١٩٧٣) في تعريفه للقواعد بأنها جزء من دراسة اللغة الذي يتعلق بالأصناف المختلفة من الكلمات وعلاقتها الواحدة بالأخرى ووظائفها بالجملة (كود , ١٩٧٣ ص١٢٤) .

وذكر (الدليمي , الوائلي ، ٢٠٠٥) بأنها علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرها , وهو علم بأصول يعرف بها صحة الكلام وفساده (الدليمي , الوائلي , ٢٠٠٥ ص ١٧٩) .

كما عرفها (ظافر , ١٩٨٤) بأنها مجموعة من القواعد التي تنظم هندسة الجملة أو مواقع الكلمات ووظائفه من ناحية المعنى وما يرتبط من ذلك من أوضاع عربية تسمى علم النحو (ظافر , ١٩٨٤ ص ٣٧) .

إذ إن قواعد اللغة العربية علم سيبحث في أحوال الجملة العربية وهو معيار الكلام لأنه يساعد المتعلم على صحة إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة لذلك تم اخذ العرب به وبذلوا جهودا كثيرة من أجل تسهيل تعلمه وتيسير فهمه واختيار طرائق التدريس المناسبة والتي تساعد على طرحه بصورة جديدة مبسطة وسهلة .

أهداف تدريس قواعد اللغة العربية :

أشار(الكرباسي ,١٩٧١) إلى أن هنالك جملة من الأهداف العامة في تدريس مادة قواعد اللغة العربية في المرحلة المتوسطة وهي كما يأتي :

١- صون ألسنة الطلبة من الوقوع في الخطأ وتقويمها من الاعوجاج وجعلها طلقة سليمة .

٢-تنمية الثروة اللغوية وصقل الأذواق الأدبية من خلال وقوفهم على دراسة الأمثلة والشواهد والأساليب الجديدة والتراكيب الصحيحة (الكرباسي , ١٩٧١ ص٩١) .

٣- إدراك الصلة العضوية بين النحو الوظيفي وفروع اللغة العربية الأخرى لتحقيق التكامل العضوي .

٤- تدريب الطلبة على ضبط لغتهم حديثا وقراءة وكتابة بشكل يتلاءم مع تدرج مستواهم العقلي واللغوي في سُلمّ التعلم التصاعدي .

٥- تنمية القدرة على التفكير السليم بما يحققه للدراسة من التحليل والتركيب والاستقراء والقياس (معروف , ١٩٨٥ ص١٧٦-١٧٧) .

أهمية تدريس قواعد اللغة العربية :-

يشير (الدليمي وحسين ، ١٩٩٩) إلى أن أهمية تدريس مادة قواعد اللغة العربية في المرحلة المتوسطة والثانوية ، كما يأتي :-

١. تعويد المتعلم صحة إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة .

٢. تمكين المتعلم من الإلمام بالقوانين الصرفية المتعلقة بصياغة الكلمة وسلامة بنائها ليستطيع تلفظها بشكلها الصحيح والتعبير بها عن المعاني المناسبة .

٣. تطوير قدرة المتعلم على ضبط أواخر الكلمات ومعرفة أثر العوامل الداخلة عليها وأثر الضبط في معنى الكلمة ووظيفتها .

٤. تمكين المتعلم من إدراك وظيفة الكلمة في الجملة وأثر موقعها من السياق في تحديد معنى الجملة .

٥. تبصير المتعلم بالفروق المعنوية بين تركيب وآخر وتمكنه من فهم الجملة ومعرفة أثر صياغتها في تحديد معناها .

٦. تطوير القدرة على التعبير وعلى استعمال التراكيب الجميلة الملائمة لما يروم إيصاله من معانٍ وأفكار .

٧. تبصير المتعلم بالفروق الدلالية للصيغ المختلفة للكلمة الواحدة (الدليمي وحسين ، ٩٩٩ ص ٦٦) .

٨. تساعد الطلبة على فهم التراكيب المعقدة والغامضة .

٩. تطلع الطلبة على أوضاع اللغة وصيغها .

١٠. تدرب الطلبة على التفكير المتواصل المنظم .

١١. تعينهم على ترتيب المعلومات اللغوية وتنظمها في أذهانهم

١٢. تنمي في نفوس الطلبة الدقة والملاحظة وتربي فيهم صحة الحكم .

١٣. تسهل إدراك الطلبة للمعاني والتعبير عنها بوضوح وسلامة . (الدليمي ، ٢٠٠٤ ص ٤٢)

طرائق تدريس قواعد اللغة العربية :

هنالك مجموعة من طرائق التدريس الخاصة بقواعد اللغة العربية والتي يستطيع مدرسو هذه المادة استخدامها ومن أبرزها ما يأتي :

١- الطريقة الاستقرائية : وهي الطريقة التي ينتقل فيها تفكير مدرسي المادة من الحقائق الخاصة الأمثلة والشواهد إلى الحقائق العامة الأحكام والقواعد .

الاستقراء : هو طريق الوصول إلى الأحكام العامة بالملاحظة والمشاهدة وبه يصل الفرد إلى القضايا الكلية التي تسمى في العلوم باسم (القوانين العلمية أو الطبيعية) وبه يصل أيضا إلى بعض القضايا الكلية الرياضية وقوانين العلوم الاقتصادية والاجتماعية (حسين ونجم , ٢٠٠٤ ص٥٣) .

وأشار (شعيب ,٢٠٠٨) إلى أن الاستقراء أو الاستنباط هو دراسة الأجزاء المتعلقة بالموضوع وصولا إلى تكوين المفهوم الكلي عنه أي الانتقال من الجزئي إلى الكلي ومن الأمثلة المتعددة إلى القاعدة المرادة ضمن حض الطلبة على المشاركة في معرفة الأجزاء واستخلاص النتائج لتتولد لديهم لذة في اكتشاف المفهوم (شعيب , ٢٠٠٨ ص ٨٥) .

وعرفها (معروف , ١٩٨٥) بأنها الطريقة التي تبدأ بملاحظة الأمثلة والشواهد المختلفة ثم استخلاص القاعدة النحوية التي تجمع بينهما (معروف , ١٩٨٥ ص١٨١) .

٢- الطريقة القياسية : وتسمى بالطريقة الكلية وهي تخالف الطريقة الاستقرائية في التدريس إذ تعتمد

على مبدأ الانتقال من الكل إلى الجزء تعطي القاعدة الأصلية ثم تنتقل إلى الأمثلة .

وأشار (معروف , ١٩٨٥) إلى أن الطريقة القياسية هي التي تبدأ بعرض القاعدة النحوية ثم بتقديم الشواهد والأمثلة لتوضيحها وبعد ذلك تعزز وترسخ في أذهان الطلبة بتطبيقها على حالات مماثلة (معروف , ١٩٨٥ ص ١٨٢) .

ويرى (الجبّان , ٢٠٠٣) بأنها عملية فكرية ينتقل فيها التفكير من الحقائق العامة إلى الحقائق الجزئية أو من القانون إلى الحالات الخاصة ومن المبادئ إلى النتائج (الجبّان , ٢٠٠٣ ص ١٠٠-١٠١) .

٣- طريقة إيجاد الموقف وإظهار الحاجة إلى التعبير :- وفحواها إن المعلم يعمم موقفاً يحتاج فيه الطالب إلى صياغة بعض الجمل للتعبير عن ذلك الموقف , فإذا عرض المعلم عليهم صورا « جميلة فيكون الموقف تعجبا , أو أن يعرض عليهم خيولا متقدمة إلا حصاناً أو حصانين متخلفين عن أقرانهما فيكون ذلك موقفاً مناسباً لاستعمال أدوات الاستثناء وقواعد عملها النحوي وهكذا (الرحيم وآخرون , ١٩٨٨ ص ٢١٦) .

٤- طريقة النص : تعتمد هذه الطريقة على نص مختار متصل المعنى متكامل الموضوع يؤخذ من موضوعات القراءة أو النصوص الأدبية أو الكتب القديمة , وهي طريقة تعتمد على نص يعبر عن فكرة مترابطة وأن الغاية منها هو التمهيد للاتجاه الحديث في تدريس قواعد اللغة العربية (الدليمي وحسين , ١٩٩٩ ص ٩٨-٩٩) .

الدراسات السابقة :

١- دراسة (كبة , ١٩٨٨) :

أجريت هذه الدراسة في العراق في كلية التربية في جامعة بغداد ، وهدفت هذه الدراسة إلى معرفة المشكلات التي تعيق تحقيق أهداف تدريس اللغة مادة قواعد اللغة العربية في المرحلة المتوسطة من وجهة نظر مدرسيها في محافظة بغداد ، في ضوء الاستبانة المفتوحة صاغ الباحث استبانة نهائية وزعها على عينة بحثه التي بلغت (٢٠٠) مدرس ومدرسة إذ اختارهم عشوائياً , وبعد إكمال متطلبات البحث عالج الباحث البيانات إحصائياً بالوسائل الآتية : (معادلة الوسط المرجح , النسبة المئوية , معامل ارتباط Pearson , اختبار Chi-square) وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها :

- بعض موضوعات قواعد اللغة العربية غير مناسبة لمستوى الطالب العقلي .
- ضعف مستوى خريجي المرحلة الابتدائية في مادة قواعد اللغة العربية .
- ضعف مراعاة الفروق الفردية عند اختبار الطريقة التعليمية .
- إهمال الاختبارات الشفوية .

وفي نهاية الدراسة قدم الباحث مجموعة من التوصيات والتي منها :

- العمل على توضيح الأهداف العامة والأهداف الخاصة لمادة قواعد اللغة العربية من المدرسين والجهات المعنية في وزارة التربية وتقريبها من مستوى الطلبة .

- الاهتمام برابط التفاصيل النحوية في الكتاب بما يتداوله من أساليب عربية سليمة .

٢- دراسة (الربيعي , ١٩٨٩) :

أجريت هذه الدراسة في العراق في كلية التربية في جامعة بغداد وهدفت إلى معرفة صعوبات تدريس قواعد اللغة العربية لدى طلبة الفرع العلمي في المرحلة الثانوية (الإعدادية) كما يدركها المدرسون وما هي مقترحاتهم في التغلب عليها وكذلك معرفة صعوبات تدريس قواعد اللغة العربية كما يدركها الطلبة وما هي مقترحاتهم للتغلب عليها .

حدد الباحث دراسته بمدرسي مادة قواعد اللغة العربية وطلبة المرحلة الإعدادية , شملت عينة دراسته (٧٩) مدرساً ومدرسة و(٥٦٠) طالباً وطالبة وزع البحث عليهم استبانة خاصة , والتي هي أداة بحثه وبعد جمع الإستبانات كافة أجرى عليها المعالجات الإحصائية مستخدماً : (معامل ارتباط Pearson , اختبار Chi-square , معادلة الوسط المرجح, الوزن المئوي) , وابرز ما توصلت إليه هذه الدراسة أن الساعات المقررة لتدريس مادة قواعد اللغة العربية غير كافية مع قلة الاهتمام بالتطبيقات النحوية , وفي نهاية الدراسة قدم الباحث مجموعة من المقترحات والتوصيات .

٣- دراسة (الخزرجي , ١٩٩٥) : أُجريت هذه الدراسة في العراق وهدفت إلى معرفة الصعوبات التي تواجه التدريسيين والطلبة في تدريس مادة علم العروض , استعملت الباحثة الاستبانة أداة أهداف دراستها , وشملت عينة البحث قسمين :

الأول : التدريسيون : وهم القائمون بتدريس مادة العروض فعلياً وبلغت هذه العينة (٤٤) تدريسياً .

الثاني : الطلبة : وشملت طلبة أقسام اللغة العربية في كليتي التربية والآداب في جامعات البلاد وبلغت هذه العينة (٥٥٠) طالباً وطالبة .

استعملت الباحثة الوسائل الإحصائية الآتية (معامل ارتباط Pearson , اختبار Chi-square , معادلة الوسط المرجح, الوزن المئوي , النسبة المئوية) .

وتوصلت الباحثة إلى نتائج عدة منها :

- عدم كفاية الوقت المخصص لتدريس هذه المادة .
- طريقة تدريس مادة العروض معقدة وغير مرنة .
- عدم وجود الرغبة لدى الطلبة في دراسة مادة العروض .
- عدم وجود دليل تدريس لدى اغلب التدريسيين .

وفي نهاية الدراسة قدمت الباحثة جملة من التوصيات والمقترحات التي تسهم في مواجهة صعوبات تدريس مادة العروض منها : وضع الأهداف التدريسية الواضحة لتدريس مادة العروض ، وزيادة عدد سنوات تدريس هذه المادة أو زيادة عدد الساعات المقررة ، وإنشاء مختبرات صوت في أقسام اللغة العربية لتدريس مادة العروض والتدريب من خلالها على فن التقطيع الصوتي .

٤- دراسة (السلامي , ١٩٩٨) :

أجريت هذه الدراسة في محافظة بغداد العراق ، وهدفت إلى معرفة صعوبات تدريس مادة الأدب والنصوص من وجهة نظر مدرسي المادة , اعتمد

الباحث الاستبانة أداة لتحقيق هدف بحثه , طبقها على عينة بحثه البالغة (١٢٧) مدرساً ومدرسة القائمين فعلياً بتدريس مادة الأدب والنصوص , عالج الباحث البيانات إحصائياً مستخدماً الوسائل الإحصائية الآتية : (معادلة الوسط المرجح , الوزن المئوي , النسبة المئوية) وتوصل الباحث إلى النتائج الآتية :

- شعور أغلب مدرسي ومدرسات هذه المادة بصعوبتها .
- جهل أغلب طلبة الفرع الأدبي بأهداف تدريس المادة .
- إغفال أغلب موضوعات الأدب والنصوص لكثير من الجوانب النفسية والجمالية .
- افتقار الأسئلة الإمتحانية إلى الصياغة العلمية الصحيحة .

وفي نهاية الدراسة قدم الباحث جملة من التوصيات والمقترحات التي يراها مناسبة .

٥- دراسة (الموسوي , ٢٠٠٦)

أجريت هذه الدراسة في محافظة ميسان العراق تهدف الدراسة إلى معرفة صعوبات تعلم مادة قواعد اللغة العربية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من وجهة نظر معلمي ومعلمات المادة , اقتصرت الدراسة على معلمي ومعلمات مادة قواعد اللغة العربية في المديرية العامة لتربية محافظة ميسان للعام الدراسي ٢٠٠٥-٢٠٠٦ .

في بداية الأمر أعد الباحث استبانة استطلاعية لمعرفة صعوبات تعلم مادة قواعد اللغة العربية تضمنت السؤال الأتي :- ما هي صعوبات تعلم مادة قواعد اللغة العربية في المرحلة الابتدائية ؟ عرضها الباحث على عينة استطلاعية بلغت (٤٠) معلماً ومعلمة , وفي ضوء هذه الاستبانة صاغ الباحث الاستبانة النهائية التي تأكد الباحث من صدقها الظاهري بعرضها على مجموعة من الخبراء والمختصين في مناهج وطرائق تدريس اللغة العربية وعلم النفس التربوي , وحسب ثباتها بطريقة الإعادة (Test Re-test) إذ بلغت درجة ثباتها (٠,٨٢) وبعدها طبقت على العينة الأصلية التي تكونت من (٤٠) معلماً ومعلمة , وبعد معالجة البيانات إحصائياً أوضحت نتائج البحث أنّ هناك مجموعة من الصعوبات التي تواجه التلاميذ عند تعلمهم مادة قواعد اللغة العربية في المرحلة الابتدائية , وفي نهاية البحث قدم الباحث مجموعة من التوصيات والمقترحات .

مقارنة الدراسات السابقة :

١. تباينت الدراسات السابقة من حيث نوع المادة , إذ تناولت ثلاث منها مادة قواعد اللغة العربية مثل دراسة (كبة , ١٩٨٨) ودراسة (الربيعي , ١٩٨٩) ودراسة (الموسوي , ٢٠٠٦) وهذا يتفق مع هذا البحث , بينما تناولت دراسة (الخزرجي , ١٩٩٥) مادة العروض وتناولت دراسة (السلامي , ١٩٩٨) مادة الأدب والنصوص .

٢. اختلفت الدراسات السابقة من ناحية المرحلة الدراسية , إذ تناول (الموسوي , ٢٠٠٦) دراسة المرحلة الابتدائية , بينما درست اثنتان منها المرحلة المتوسطة وهما كل من (كبة , ١٩٨٨) ودراسة

(السلامي , ١٩٩٨) وتناولت الدراستان الأخيرتان وهما دراسة (الربيعي , ١٩٨٩) ودراسة (الخزرجي , ١٩٩٥) المرحلة الجامعية , أما هذا البحث فانه يتفق مع دراسة كل من (كبة , ١٩٨٨) ودراسة (السلامي , ١٩٩٨) التي تخص المرحلة المتوسطة .

٣. استخدم الباحثون في تحليل نتائج الدراسات السابقة الوسائل الإحصائية الآتية : (معامل ارتباط Pearson , اختبار Chi-square , معادلة الوسط المرجح,الوزن المئوي , النسبة المئوية) أما الوسائل التي سيستخدمها الباحثان في هذا البحث هي:- (معامل ارتباط Pearson ,معادلة الوسط المرجح,الوزن المئوي ,النسبة المئوية) .

٤. اختصت بعض الدراسات السابقة بدراسة الصعوبات من وجهة نظر مدرسي المادة والطلبة مثل : دراسة (الربيعي , ١٩٨٩) ودراسة (الخزرجي , ١٩٩٥) أما دراسة كل من (كبة , ١٩٨٨) ودراسة (السلامي , ١٩٩٨) فأنهما اختصا بدراسة الصعوبات من وجهة نظر مدرسي ومدرسات المادة فقط , أما دراسة (الموسوي , ٢٠٠٦) فاختصت بدراسة الصعوبات من وجهة نظر معلمي ومعلمات المادة فقط , وأن هذا يتلاءم مع هذا البحث الذي اقتصر على مدرسي ومدرسات المادة فقط .

٥. أما ما يخص عينة الدراسات السابقة فقد بلغت عينة دراسة (كبة , ١٩٨٨) (٢٠٠) مدرس ومدرسة أما دراسة (الربيعي , ١٩٨٩) كان عددها (٧٩) مدرساً ومدرسة و (٥٦٠) طالباً وطالبة , بينما اعتمدت دراسة (الخزرجي , ١٩٩٥) على (٤٤) تدريسياً و(٥٥٠) طالباً وطالبة وبلغت عينة دراسة (السلامي , ١٩٩٨) (١٢٧) طالباً وطالبة , وأخيراً بلغت عينة دراسة (الموسوي , ٢٠٠٦) (٨٠) معلماً ومعلمة , أما هذا البحث فقد بلغت عينته (١٠٠) مدرس ومدرسة .

الفصل الثالث

منهجية البحث وإجراءاته

إجراءات البحث : يعرض الباحثان في هذا الفصل المنهجية التي اتبعاها لتحقيق أهداف بحثهما , وكما يلي :

منهج البحث : أتبع الباحثان المنهج الوصفي (Descriptive Research) لتعرّف صعوبات تدريس قواعد اللغة العربية في المرحلة المتوسطة من وجهة نظر المدرسين ، في مركز محافظة ميسان لأنه المنهج الملائم لدراسة هذه الظاهرة ، وهو يعد استقصاء علميا وموضوعيا يصب على ظاهرة أو قضية معينة قائمة في الواقع ، بقصد تشخيصها وكشف جوانبها وتحديد العلاقات بين عناصرها وبين ظواهر تعليمية ، أو نفسية ، أو اجتماعية أخرى .

أولاً :مجتمع البحث : قبل اختيار عينة البحث الأساسية لابد للباحث أن يقدم وصفاً للمجتمع الأصلي وسماته , إذ لا يمكن الحصول على عينة مماثلة ما لم يحدد المجتمع الأصلي (جابر وكاظم , ١٩٧٣ ص ٢٣٢) .

ويذكر (Broq , 1981) أنه لا يمكن توظيف أية وسيلة من وسائل اختيار العينات مهما أُتيت من دقة ما لم يوصف المجتمع الذي تؤخذ منه

العينة وصفاً دقيقاً ذلك لأن لكل مجتمع صفاته الخاصة به (Broq , 1981 , P. 170) .

حدد الباحثان مجتمع بحثهما بمدرسي ومدرسات مادة قواعد اللغة العربية في المرحلة المتوسطة في المدارس المتوسطة التابعة للمديرية العامة لتربية محافظة ميسان .

ثانياً :عينة البحث : العينة هي ذلك الجزء من المجتمع التي يجري اختيارها على وفق قواعد وطرق علمية , بحيث تمثل المجتمع تمثيلاً صحيحاً (السماك وآخرون , ١٩٨٠ ص ٦٠) .

ويرى (الناصر والمرزوك , ١٩٨٩) أن العينة هي جزء من المجتمع يجري اختيارها على ضوء أُسس خاصة لكي تمثل المجتمع تمثيلاً صحيحاً (الناصر والمرزوك , ١٩٨٩ ص ١٠) . ويجب أن تكون العينة ممثلة تمثيلاً واضحاً وصادقاً لجميع صفات المجتمع (Baker , 1988 , P. 137) .

وقد استعمل الباحثان الطريقة العشوائية في اختيار بحثهما وذلك لما تتمتع به الطريقة العشوائية من ايجابيات تميزها عن غيرها من الطرائق , إذ حدد الباحثان عينة بحثهما بـ (١٠٠) مدرس ومدرسة فقط , ولكي يقدم الباحثان تعريفاً دقيقاً لعينة بحثه فانه يرى من الضروري وصف هذه العينة كما يلي : -

١- العينة الاستطلاعية : حدد الباحثان هذه العينة بـ (٥٠) مدرساً ومدرسة وجه إليهم الاستبانة المفتوحة التي تتضمن السؤال الآتي : ما صعوبات تعلم قواعد اللغة العربية من وجهة نظر مدرسي ومدرسات المادة ؟

٢- العينة الأصلية : بلغ عدد أفراد هذه العينة (٥٠) مدرساً ومدرسة عرضت عليهم الاستبانة المغلقة .

ثالثاً : إعداد الأداة (الاستبانة) : نظراً لعدم وجود أداة جاهزة وملائمة لجمع المعلومات تتناسب وأغراض البحث وأهدافه، فقد اعتمد الباحثان الاستبانة أداة رئيسة لبحثها إذ أنها من ابرز الوسائل الشائعة في جمع المعلومات والبيانات في البحوث التربوية التي تتعلق بالآراء والاتجاهات للحصول على حقائق تتعلق بالظروف والأساليب القائمة . أعد الباحثان في هذا البحث الاستبانة أداة للحصول على المعلومات المطلوبة من أجل تحقيق أهداف البحث .

وأنها من الوسائل الشائعة في جمع البيانات في البحوث التربوية التي تتعلق بالآراء ، والاتجاهات للحصول على حقائق بالظروف والأساليب القائمة فعلا (فان دالين، ١٩٨٥ ص ٣٩٥) .

الاستبانة هي أداة واسعة الاستخدام في البحوث التربوية والنفسية (فان دالين , ١٩٨٥ ص ٤٦٠) . وتعتبر الاستبانة من أهم وأدق طرق البحث وجمع البيانات في علوم التربية وخاصة في البحوث الوصفية (إبراهيم , ٢٠٠٠ ص ١٦٥) .

إذ أعد الباحثان الاستبانة المغلقة على وفق الاستبانة المفتوحة التي وجهها إلى مدرسي ومدرسات مادة قواعد اللغة العربية , وبلغت عدد فقرات الاستبانة (٢٦) فقرةً (ينظر ملحق ١) .

رابعاً : صدق الأداة : يعرّف الصدق بأنه قدرة الأداة على قياس ما وضعت لأجله (المليجي ، ١٩٩٤ ص٣٨٩) ، ويقصد بذلك أن تكون الأداة قادرة على

قياس ما وضعت لقياسه , بمعنى آخر أن تكون الأداة ذات صلة وثيقة بالقدرة التي تقيسها (عبد الرحمن ,١٩٨٣ ص ٢٢٣) .

والصدق هو أحد الروابط الواجب توافرها في أداة البحث المستخدمة لأنه يتعلق بما تقيسه الأداة فعلاً (عبد الدائم , ١٩٨١ ص ٣٥٥) .

ويشير (Best , 1891) إلى أن أفضل طريقة للتأكد من الصدق يتم من خلال عرض فقرات الاستبانة على عدد من الخبراء أو الحكام من خلال قراءتهم لهذه الفقرات (Best , 1891 .P.197) .

ولكي يتأكد الباحثان من صدق أداة بحثهما عرضا استبانتهما على مجموعة من الخبراء (ينظر ملحق ٢) في مجال طرائق تدريس اللغة العربية , وطرائق التدريس العامة , والتربية , وعلم النفس , لبيان مدى صلاحية فقرات الاستبانة في قياس ما صممت لأجله , ولم يجر الباحثان أي تغيير على فقرات الاستبانة ، إذ حصلت الفقرات كافة على نسبة ٩٥٪ .

خامساً : ثبات الأداة : يعد الثبات من صفات أدوات القياس التي يعتمد عليها في البحوث ، وثبات الأداة يعني أنها تمثّل استقراراً ، وتقارباً في النتائج عند إعادة تطبيقها على العينة نفسها

(عودة ، ٢٠٠٢ ص ٣٤٥) .

والثبات هو أن تعطي الاستبانة النتائج نفسها تقريباً إذ أعيد تطبيقها على المجموعة نفسها من الأفراد (عبد الرحمن ,١٩٨٣ص ١٩٨) , ويعني الدقة في تقدير العلامة الحقيقية للفرد على الفقرة التي يقيسها المقياس أو مدى الاتساق في علاقة الفرد إذا أخذ المقياس نفسه عدة مرات في الظروف نفسها (عوده وملكاوي , ١٩٩٣) .

والأداة الثابتة هي التي تعطي النتائج نفسها أو نتائج متقاربة إذا طبقت أكثر من مرة في ظروف متماثلة ويمكن حساب ثبات الأداة بإعادة تطبيقها (Retest-test-method) .

وبهدف الثبات يجب أن لا تطول الفترة بين إجراءات التطبيق بحيث يزداد المفحوصون نضجاً أو أن تكون الفترة قصيرة بحيث يتذكر المفحوصون بعض إجراءات الأداة (دويدري , ٢٠٠٠ص٣٤٦-٣٤٧) , وتشير (Adams , 1966) إلى أن المدة الزمنية بين التطبيق الأول والثاني يجب أن لا تتجاوز أسبوعين أو ثلاثة أسابيع (Adams , 1966 . P.58) .

وزع الباحثان استبانة البحث المغلقة على عينة البحث الأصلية وبعد مرور (١٥) يوماً أعيد توزيع الاستبانة على العينة نفسها , ثم أجرى الباحثان العمليات الإحصائية ووجدا أن نسبة الثبات هو (٠,٨٢) وهي نسبة ثبات مقبولة (Gronlund , 1981 , P.125) .

سادساً : تطبيق الأداة : بعد أن تحقق الباحثان من صدق الأداة وثباتها أصبحت الاستبانة جاهزة للتطبيق على أفراد عينة البحث الأساسية , وبعد الانتهاء من تطبيق الاستبانة فحص الباحثان الإستبانات وفرغا الإجابات في استمارات خاصة .

سابعاً : الوسائل الإحصائية

١- معامل ارتباط Pearson : استخدم في حساب

معامل ثبات الأداة .

$$ر = \frac{ن\ مج\ س\ ص - (مج\ س)(مج\ ص)}{\sqrt{\{ن\ مج\ س^{٢} - (مج\ س)^{٢}\}\{ن\ مج\ ص^{٢} - (مج\ ص)^{٢}\}}}$$

(أبو صالح وعوض ، ١٩٨٣ ص ٢٨٣)

إذ تمثل (ر) معامل ارتباط Pearson , (ن) عدد أفراد العينة , (س) قيم المتغير الأول , (ص) قيم المتغير الثاني (ملحم , ٢٠٠٠ ص ١١٩) .

٢. النسبة المئوية : استخدمت في تحويل التكرارات في كل فقرة من فقرات الاستبانة إلى نسبة مئوية .

$$النسبة\ المئوية = \frac{العدد\ الجزئي}{العدد\ الكلي} \times ١٠٠$$

(عيسوي ، ١٩٧١ ص ١١٢) .

٣. الوسط المرجح : أُستخدم في إيجاد الوسط المرجح لكل فقرة من فقرات الاستبانة . (Kurz & Mayo , 1979 . P. 41)

الوسط المرجح = ت م × ٣ + ت ل × ٢ + ت ك ×١ / مج ت

إذ تمثل :

ت م = عدد التكرارات عن (صعوبة كبيرة) لكل فقرة .

ت ل = عدد التكرارات عن (صعوبة متوسطة) لكل فقرة .

ت ك = عدد التكرارات عن (لا تشكل صعوبة) لكل فقرة .

مج ت = مجموع تكرارات العينة الأساسية .

ولابد من الإشارة إلى أن الباحثين استخدما المقياس (٣ , ٢ , ١) إذ أعطى (٣) للفقرة التي تشكل صعوبة كبيرة , و(٢) للفقرة التي تشكل صعوبة متوسطة , و(١) للفقرة التي لا تشكل صعوبة .

٤. الوزن المئوي : لمعرفة درجات كل فقرة من الفقرات وترتيبها بالنسبة إلى الفقرات الأخرى وفق القانون الآتي :

$$الوزن\ المئوي = \frac{الوسط\ المرجح}{الدرجة\ القصوى} \times ١٠٠\ ٪$$

(المشهداني وهرمز , ١٩٨٩ ص ١٢٥)

الدرجة القصوى : ويقصد بها أعلى درجة في المقياس وهي رقم (٣) .

الفصل الرابع

نتائج البحث وتفسيرها

عرض نتائج البحث ومناقشتها : يعرض هذا الفصل النتائج التي توصل إليها البحث ومناقشتها , إذ تم حساب تكرار استجابات المدرسين والمدرسات على فقرات الاستبانة المغلقة , ومن ثم حساب الوسط المرجح لكل فقرة ووزنها المئوي ثم رُتبت الفقرات (الصعوبات) ترتيباً تنازلياً, ومن أعلاها حدة إلى أقلها حدة , وفيما يأتي عرض النتائج :

جدول رقم (١) يبين (صعوبات تدريس مادة قواعد اللغة العربية في المرحلة المتوسطة من وجهة نظر مدرسي المادة ومدرساتها) بصورة تنازلية حسب الوسط المرجح والوزن المئوي .

الرتبة	تسلسل الفقرة	الفقرات (حسب الرتبة)	الوسط المرجح	الوزن المئوي
١	٦	صعوبة المادة العلمية وعدم ملاءمتها لمستويات الطلبة .	٢,٨٤	٩٤,٦٦%
٢	٩	كثرة أعداد الطلبة في الصف الواحد .	٢,٨٢	٩٤%
٣	١٧	عدم اكتراث بعض المدرسين بالواجب البيتي .	٢,٨٠	٩٤%
٤	١٨	صعوبة بعض تمرينات مادة قواعد اللغة العربية .	٢,٧٨	٩٢,٦٦%
٥	٥	عدم قدرة الطالب على القراءة بصورة صحيحة .	٢,٧٥	٩١,٦٦%
٦	٧	عدم كفاية الوقت المخصص لهذه المادة .	٢,٧٠	٩٠%
٧	١٩	أسلوب بعض مدرسي مادة قواعد اللغة العربية غير مرغوب فيه ، الأمر الذي يجعل الطلبة يكرهون الدرس .	٢,٦٩	٨٩,٦٦%
٨	١	طرائق التدريس تقليدية ولا تشجع على التفكير	٢,٦٧	٨٩%
٩	٢٣	قلة الشرح التوضيحي في الكتاب المقرر والاعتماد على الاختصار والتلخيص .	٢,٦١	٨٧%
١٠	٢٢	كثرة التمرينات في موضوعات معينة وقلتها في موضوعات أخرى .	٢,٦٠	٨٦,٦٦%
١١	١٢	عدم ملاءمة الكتاب المدرسي المقرر وعدم وضوح الرؤيا والهدف منه .	٢,٥٠	٨٣,٣٣%

١٢	٢٤	عدم فاعلية طرائق التدريس المستعملة .	٢,٤٩	%٨٣
١٣	٢٦	ضعف التقارب بين الكتب المنهجية بين مرحلة وأخرى .	٢,٤٦	%٨٢
١٤	١٥	ضيق الوقت مقارنة بالمنهج المقرر .	٢,٤٤	٨١,٣٣
١٥	٢٠	عدم تصحيح بعض المدرسين الأخطاء النحوية بصورة مباشرة .	٢,٤٠	%٨٠
١٦	١٦	انشغال الطلبة بالأمور الترفيهية .	٢,٣٧	%٧٩
١٧	١٣	ضعف المستوى العلمي لبعض مدرسي اللغة العربية .	٢,٣٠	%٧٦,٣٣
١٨	٢	ضعف خبرة التدريسيين بطريقة اشتقاق الأهداف السلوكية .	٢,٢٨	%٧٦
١٩	٢١	إهمال مادة قواعد اللغة العربية والتركيز على الموضوعات العلمية .	٢,٢٥	%٧٥
٢٠	٨	ضعف الرغبة نحو التعلم لدى الطلبة .	٢,٢٠	%٧٣,٣٣
٢١	٢٥	عدم وجود أجهزة ومختبرات صوتية وتسجيلات أدبية كتقنيات تربوية حديثة .	٢,١٨	%٧٢,٦٦
٢٢	٣	التركيز على حل التمارين من دون الفهم الدقيق لها .	٢,١٥	%٧١,٦٦
٢٣	١٠	قلة وجود المكاتب داخل المدارس المتوسطة .	٢,٠٨	%٦٩,٣٣
٢٤	١١	عدم متابعة أولياء الأمور لأبنائهم.	٢,٠٢	%٦٩,٣٣
٢٥	٤	تدني المستوى العلمي لتلاميذ المرحلة الابتدائية وانعكاسها على المرحلة المتوسطة .	٢	%٦٦,٦٦
٢٦	١٤	عدم ترتيب موضوعات قواعد اللغة العربية في الكتاب المدرسي بصورة صحيحة .	١,٨٠	%٦٠

مناقشة النتائج : تضمن الجدول رقم (١) (٢٦ فقرة ً) تراوحت حدتها (الوسط المرجح) بين (٢,٨٤ - ١,٨٠) وبأوزان مئوية بين (٩٤,٦٦٪ - ٦٠٪) , وعليه تكون الفقرات التي سوف يناقشها الباحثان هي التي تمثل الصعوبة الواقعية أي درجة حدتها فوق المتوسط (٢) والفقرات التي تكون أقل من المتوسط لا تشكل صعوبة , وعليه استخراج المتوسط من خلال المقياس الذي أعطاه الباحثان للاستبانة فيكون (١+٢+٣) / ٣ = ٢ .

١- أظهرت النتائج أن الفقرة (صعوبة المادة العلمية وعدم ملاءمتها لمستويات الطلبة) تحتل المرتبة الأولى بدرجة حدة (٢,٨٤) وبوزن مئوي (٩٤,٦٦٪) . أن السبب في ذلك يعود إلى طبيعة المادة بشكل عام .

٢- دلت بيانات الجدول السابق أن الفقرة (كثرة أعداد الطلبة في الصف الواحد) قد جاءت في المرتبة الثانية بدرجة حدة بلغت (٢,٨٢) وبوزن مئوي (٩٤٪) . أن كثرة أعداد الطلبة أصبحت مشكلة تواجه الطلبة ، وكذلك التدريسيين وتمنعهم من اتخاذ طريقة مناسبة تتناسب مع أعدادهم الكبيرة لذلك يلجأ الكثير من التدريسيين إلى إتباع بعض الطرق التدريسية والتي لا تتناسب مع فهم واستيعاب الطلبة .

٣- حصلت الفقرة (عدم اكتراث بعض المدرسين بالواجب البيتي) على المرتبة الثالثة بدرجة حدة (٢,٨٠) وبوزن مئوي (٩٤٪) .

تشكل هذه الفقرة خطوة مهمة بالنسبة لطلبة المرحلة المتوسطة لأن إهمال المدرسين والمدرسات للواجب البيتي يمنع الطالب من الاهتمام بالمادة وكذلك يعيق الطالب من أن يختبر نفسه وقدرته العقلية وهذا يصبح عائقا بالنسبة للطلبة .

٤- حازت الفقرة (صعوبة بعض تمرينات مادة قواعد اللغة العربية) على المرتبة الرابعة بدرجة حدة (٢,٧٨) وبوزن مئوي ٩٢,٦٦٪ .

هنالك بعض التمرينات قد تكون مطوّلة أو تحتوي على مطلوب لم يشر إليه المدرس أو المدرسة أثناء الشرح فلذلك تصبح غريبة عندما يُطلب حلها من قبل الطالب .

٥- تبوأت الفقرة (عدم قدرة الطالب على القراءة بصورة صحيحة) على الترتيب الخامس بدرجة حدة (٢,٧٥) وبوزن مئوي (٩١,٦٦٪) .

إن هناك حقيقة مؤكدة يجب على المدرس أو المدرسة عدم إغفالها وهي وجود فوارق فردية بين الطلبة من حيث القراءة لأنهم يتفاوتون في أعمارهم , وذاكرتهم , وذكائهم , وميولهم , ودوافعهم , وتنشئتهم الأسرية ... الخ , الأمر الذي يحتم على المدرس أو المدرسة أن يراعي هذه الفوارق وذلك بتنويع طرائق التدريس وعدم الاقتصار على طريقة واحدة وتنويع الأمثلة لكي تكون قراءة الطالب للمادة العلمية بصورة جيدة .

٦- جاءت الفقرة (عدم كفاية الوقت المخصص لهذه المادة) بالمرتبة السادسة بدرجة حدة (٢,٧٠) وبوزن مئوي (٩٠٪) .

إن طبيعة مادة قواعد اللغة العربية تحتاج إلى الدقة في الشرح والتوضيح المفصل وهاتان الميزتان

تجعلان من الوقت المخصص للمادة غير كافٍ , فضلاً عن ذلك أن في كل موضوع توجد تمرينات كثيرة وهذه التمرينات تحتاج إلى مشاركة الطلبة كافة وبدون استثناء .

٧- حصلت الفقرة (أسلوب بعض مدرسي مادة قواعد اللغة العربية غير مرغوب فيه , الأمر الذي يجعل الطلبة يكرهون الدرس) على المرتبة السابعة بدرجة حدة (٢,٦٩) وبوزن مئوي (٨٩,٦٦٪) .

يجب على مدرسيّ المادة أن يتبعّوا أسلوبا مناسبا لمستوى الطلبة وأعمارهم المتفاوتة لأن إتباع الأسلوب المناسب يجعل المادة محببة عند الطلبة وكذلك لمدرس المادة , وفي كثير من المدارس تجد أن المدرس إذا كان أسلوبه مرغوبا للطلبة كذلك تصبح مادته مرغوبة أيضا وعلى العكس إذا كان غير ذلك.

٨- أما الفقرة (طرائق التدريس تقليدية ولا تشجع على التفكير) فقد احتلت المرتبة الثامنة بدرجة حدة (٢,٦٧) وبوزن مئوي (٨٩٪) .

فطرائق التدريس التقليدية والتي تعتمد على الحفظ والتلقين الآلي وإلقاء المعلومة تكون غير مناسبة للطلبة لأنها لا تشجعهم على التفكير وفيها يصبح الطالب مستقبلا للمعلومة فقط ومن دون فهم واستيعاب.

٩- بينما حصلت الفقرة (قلة الشرح التوضيحي في الكتاب المقرر والاعتماد على الاختصار والتلخيص) على المرتبة التاسعة بدرجة حدة (٢,٦١) وبوزن مئوي (٨٧٪) .

إن قلة الشرح والتوضيح في أغلب الكتب يجعل الطلبة غير متشوقين للقراءة وحتى الحفظ , فالكتاب الذي يكون فيه شرح وتوضيح يكون وسيلة مهمة تساهم في فهم واستيعاب الطلبة بصورة متدرجة وموسعة لذلك الكتاب .

١٠- حازت الفقرة (كثرة التمرينات في موضوعات معينة وقلتها في موضوعات أخرى) على المرتبة العاشرةبدرجةحدة(٢,٦٠)وبوزنمئوي(٨٦,٦٦٪).

إن كثرة التمرينات في موضوع معين وقلتها في الآخر تجعل الطلبة يركزون اهتمامهم في موضوع دون آخر مما يؤثر في فهم عموم مادة قواعد اللغة العربية , كما وأن على المدرس أو المدرسة أن يوزعوا التمرينات بالتساوي على جميع موضوعات قواعد اللغة العربية .

التوصيات : من خلال النتائج التي توصل إليها هذا البحث , ويوصي الباحثان بما يأتي :

١- تضمين كتب قواعد اللغة العربية في المرحلة المتوسطة المزيد من التمارين والأمثلة المحلولة .

٢- اهتمام المعلم بصياغة الأهداف السلوكية لكل موضوع في مادة قواعد اللغة العربية .

٣- عرض مادة قواعد اللغة العربية بصورة تجعلها ترتبط بحياة الطلبة وخبراتهم السابقة وتنمية الشعور لديهم بأنها مادة ذات فائدة كبيرة في حياتهم .

٤- الاهتمام بالصعوبات التي يواجهها طلبة المرحلة المتوسطة في مادة قواعد اللغة العربية ومتابعة استخدام السبل الكفيلة والمناسبة لذلك .

٥- العمل على إعداد دليل خاص لمدرسي مادة قواعد اللغة العربية ومتابعة استخدامه لما له من دور مهم في مواجهة هذه الصعوبات والتخلص منها .

المقترحات : نتيجة لما توصل إليه هذا البحث فأن الباحثين يقترحان ما يأتي :

١- إجراء دراسة مماثلة لهذا البحث في مواد دراسية أخرى مثل الإملاء , والقراءة وغيرها .

٢- إجراء دراسة مماثلة لهذا البحث في مراحل وصفوف دراسية أخرى .

٣- إجراء دراسة مماثلة لهذا البحث على مستوى المدرسين والمدرسات من خريجي كليات التربية والتربية الأساسية والآداب .

٤- إجراء دراسة مماثلة لهذا البحث على مستوى المشرفين التربويين .

٥- إجراء دراسة مماثلة لهذا البحث على مستوى مديري المدارس .

٦- إجراء دراسة مماثلة لهذا البحث على مستوى أولياء الأمور .

٧- إجراء دراسة وصفية لتقويم منهج قواعد اللغة العربية في المرحلة المتوسطة .

المصادر والمراجع

المصادر العربية :

١- إبراهيم , عبد العليم : الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية , ط٧ , دار المعارف ,القاهرة ١٩٧٣م .

٢- إبراهيم , مروان عبد المجيد : أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية , ط١ , مؤسسة الوراق , عمان ٢٠٠٠ م .

٣- ابن زكريا , أبو الحسن أحمد بن فارس : معجم مقاييس اللغة , تحقيق عبد السلام محمد هارون المجلد الخامس , دار الكتب العلمية , فم المقدسة ب ت .

٤- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب ، المجلد ١-٢-٣، دار لسان العرب ، بيروت ، د.ت

٥- أبو صالح , محمد صبحي وعدنان محمد عوض : مقدمة في الإحصاء , ط١ , دار جون وايلي وأولاده , لندن ١٩٨٣ م .

٦- بني عبد الله , يحيى موسى حمد : القواعد الفقهية في اجتماع الحلال والحرام وتطبيقاتها المعاصرة , رسالة دكتوراه كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية ٢٠٠٤ م .

٧- جابر , جابر عبد الحميد وكاظم احمد خيري : مناهج البحث في التربية وعلم النفس , ط١ , دار النهضة العربية , القاهرة ١٩٧٣ م .

٨. جابر ، جابر عبد الحميد ، مدرس القرن الحادي والعشرين الفعال بالمهارات والتنمية المهنية ، ط١ ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، مصر ، ٢٠٠٠م .

٩. الجبّان , رياض عارف : المنهج التربوي وطرائق تدريسه رؤية إسلامية معاصرة , ط٢ , بيت الحكمة , مطبعة الأهرام , دمشق ٢٠٠٣ م .

١٠. حبيب شعيب : طرائق تدريس اللغة العربية في المراحل الابتدائية والمتوسطة والإعدادية , ط١ , دار المحجة البيضاء ٢٠٠٨ م .

١١. الحمراني , انتظار كاظم جواد : سيكولوجية التدريس ووظائفه , ط١ , دار الأخوة للنشر والتوزيع , عمان ٢٠٠٥ م .

١٢. الخزرجي , ماجدة عبد الإله رسول : صعوبات تدريس العروض من وجهة نظر التدريسيين والطلبة , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية – ابن رشد – جامعة بغداد ١٩٩ .

١٣. الخوالدة، حمد مصمود، وآخرون، طرق التدريس العامة، ط١ وزارة التربية والتعليم، اليمن، ١٩٩٧.

١٤. الدليمي , كامل محمود نجم وطه علي حسين : طرائق تدريس اللغة العربية ,ط١ , دار الكتب للطباعة والنشر , بغداد ١٩٩٩ م .

١٥. الدليمي , طه علي حسين , الوائلي , سعاد عبد الكريم عباس : اللغة العربية ومناهجها وطرائق تدريسها , ط١ , دار الشروق للنشر والتوزيع ٢٠٠٥ م .

١٥. الدليمي , كامل محمود نجم وطه علي حسين : أساليب حديثة في تدريس قواعد اللغة العربية , ط١ , دار الشروق للنشر والتوزيع ٢٠٠٤ م .

١٧.الدليمي ، كامل محمود نجم : أساليب تدريس قواعد اللغة العربية ، ط١،دار المناهج للنشر والتوزيع ، عمان ٢٠٠٤م .

١٨. الدليمي ، كامل محمود نجم وطه علي حسين : طرائق تدريس اللغة العربية ، ط١ ، دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد ١٩٩٩م .

١٩. الربيعي , جمعه رشيد : صعوبات تدريس قواعد اللغة العربية لطلبة الفرع العلمي في المدارس الثانوية والإعدادية , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة بغداد , كلية التربية ابن رشد ١٩٨٩ م .

٢٠. الرحيم , أحمد حسن وآخرون : طرائق تعليم اللغة العربية للصف الخامس معهد إعداد المعلمين , ط٢ , مطبعة وزارة التربية بغداد ١٩٨٩ م .

٢١. ريّان ، فكري حسين ، التدريس أهدافه ، أسسه ، أساليبه ، تقويم نتائجه ، وتطبيقاته . ط٤ ، عالم الكتب

، القاهرة ، ١٩٨٤م .
٢٢. الزبيدي , محمد مرتضى الحسيني : معجم تاج العروس , ط٣ , تحقيق عبد الستار احمد الخراج , الجزء التاسع بيروت ١٩٦٥ م .
٢٣. السكران ، محمد ، أساليب تدريس الدراسات الاجتماعية . ط٣ ، دار الشروق ، الأردن ، عمّان ، ٢٠٠٠م .
٢٤. السماك , محمد أزهر سعيد وآخرون : الأصول في البحث العلمي , ط١ , مطبعة التعليم العالي جامعة الموصل ١٩٨٠ م .
٢٥. السلامي , جاسم محمد عبد : صعوبات تدريس الأدب والنصوص في المرحلة الإعدادية , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد ١٩٨٨ م .
٢٦. السعدي , عماد توفيق وآخرون : أساليب تدريس اللغة العربية , ط١ , دار الأمل ١٩٩٢ م .
٢٧. العابد، انور، اسس التدريس ونظرياته، حوليات كلية التربية- العدد الخامس، السنة الخامسة، ابو ظبي، ١٩٨٧.
٢٨. عايز , إيمان إسماعيل , زاير , سعد علي : مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها , ط١ , مؤسسة قصر المرتضى للكتاب العراقي , بغداد ٢٠١١ م .
٢٩. عبد الدائم , عبد الله : التربية التجريبية والبحث التربوي , ط٤ , دار العلم للملايين بيروت ١٩٨١م .
٣٠. عبد الله , عبد الرحمن , سعد : القياس النفسي , ط١ , مكتبة الفلاح , الكويت ١٩٨٣ م .
٣١. العبيدي , رقية عبد الأئمة عبد الله : صعوبات تدريس مادة التدريبات اللغوية لتلاميذ الصف الرابع الابتدائي من وجهة نظر معلمي المادة ومعلماتها , ١٩٩٢ م .
٣٢. عودة , احمد وفتحي ملكاوي : أساسيات البحث العلمي , ط٢ , مكتبة الكناني , اربد ١٩٩٣ م .
٣٣. العيسوي , جمال مصطفى وآخرون : طرائق تدريس اللغة العربية , ط١ , دار الكتاب الجامعي ٢٠٠٥ م .
٣٤. عيسوي ، عبد الرحمن محمد ، القياس والتجريب في علم النفس والتربية . دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧١م .
٣٥. العيسي , علي بن مسعود بن احمد : تنمية القيم الأخلاقية لدى طلاب المرحلة المتوسطة من وجهة نظر معلمي التربية الإسلامية لمحافظة القنفذة , رسالة ماجستير جامعة أم القرى كلية التربية المملكة العربية السعودية ٢٠٠٨ م .
٣٦. عودة ، أحمد سليمان ، القياس والتقويم في العمليّة التدريسيّة . ط٤ ، مطبعة عمّان ، الأردن ، عمّان ، ٢٠٠٢م .
٣٧. فان دالين , ديو بولد : مناهج البحث في التربية وعلم النفس , ترجمة محمد نبيل نوفل , ط٢ , مكتبة الانجلو المصرية , القاهرة ١٩٨٥ م .
٣٨. كبة , نجاح هادي : مشكلات تدريس قواعد اللغة العربية في المرحلة المتوسطة من وجهة نظر مدرسيها وحلولهم المقترحة لها , رسالة ماجستير غير منشورة جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد ١٩٨٨ م .
٣٩. الكرباسي , موسى إبراهيم : دراسات في أساليب تدريس اللغة العربية في المرحلة الابتدائية , ط١ , مطبعة الهداية ١٩٧١ م .
٤٠. المشهداني , محمود وأمير حنا هرمز : الإحصاء , ط١ , مطبعة التعليم العالي , جامعة الموصل ١٩٨٩ م .
٤١. معروف , نايف محمود : خصائص العربية وطرائق تدريسها , ط١ , دار النفائس , بيروت ١٩٨٥ م .
٤٢. ملحم , سامي محمد : القياس والتقويم في التربية

وعلم النفس , ط٢ , دار المسيرة للنشر والتوزيع عمان ٢٠٠٠ م .
٤٣. المليجيّ ، حلمي ، علم النفس المعاصر . ط٨ ، دار النهضة للطباعة والنشر ، لبنان ، بيروت ، ١٩٩٤م .
٤٤. الموسوي , نجم عبد الله غالي : صعوبات تعلم مادة قواعد اللغة العربية في المرحلة الابتدائية من وجهة نظر معلمي المادة ومعلماتها,مجلة أبحاث ميسان ،العدد الخامس ، المجلد الثالث ،السنة ٢٠٠٦ م.
٤٥. الناصر , عبد المجيد حمزة وعصرية ردام مرزوك : العينات , ط١ , مطبعة التعليم العالي في الموصل , جامعة الموصل ١٩٨٩ م .
٤٦. نصيرات , محمد صالح : طرائق تدريس اللغة العربية , ط١ الإصدار الأول , دار الشروق للنشر والتوزيع , ٢٠٠٦ م .
المصادر الأجنبية : ـ

1- Adams , Geogias : Evaluation in education , Psychology and guidance , New York . holl , rinenart and Winstone , 1966 .
2- Baker , T.L : Doing Social Research Mc , Graw , Hill Book . co . 1988 .
3- Best , W , john : Research in Education , 4 adition , ch , chiffs , New Jeresy , 1981 .
4- Broq , W , : Appling Education Research Aparatical Guide for Teachers , New York 1981 .
5- Grounlund , Norman , E., : Measurement and Evaluation in Teaching , 4th (ed) . Macmillian publishing CO. , Inc. , New York 1981 .
6- Cood , cater , V. : Dictionary of Education , 3 rd , ed , New York , mecrrae , hill 1973 .
7- Kurtz , Albert , .K & Mayo ; Samuel . T : Statistical Methods in Education and Psychology , New York , springer – Veralg 1979 .

ملحق (١) فقرات الاستبانة الأصلية

ت	فقرات الاستبانة	صالحة	غير صالحة	بحاجة إلى تعديل
١	طرائق التدريس تقليدية ولا تشجع على التفكير .			
٢	ضعف خبرة التدريسيين بطريقة اشتقاق الأهداف السلوكية .			
٣	التركيز على حل التمارين من دون الفهم الدقيق لها .			
٤	تدني المستوى العلمي لتلاميذ المرحلة الابتدائية وانعكاسها على المرحلة المتوسطة .			
٥	عدم قدرة الطالب على القراءة بصورة صحيحة .			
٦	صعوبة المادة العلمية وعدم ملاءمتها لمستويات الطلبة.			
٧	عدم كفاية الوقت المخصص لهذه المادة .			
٨	ضعف الرغبة نحو التعلم لدى الطلبة .			
٩	كثرة أعداد الطلبة في الصف الواحد .			
١٠	قلة وجود المكاتب داخل المدارس المتوسطة .			
١١	عدم متابعة أولياء الأمور لأبنائهم.			
١٢	عدم ملاءمة الكتاب المدرسي المقرر وعدم وضوح الرؤيا والهدف منه .			
١٣	ضعف المستوى العلمي لبعض مدرسي اللغة العربية .			
١٤	عدم ترتيب موضوعات قواعد اللغة العربية في الكتاب المدرسي بصورة صحيحة .			
١٥	ضيق الوقت مقارنة بالمنهج المقرر .			
١٦	انشغال الطلبة بالأمور الترفيهية .			

١٧	عدم اكتراث بعض المدرسين بالواجب البيتي.			
١٨	صعوبة بعض تمرينات مادة قواعد اللغة العربية .			
١٩	أسلوب بعض مدرسي مادة قواعد اللغة العربية غير مرغوب فيه ، الأمر الذي يجعل الطلبة يكرهون الدرس			
٢٠	عدم تصحيح بعض المدرسين الأخطاء النحوية بصورة مباشرة .			
٢١	إهمال مادة قواعد اللغة العربية والتركيز علـــى الموضوعات العلمية .			
٢٢	كثرة التمرينات في موضوعات معينة وقلتها في موضوعات أخرى .			
٢٣	قلة الشرح التوضيحي في الكتاب المقرر والاعتماد على الاختصار والتلخيص .			
٢٤	عدم فاعلية طرائق التدريس المستعملة .			
٢٥	عدم وجود أجهزة ومختبرات صوتية وتسجيلات أدبية كتقنيات تربوية حديثة .			
٢٦	ضعف التقارب بين الكتب المنهجية بين مرحلة وأخرى .			

ملحق (٢) أسماء السادة الخبراء الذين استعان الباحثان بآرائهم خلال مدة البحث .

	أسم الخبير	مكان العمل
١	أ.م. أحمد عبد المحسن كاظم	كلية التربية / جامعة ميسان
٢	أ.م. سلام ناجي باقر	كلية التربية / جامعة ميسان
٣	د. محمد مهدي صخي	كلية التربية / جامعة ميسان
٤	م. سعاد سلمان حسن	كلية التربية / جامعة ميسان
٥	م.م. علي ماجد عذاري	كلية التربية / جامعة ميسان
٦	م.م. وصال الحسيني	كلية التربية / جامعة ميسان
٧	م.م. سوسن هاشم هاتو	كلية التربية / جامعة ميسان

a. After submission، the author will receive notification that the article has been received

b. The author whose article is accepted for publication will be notified by the board of editors about the date of publication.

c.The articles which need modification and changes will be sent back to their authors in order to do the required changes.

d. Authors whose articles are rejected will receive notification of this decision without giving reasons.

e. A researcher destowed a version in which the meant research published.

12.Priority of article publication depends on:

a.Participation in the conferences held by the publisher .

b.The date of receiving the article by the editor.

c.The date of receiving the modified articles،and

d.The diversity of research areas in the journal.

13. An author can not get back his/her article if it is being under review by the editorial board unless there are substantive reasons، and this should be within two weeks of receiving the article.

Rublications Rules

1.The journal publishes the original scientific articles which adhere to the scientific procedures and the global common standards، and are written either in Arabic or English on various fields of Arabic language and literature، and education.

2.The author should provide 3 copies of the original article printed on A4 size، together with a CD copy ، within 10،000 -15.000 words in length ، usig simplified Arabic font and Word 2007 page numbering format.

3. Abstract should be submitted in a separate page written in both Arabic and English، and include the title of the article.

4.The first page of the article should include the author's name ، address ، institutional affiliation ، mobile ،and e-mail ، but author's /s' name/s should not appear in the body of the article.

5. All sources in the article should be given a number placed in a superscript which will be in the form of endnotes at end of the article taking in consideration the common system of documentation.

6. All the sources listed in the endnote should be listed in a bibliography given on a separate page after the notes at the end of the article . in case of having foreign sources ، they should be grouped together in a separate list and arranged alphabetically.

7.Tables، photos، and drawings should be given in separate pages with a reference to their sources at the bottom in a caption.

8.A bioprofile should be given if the author collaborates with the journal for the first time، with an illustration if the article has previously been presented at a conference or not.

9.The article should not be published in any journal or submitted simultaneously for publication elsewhere.

10. The views expressed in DAWAT Journal are those of the article authors، and they do not necessarily represent the views of the journal.

11. Research articles are reviewed confidentially in order to assess its suitability for publication and they are not given back to the authors if they are accepted for publication or rejected،but in accordance with the following procedure:

Managing Editor

Assist.Prof.Khalid Abbas Al.Syaf

Secretary Editor

Mr.Haydar Al-Salamy

Board of Editors

Prof.Dr.Mustafa AL-Ddabaa(Egypt)

Assist.Prof.Dr.Sadiq Hussein Knyj(Iraq)

Assist.Prof.Dr.Muhammad Abd Mashkoor(Iraq)

Assist.Prof.Dr. Najim Abdullah Ghali(Iraq)

Prof.Dr.Karimh Nomas Al-mdny(Iraq)

Assist.Prof.Dr. Faiz Hato Al-Shara (Iraq)

Assist.Prof.Dr.Talal Khalifa Sulyman(Iraq)

Assist.Prof.Dr.Hassan Jaffer Sadiq (Iraq)

Assist.Prof.Dr.Khalid Sahr Muhi (Iraq)

Proofreaders

Dr.Haydar Abdali Hemydy

Dr.Ghanim Kamil Suood

Abass Al-Sabag

Translation

Dr.Muayyad Omran Chiad

Electronic Website

Haider Al-Amiry

Design and Production

Saifuldeen AL-Zamili

Follow up and Coordination

Hassan Al-Zihary

Hussein Al-Razavi

Alaauldeen Al-Hassani

Riyad Hussein Karim

Qasim Al-Musawy

Musaab Hadi Al- Numany

General Supervisor

Sheikh: Abdul-Mehdi El-Kerbala'I

Editor-in-Chief

Dr. Lateef Al-Qasab

Advisory Board

Prof.Dr Hussein Nasar (Cairo–Egypt)

Prof.Dr.Mahmoud Muhammad Al-Hassan (Syria)

Prof.Dr.Abdalali Al-Wadghiry (Morocco)

Prof.Dr.Sahib Jaffer Abujinah (Iraq)

Prof.Dr.Sabah Abbas Al-Salim (Iraq)

Prof.Dr.Kareem Hussein Naseh (Iraq))

Prof.Dr.Raheem Jabr Al-Hissnawy (Iraq

Prof.Dr.Farooq Al-Haboobi (Iraq)

Prof.Dr.Ahmed Jwad Al-Atabi (Iraq)

Prof.Dr.Mehdi Salah Al.Shimary (Iraq)

In the Name of Allah, the most Gracious, the Most Merciful

(And His signs are the creation of heavens and earth and the diversity of your tongues and colors. Surely, there are signs in this for all the worlds)

(Surat Ar-Rum,Ayat 22)

الأمانة العامة
العتبة الحسينية المقدسة
دار اللغة والأدب العربي

DAWAT دوات

Quarterly Refereed Journal for Researchers, and Linguistic and Educational Studies

General Secretariat of the Holy Shrine of Imam Hussein,
Department of Media, Arabic Language House

Licensed by
Ministry of Higher Education and
Scientific Research,Republic of Iraq

Consignment Number in the Book-House and
Iraqi Documents: 2014,1963

www.dawat.imamhussain.org
E-mail: daralarabia@imamhussain.org
mob: +9647827236864 — +96447721458001